العدد ٣٧٢ السنة الثانية والثلاثون نوفمبر ١٩٨٩م

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
العربي
ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون ...
برقيا: العربي الكويت
تلكس ... MIER 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No 372 Nov. 1989 - P. O. Box : 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الإمارات ٧ دراهم
الأردن ٤٥٠ فلس	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٦ ريالات	بريطانيا جنيه استرليني
مصر ٧٥ قرشا	سلطنة عمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكا
السودان ٢٥ قرشا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات

العربي



- كرانشي .. الأيام الزاهرة !
- سوق الفن الإسلامي



سفينة "صُحار"، مثل السفن التقليدية العربية، صنعت من دون استعمال مسمار واحد فيها.

بعد حوالي ١٢٠٠ عام، ينطلق السندباد البحري إلى البحر ثانيةً.

كان من المحتم على تيم سيفرين، المكتشف المفتون بالرحلات الأسطورية، أن يجد نفسه ذات يوم يفكر في حكايات السندباد البحري القديمة. ويفترض بحكايات السندباد الموجودة في كتاب "ألف ليلة وليلة" أن تكون جرت ما بين عام ٧٨٦ وعام ٨٠٩ ميلادية.



يقول تيم: "ما من شك في أن شخصية السندباد قائمة على حقيقة تاريخية، فهو يرمز إلى الظاهرة غير العادية لارتياد العرب البحار قبل نحو ألف ومئتي عام.

"كان هدفنا أن نشرح كيف تمكن السندباد والبحارة العرب الأوائل من القيام برحلة الستة آلاف ميل من عُمان إلى بحر الصين الجنوبي. ولكي نفعل ذلك، كان علينا أن نصنع سفينة مطابقة لسفينته قدر الإمكان."

كانت السفن التجارية العربية الأولى مركبة من ألواح خشبية موصولة معاً بألياف شجر جوز الهند. وقد علمنا أن ماركو بولو لم يكن معجباً بهذه الأساليب، وكذلك حال المؤرخين البحريين العصريين.

لقد صُنعت سفينة مطابقة للأصل لم يُضرب فيها مسمار واحد، بل جمعت معاً بحبال من شجر جوز الهند يبلغ طولها ... ميل.

أطلق على السفينة اسم "صُحار" وأبحر تيم فيها على طريق الرواد القديم، عبر بحر العرب والمحيط الهندي إلى جنوب شرقي الصين.

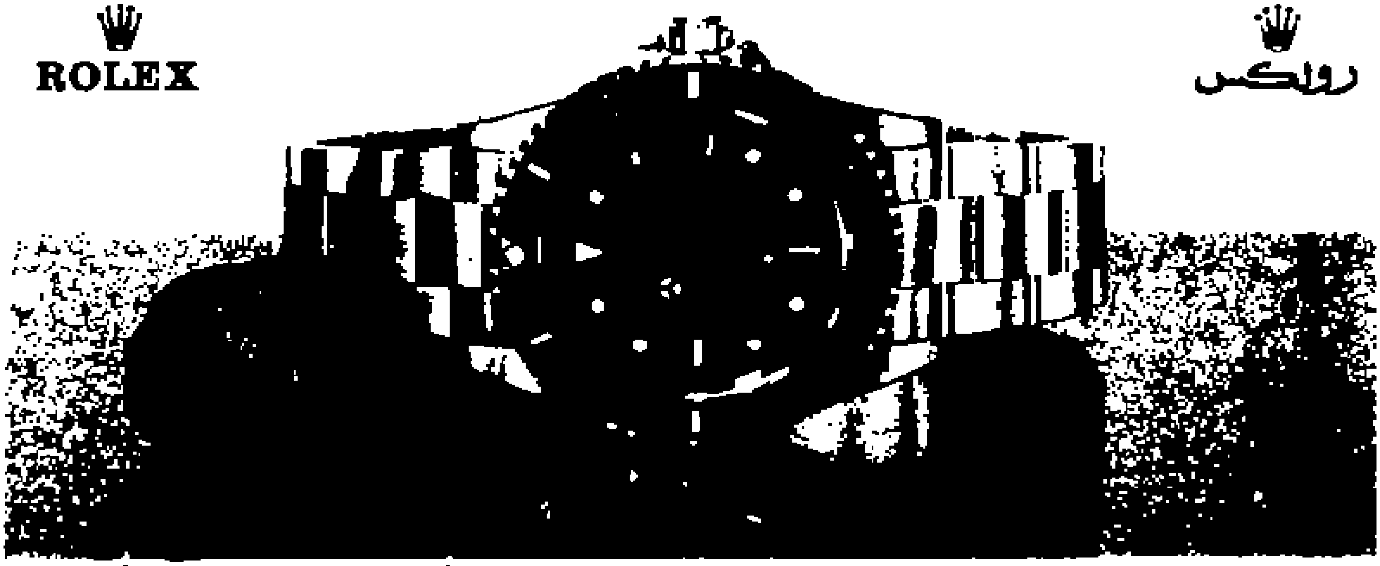
أثناء الرحلة، كان لا بدّ من إجراء إصلاحات على دفة السفينة في مياه تعج بسمك القرش. وهدأت "صُحار" في منطقة الركود الاستوائية إلا أن السارية الرئيسية انشطرت إلى شطرين في المحيط الهندي. كانت البحار المواجهة للميناء مضطربة جداً بحيث أن [illegible] "صُحار" تمزقت إربا إربا. ولكن بعد مضي سبعة أشهر ونصف، دخلت "صُحار" ميناء كانتون واستقبلت استقبال الأبطال. وهكذا أصبحت أسطورة السندباد الآن حقيقة ثابتة.

طوال تلك الأشهر، اعتمد تيم على ساعة رولكس صبمارينر المقاومة كليا لتسرب الماء، وقد ساعدته هذه الساعة على القيام ثلاثية برحلات تاريخية.

وهكذا فإن ساعات رولكس، التي حُملت إلى أعلى الجبال، وإلى أعماق البحر وإلى كلا القطبين، وعبر الصحارى، قد أصبحت جزءاً من حكايات "ألف ليلة وليلة".

ROLEX

رولكس



ساعة رولكس صبمارينر ديت كرونومتر من الذهب عيار ١٨ قيراطا - وهي متوفرة أيضا بالفولاذ والذهب الأصفر عيار [illegible]

محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

سياسة واقتصاد :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :



● كراتشي عاصمة السند والأيام الزاهرة ص ٦٨



● طيور تخطف الجواهر والحلي ص٨٨

تربية وعلم نفس :

أدب وفنون :



وجها لوجه :
د . مازن المبارك
و د . أحمد محمد قدور ص٩٧

منتدى العربي :

اجتماع :

تاريخ وتراث واشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

بمناسبة مرور مائة وعشرين عاما على افتتاح قناة السويس للملاحة . رصدت بعثة مجلة «العربي» مظاهر الحياة الجديدة حول ضفتيها

[طالع الاستطلاع ص ١٣٢]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

دورة للصداقة والسلام

خلال الأربعة عشر يوماً الأولى من هذا الشهر (نوفمبر ١٩٨٩) تستضيف الكويت أول دورة رياضية للدول الإسلامية ، هذه الدورة أطلق عليها بحق اسم دورة الصداقة والسلام ، وتعقد هذه الدورة على أرض الكويت ، لأنها أولاً رئيسة المؤتمر الإسلامي في دورته الحالية ، وثانياً لأن شعار الكويت منذ أن وجدت هو الصداقة والسلام ، فليس هناك أكثر من السلام والتفاهم مجالا حيويا لتقدم الشعوب وتفرغها لبنائها الداخلي وعلاقاتها الخارجية المتوازنة ، وليس هناك أفضل من الصداقة سداة لتمتين العلاقات بين الأقطار والشعوب .

ولم تكن إقامة هذه الدورة من المنظور التنظيمي للرياضة العالمية سهلة أو ميسرة ، ولكن الكويت بدأب أبنائها وعزيمتهم ذللت كل تلك الصعاب والعقبات التنظيمية التي يتشبث بها بعض الإداريين في المنظمات الرياضية الدولية ، وأصبح من حقنا كعرب وكمسلمين أن نقيم دورة رياضية ، يشترك فيها أبناء العرب والمسلمين في كل أقطارهم ، ليتعارفوا ويتنافسوا التنافس الشريف ، المنزه عن المقاصد عدا تقريب اللحمة وتمتين عرى الصداقة والمحبة .

وهكذا تجتمع فرق ثلاث وأربعين دولة إسلامية وعربية على أرض الكويت ، يتنافسون تنافساً شريفاً في خمس ألعاب مختلفة هي . كرة القدم ، والسلة ، واليد ، والطائرة ، وألعاب القوى .

هذا اللقاء يظهر اهتمام الكويت بالرياضة كطريق لبناء الشباب ، بجانب طرق أخرى منها الثقافة التي نقدمها في مجلتك هذه . وبالمناسبة نريد أن نهمس إلى كتابنا هذه المرة ببعض الملاحظات ، ونحن نعد لانطلاقة جديدة في مطلع السنة الميلادية المقبلة - بعد شهرين من الآن - وذلك أن من بعض ما نفاجأ به أحياناً أن نرى مقالاً منشوراً في إحدى الدوريات ، كنا قد وضعناه في خطة النشر « بالعربي » .

وما نريد قوله هنا أن الموضوعات المختارة للنشر نكون قد انتقيناها من بين مئات الموضوعات الصالحة للنشر ، بسبب كثرة ما يصل إلينا منها ، وهذا يستغرق منا وقتا يصل إلى حوالي ستة أشهر للقراءة الأولية والفرز والاختيار والتنسيق قبل دفعها إلى النشر ، وخلال هذا الوقت فإننا نحيط الكاتب علماً بأن مقاله قد قُبل ووُضع في خطة النشر .

إلا أننا نفاجأ بعد هذا كله بأن المقال منشور في مطبوعة أخرى ، ويحدث هذا - في تفسيرنا - بسبب استعجال الكاتب لنشر مقاله ، أو أنه قد أرسل المقال لأكثر من جهة في الوقت نفسه وإن كانت الخطوة الأخيرة ليست مقبولة من حيث التصرف ، فإن الخطوة الأولى غير مبررة . لأننا نعد بالنشر بمجرد أن يكون المقال جاهزاً ومناسباً .

وحتى نتفادى كل هذا الإرباك ، فإننا نطلب - وهو ليس بطلب كبير - أن يحيطنا الكاتب علماً بأنه قد أرسل المقال إلى جهة نشر أخرى .

وتحرص « العربي » انطلاقاً من احترامها لقرائها ومستواها ، أن تكون المادة المقدمة على صفحاتها قد كتبت خصيصاً لها ، ولم يسبق نشرها أو إلقاؤها في ندوة أو عبر أجهزة الإعلام الأخرى . ونحن نمارس هذا الحق لحساب قارئ « العربي » الذي يتوقع من مجلته الجديد المفيد دائما .

المحــــــرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور

محمد الرميحي

إحدى القضايا التي باتت ملحة على العقل العربي المعاصر قضية التفكير السليم ، أو التفكير العلمي ـ إن شئنا الدقة ـ وهي قضية مطروحة على أنظمتنا التربوية ـ وعلى مجتمعاتنا بشكل أوسع ، وبدون إيجاد مسالك معقولة باتجاه فهم هذه القضية ، سنظل نسمع ونقرأ ونقول أموراً ما أنزل الله بها من سلطان ، تبدو جميلة في مظهرها ، ضارة كل الضرر بمجتمعنا العربي حاضره ومستقبله .

والمشاهد أن مظاهر التفكير الأعوج قد كثرت بين ظهرانينا ، فأفتى من لا يملك الحد الأدنى من مقومات الإفتاء في السياسة والدين والثقافة والاقتصاد ، واحتفلنا (بمجتهدين) غاية علمهم نتف شاردة من بعض كتابات السلف والخلف ، ناقلين في أفضل الأحوال ، مرددين ما سمعوا ، أو قرؤوا في زمن وظروف مختلفة أشد الاختلاف عن ظروفنا وواقعنا ، وهم

في كل الأحوال ـ اجتهاداً أو نقلاً ـ لا يلمون بكل ما كتب أو قيل في ما يتعرضون له بالإفتاء من أمور الدنيا والدين .

ولقد كان من جراء تعاظم ظاهرة الإفتاء بغير علم في أمور كثيرة أن زادت حيرة الناس في قضاياهم الأساسية ، قضايا دينهم وقضايا دنياهم . وتكثر في معظم صحفنا المقالات ذات البعد الواحد التي قد يشك في صحة بعض مقولاتها بعض الناس ، ولكنها قد تُصدق ويُؤمن بها بعض المجاميع من أهلنا ، فلا هي إلى الحق قادتهم ، ولا إلى الرشاد أوصلتهم .

التعليم بالتلقين

ولعل ما أوصلنا إلى هذه الحالة المؤسفة أننا لم نقدم واحداً من المناهج المهمة الأساسية لطلابنا حتى الآن على مقاعد الدراسة في التعليم العام ، أو الجامعي وهو منهج : أهميته القصوى أن نتعلم كيف نفكر ! وربما لم نفعل ذلك لأننا حينما (نقلنا) مناهج التعليم الحديث لم يكن فيها درس : تعلم كيف تفكر !

ولأن المؤسسة التعليمية عندنا قد وقعت طريدة في فخ التعليم بالتلقين ، بدلاً من التعليم المتفاعل ، ولأننا تقاعسنا عن تطوير نظام التعليم ومناهجه ، أسلمنا المجتمع لقمة سائغة لأنصاف المتعلمين والمجتهدين ، يصيغون قناعات جموع المواطنين ، دون أن نسلح هؤلاء المواطنين بالمقدرة العقلية القادرة على الفرز والفهم والنقد والاختيار .

خلل التفكير الأعوج صاحبنا ، فأورد بعضنا مورد التهلكة في الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، بل وحتى في العلم البحت . فأصبح لدينا بعد ذلك ـ نتيجة هذا الخلط ـ ما سميته مرة « رأي العوام » ، وسماه بعضنا « الرأي العام » ، والفرق واضح بين الاثنين .

التفكير السليم أصبح له مدارسه وكتبه وطرائقه ، وهي ليست ـ والحمد لله ـ طرائق خاصة بالمنهج الغربي في التفكير ـ إن أراد أحد اتهامها بذلك ـ بل هي خاصة على وجه الدقة بالمنهج الإنساني العقلي ، فكل إنسان يستخدم عقله الاستخدام الصحيح يمكن له أن يصل إلى منهج من التفكير سليم . ولعل من نافلة القول أن نذكر أن ديننا الإسلامي الحنيف قد جعل العقل مصدراً للتكليف ، والتفكير وسيلة للتدبير ، والحوار طريقاً للوصول

إلى الحق . وهي عناصر مهمة في صياغة التفكير السليم ، ولن يتعب الباحث المستقصي أن يجد من النصوص باتجاه العقلنة ما يفيد ويؤكد هذا المنهج .

ولكننا كثيراً ما نشاهد ونسمع ونقرأ في حياتنا اليومية العربية المعاصرة ما هو بعيد عن تقبل العقل والمنطق السليم له ، ويمكن أن يواجهنا ذلك في كثير من النصوص التي نقرؤها ، نصوص تمنع وتمنح وتوافق وتختلف ، وتنقل وتضيف . وأنت إن دققت في محتوى ما تعنيه وجدتها عن العقل أبعد .

ليس للمتأخرين عذر !

صحيح أن العلوم الاجتماعية الحديثة تقول لنا : إنه لا توجد قراءة محايدة للنص ، فأنت حين تقرأ نصاً ما ، فإنما تقرأ بخلفيتك العلمية والسياسية والثقافية . . الخ ، ولكن من الصحيح أيضاً أن هناك نصوصاً تحتمل الاختلاف الجزئي ، وأن هناك نصوصاً (تصدم) العقل لأول وهلة ، فنحن نرى في بعض كتاباتنا العربية - وأنا أذكر هنا الشائع من الظواهر ، وما ينشر بعضه في الصحف - أن شخصاً يشفي المرضى بلمسهم بيده ، أو أن دواء عشبيا يشفي من الأمراض المستعصية ، وأن فلاناً من المتقدمين قد قال : كذا وكذا ، في ظاهرة جغرافية أو طبيعية أو طبية ، وأن كلامه ما زال صحيحاً بعد كل هذه السنين الطوال من التقدم العلمي ، وعشرات من الأمثلة المليئة بالخرافات والأوهام والخوارق والأساطير والقوى الخفية والغيبية تحاصرنا كل يوم في حياتنا اليومية . وذلك نقص عظيم في طرق التفكير السليم ، لأن تفسير كل ذلك هو الاعتقاد بوجود علاقات وهمية أو عرضية بين الظواهر الطبيعية أو الاقتصادية أو الاجتماعية . والتفكير السليم يدعونا دائماً الى التثبت من العلاقات بين الظواهر في واقع المحسوس لا المتخيل .

وإذا كان للمتقدمين عذرهم في إرجاع بعض أسباب الظواهر (لعلاقات خفية) ، نظراً لبعدهم عن منهج العلم فليس للمتأخرين عذر .

لقد أصبح التفكير علماً يمكن توظيفه في اكتشاف العلاقات بين الظواهر المختلفة - في العلوم الاجتماعية أو العلوم البحتة - من حيث

أمة تنفعل ولا تفكر، تغلبها العواطف فتهمل العقل !



حسن الظن المطلق بالعلماء السابقين كثيرا ما يقود الباحث إلى الضلال

النوعية (الكيفية) أو من حيث الكمية (الرقمية) . وذلك للسيطرة والإفادة من الموارد جميعها لخدمة الإنسان في حياته الدنيا .

وأول خطوات التفكير السليم هي عدم التسليم بكل ما يقال ويكتب وأخذه على علاته ، إن لم يكن له سند عقلي ظاهر . فالإنسان كائن حي عرضة للعثرات ، يصيب ويخطيء ، وليس بالضرورة أن كل ما يقوله نهائي وقطعي ، كما أن القول بأن الرأي القديم صحيح فقط ، لأن المتقدمين قد قالوا به لا يعني القطع بصوابه ، فالرأي القديم حول ظاهرة من الظواهر ، قد قاله جيل عاش في وقت لم تكن البشرية قد اكتسبت فيه من الخبرة ما لديها الآن ، وبالقياس : فالأجيال القادمة سوف تتوافر لها خبرات أكبر وأوسع مما لدينا اليوم ، لأن العلم والخبرة حصاد متراكم ، وليس بدايات تتجدد كل يوم وفق أهواء بعضنا أو قصور إدراكهم .



العقـــــل سلطـــــان

وهذا كلام لم يقله - لمن يريد العودة إلى الأصول - ديكارت وجاليليو وفرنسيس بيكون من علماء عصر النهضة الأوربية فقط ، ولكن قاله أيضاً - ودون أن يدخل الفخر من أجل الفخر في عقولنا - قاله مؤلفون وكتاب عرب قبل علماء عصر النهضة الأوربية بمئات السنين . ففي موضوع الشك في القديم يقول ابراهيم النظام (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م) : « لم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ، ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد حتى يكون بينهما حال شك » .

ويقـول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م) : « تعلم الشـك في المشكوك فيه تعلماً ، فلو لم يكن ذلك الا تعرف التوقف ثم التثبت ، والعوام أقل شكوكاً من الخواص لأنهم لا يتوقفون عن التصديق ، ولا يرتـابون بأنفسهم ، فليس عندهم إلا الإقدام على التصديق المجرد أو التكذيب المجرد » .

وإذا كان ديكارت - في الفكر الغربي - قد انتهى في شكه إلى تقنين الفكر، فأعاد للعقل سلطانه ، فقد سبق من السلف - عدا من ذكرنا - محمد بن الحسن بن الهيثم ، وجابر بن حيان ، والفارابي ، وابن خلدون ، وابن رشد ، وآخرون مما لا يتسع المجال لذكر النصوص التي أوردوها .

كتابات الانفعال تثير حماسا ولا تنير عقلا!

يكفي أن نشير إلى ما قاله ابن الهيثم (٣٥٤ - ٤٣٠هـ / ٩٦٥م - ١٠٣٨م) الذي شك في قول المتقدمين بقوله : « إلا أن حسن الظن بالعلماء السابقين مغروس في طبائع البشر ، وأنه يكثر ما يقود الباحث إلى الضلال » . أو ما قاله جابر بن حيان (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥م) في إعلاء التجربة والخبرة المباشرة : « ويجب أن نعلم أننا نذكر خواص ما رأيناه فقط دون ما سمعناه أو قيل لنا وقرأناه ، بعد أن امتحناه وجربناه ، فما صح عندنا أوردناه وما بطل رفضناه » .

نقول : إن التفكير والتدبير وإعلاء العقل ، منحى إنساني ، عرفه العقل الراجح ، وليس حكراً على فكر غربي أو شرقي ، وقد صلح به المجتمع ، ويمكن أن يصلح به أي مجتمع يتبناه ويؤكده ويؤطره .

لغة الحوار غير الموضوعية تعبير عن خواء العقول ، وتعصبٌ غيرُ مبرر

للمخاصمة في الحق

والذي لا جدال فيه أن بدايات التفكير الصحيح تقوم على أن المرء عندما يعمل فكره يخاصم من يقرأ لهم أو يستمع إليهم ، مخاصمة في الحق ، فما هو معقول يؤكده الحس والتجربة والخبرة ، وما هو غير ذلك يشك فيه ويمحص ، وهناك الكثير من الطرق التي يستخدمها بعضهم للتأثير في مسار العقل والتفكير الصحيح ، ومنها (اللغة) التي يستخدمها الكاتب في مقاله أو دراسته ، أو الخطيب في حديثه للجمهور .

ونستطيع أن ندرب أنفسنا لنكون في مأمن من تأثير هذه اللغة إذا أخذنا بالتفكير في المعاني (الواقعية) وليس (الانفعالية) التي تقدم لنا في الخطاب العام . التفكير الانفعالي يكثر في مقالاتنا وخطبنا وفي أحاديث الناس فيما بينهم ، فإن ثارت قضية ما ، وانقسم بشأنها الناس ، وجدنا الكثير من الشحنات الانفعالية لدى هذا الفريق أو ذاك .

ففي الفترة الأخيرة - على سبيل المثال - ثار نقاش حاد حول قضية فقهية بين مفتي الديار المصرية وبين بعض المجتهدين حول بعض المعاملات المالية ، واحتدم النقاش في الموضوع على معظم صفحات الصحف العربية ، ونحن هنا لا نريد أن نأخذ موقفاً من هذا الفريق أو ذاك ، بقدر ما نود الإشارة إلى مستوى النقاش بين بعضهم الذي وصل في حده الأدنى إلى (الاتهام بالجهالة) و (التخوين في الذمم) ووصل في حده الأعلى إلى

الاستشهاد ببعض آراء المتقدمين ، دون إعمال للعقل للتقريب بين آراء السلف وواقع الحياة .

هذا النوع من المناقشات الانفعالية يسود معظم المشكلات المطروحة عندنا ، سواء كانت دينية أو سياسية أو أخلاقية أو ثقافية ، وهو بعيد عن التفكير العلمي السليم .

الخطابة الانفعالية قد تكون حافزاً له قيمة عندما توظف لحث الناس على القيام بعمل صار الاتفاق فيه شاملاً أو شبه شامل على أنه حق أو ضروري ، كأن نحمس الناس لتأييد الانتفاضة الفلسطينية ، وندفعهم إلى مؤازرتها بالجهد والمال ، فذلك حق غير مختلف فيه ، أو أن نقوم بتعبئة ضد عدو مغتصب ، يريد بأوطاننا الشر ، أي عندما يكون المطلوب حماساً وعاطفة . ولكن عندما يكون المطلوب أن يتخذ الناس قراراً في موضوع فيه وجهات نظر مختلفة تحتاج إلى إعمال الفكر ، أو في موضوعات إن طرحت انفعالياً تزيد من شرذمة الناس وتفرق بينهم ، كالموضوعات المذهبية والطائفية والسياسية ، فان تحكيم العقل هنا له صلة وثيقة بالتفكير السليم .

وزر اللغة

وفي الواقع أن القضية ليست بهذه البساطة ، فغوق أن نتاج المؤسسة التعليمية وممارسات أنساق المجتمع المختلفة لم تسهم في إيجاد طرق للتفكير العلمي ، فإن لغتنا تتحمل جزءاً من وزر النتيجة التي توصلنا اليها .

فاللغة وعاء الفكر ، وأداة التعبير ، وهي نتاج ثقافي لأوضاع الناس اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ، وهي تجدد نفسها ، وتطور أداءها بالحذف والإضافة والدقة والمرونة ، حسب تطور المجتمع وتقدمه .

ولغتنا العربية من اللغات الغنية بالأوصاف والتشبيهات والمحسنات التي تغري بعضهم بالاستخدام الانفعالي للكلمات والجمل .

اللغة أداة التعبير عن الأفكار، والإغراق في مرونتها يُخرج نصوصنا بلا معنى

وتحصين أنفسنا من الانسياق وراء بعض هذه المعاني التي تقودنا الى تفكير أعوج يحتاج الى تدرب على التخلص من المعاني والعبارات الانفعالية ، عن طريق استبدالها ، أو التفكير فيها بطريقة غير انفعالية . وكثير من المفردات في اللغة العربية - كما هي في اللغات الأخرى - مشحون بموقف انفعالي ، فرجعي ، تقدمي ، فاشي أو عنصري ، محافظ ، وغيرها

من الأوصاف ، وكلها كلمات إن قبلناها على علاتها دون أن نطلب توضيحاً لها قريباً إلى الدقة قادتنا إلى تفكير خاطيء ، ومثل ذلك في الاجتماع والعلاقات الدولية والاقتصاد وكل مناشط الحياة . وإذا قلنا : إن أولويات التفكير العلمي هي الدقة ، فإن الدقة صفة مرتبطة ، وألزم ما تكون باللغة ، ولغتنا تزخر بكلمات لها أكثر من استخدام ، وفي كل استخدام للكلمة الواحدة معنى مغاير تماماً . هذه الخاصية تغري بعضهم بالتراكيب اللغوية ، فتصاغ منها مدونات ، تقرؤها فلا تجد فيها ثمرة ، ولا عقلاً ولا رأياً ، بقدر ما هي صياغات وتراكيب لفظية فقط .

ولعل مثالاً واحداً لكلمة واحدة ، مثلها مئات ، يوضح صحة ما نذهب إليه ، فنحن نقول : إن زيداً فتى ذكي ، للتدليل على تمتع زيد بقدرات ومهارات عقلية متميزة ، ولكننا بالحروف نفسها نقول : هذا طعام ذكي ، أي طيب الرائحة فواحها ، وبتصريف قليل نقول : ذكاه أي قتله .

صعوبـــة المســـألـــة

وكما قلت في بدء حديثي فإن المؤسسة التعليمية تتحمل مع بقية أنساق المجتمع المسئولية عن الحالة التي وصلنا إليها وهي البعد عن التفكير العلمي المنظم في حياتنا . فإن الحل على صعوبته ، يبدأ أيضاً من المؤسسة التعليمية . نود أن يكون في مدارسنا مساق تعليمي بعنوان : تعلم كيف تفكر ، لأن العلامات التي تدل على غياب التفكير السليم في مجتمعنا العربي ظاهرة في سلوك كثير من الناس . فالتعميم صفة قد تكون سائدة في أحاديثنا وكتاباتنا ، سواء أكانت خاصة بشعب أم طائفة أم ظاهرة ، وما أسرع أن نقع في مساويء التعميم . وقد نجرب ذلك في ما نقرأ من الكتابات التي حولنا ، فقد ينساق بعض الكتّاب بعد أسطر قليلة عند مناقشتهم لموضوع إلى وضع التعميمات ، ويرافق التعميم التعصب الشديد غير المرن لفكرة أو موضوع ، دون النظر في سلبياته وإيجابياته والمقارنة بينهما ، ومن مظاهر غياب التفكير في مجتمعنا الاعتماد الكلي على النص الذي سبقنا وقال به المتقدمون ، أما الجانب الآخر في غياب التفكير السليم فهو استعداد عدد كثير منا للتنازل عن رأيه ، حتى لو كان سليماً ، مجاراة لما يعرف (بالرأي العام) وأغلبه مكون من (ولهى العوام) .

لا يمكن بالطبع أن نطالب أنفسنا بالتفكير العلمي في شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد كما يفكر المشتغلون بالعلم الطبيعي عن طريق منهج

الملاحظة الحسية والتجربة العلمية ، ووضع قوانين لتفسير الظواهر ، ولكن المطلوب أن نقلص الفجوة بين الصواب والخطأ والحق والباطل في شؤون حياتنا العامة . فلا يمكن أن يكون النقيض وخلافه صحيحين في مسألة ما ، فأحدهما بالضرورة أقرب إلى الصحة النسبية عندما نحسب تداخل العوامل المؤثرة في المواقف الإنسانية ، كالقيم والمصالح والخلفية العلمية والتدريب ، فكل مشكلة لها علاقة بالإنسان وقيمه تحتوي على كثير من (المجهولات) التي لا نملك عنها معرفة ، وتختلف عن المشكلات العلمية البحتة ، إلا أن تعليم المعارف والمعلومات ليس بديلاً عن التفكير ، فالمعلومات مهمة ، إلا أن متابعتها في عصر ندعوه بعصر تفجر المعلومات ، لا يمكن الإحاطة حتى بسرعة تغيرها ، وهي ليست بديلاً عن التفكير ، فحتى العلماء الذين يتقنون مادة تخصصهم لا يتقنون بالضرورة مهارة التفكير .

فتعلم مهارات التفكير السليم مطلوب ولازم للإبداع والتجديد من جهة ، ولتمحيص ما هو موجود ، وإعمال العقل فيه من جهة أخرى . وللتفكير تعاريف مختلفة في مدارس مختلفة ، بعضها له صبغة أيديولوجية معينة ، وهناك أخطاء شائعة في اعتبار أن الشخص الماهر في الكلام ماهر في التفكير . وخطأ فادح آخر هو اعتبار الإنسان الفقير في التعبير الكلامي فقير في التفكير . نحن بحاجة للغة تعبر عن ذواتنا ، ولكن الاتساق اللغوي بحد ذاته ليس مساوياً للتفكير ، كما أن التفكير أنواع ، فهناك التفكير الخرافي والتفكير العلمي .



خيار ثالث !

> مؤسساتنا التعليمية غرقت في برامج التعليم بالتلقين وليس التعليم بالتفاعل!

في التفكير العلمي يحدد العلماء نوعين من التفكير : الأول التفكير العمودي أو التقليدي ، والثاني التفكير المتوازي .

التفكير العمودي : هو التفكير الذي تنتقل فيه من مقدمات معينة ، عبر خطوات معينة ، كل واحدة منها تؤدي الى الأخرى ، فتصل إلى نتيجة لازمة عنها ، ويتجلى هذا التفكير في الرياضيات والمنطق في حياتنا اليومية ، إنه التفكير الغالب علينا الآن ، فقد تعلمنا مبادئه في المنزل والمدرسة والجامعة . أما التفكير الآخر الذي سماه العلماء التفكير المتوازي : فهو لب أسلوب المنظومات والطريقة الأحدث علمياً للتفكير ، وهي طريقة من طرق استخدام العقل لها تقنياتها الخاصة ، وهو تفكير استفزازي تحريضي ، وخطواته ليست متسلسلة ، بل تجاوزية ، وقد يقفز إلى الأمام أو إلى النهاية ، ثم يملأ الفجوات فيما بعد ، وبعكس التفكير العمودي الذي يستخدم النفي لإغلاق الباب في وجه طريق معين ، وبذلك يصبح الخيار محصوراً بنعم أو لا .

في التفكير المتوازي لا يوجد نفي على الإطلاق ، فهو ليس نعم أو لا ، بل هو نعم ولا ، وهو خيار ثالث ، قد يصح الناتج في وقت ما ، وقد يخطيء في وقت آخر .

ومن المهارات الأساسية للتفكير السليم مهارة جمع المعلومات وتنظيمها ومقارنتها . إن جمع المعلومات عن طريق المقابلة والتقصي والقراءة ، ومقارنتها بعضها ببعض ، إحدى المهارات الأساسية للتفكير لسليم . ويشيع بيننا ضعف تجميع المعلومات في معظم مجالات نشاطنا ، ولا يتوافر للتلميذ أو الباحث أو الكاتب مصادر معلومات حديثة ، وإن توافر بعضها فإنه لا تتوافر إمكانيات المقارنة والتحليل ، لذلك فإن أي تعميمات كثيرة ناقصة يمكن دحضها بسهولة .

وإحدى المهارات الرئيسية في التفكير العلمي هي نقل تطبيق الحقائق والمبادىء التي توصلنا اليها في مضمار ما ، لتطبيقها في مضمار مشابه . ونحن نرى هذا الضعف في تعليم مهارة نقل الخبرة في الأسئلة التي نطرحها على طلابنا ، فإن جاءت أسئلة آخر العام غير مطابقة لما هو موجود في الكتب ضج المجتمع بالشكوى التي تقود في بعض الأوقات الى أعمال عنف مع نقد شديد للمربين والمدرسين ، لأن الأسئلة ليست مطابقة للأسئلة التي أجاب

عنها طلابنا في زمن الدراسة ! والمفروض أن يكونوا قد اكتسبوا مهارات تؤهلهم لتقديم حلول للمشكلات (المشابهة) وليس (المطابقة) .

ونحن نرى أن من مظاهر الفقر في التفكير العلمي من جهة أخرى وعلى مستوى آخر هو ما يحدث في عملية اتخاذ القرارات ، سواء في المنظمة الصغيرة أو المتوسطة أو غيرها .

فمتخذ القرار هنا يبحث عن (مثال) سابق ، يستند إليه ولسان حاله يقول دائماً : ما الخطوات التي اتخذناها في حالة مشابهة سابقة ، بدلاً من ابتكار الحلول المناسبة لموضوعات ومشكلات متجلدة ؟ ومن جهة أخرى فإن (القيم) التي يكونها المجتمع أساسية في عملية التفكير ، فنحن نفكر لتحقيق أهداف نراها مهمة ، وإذا فقدنا تحديد القيم التي نريد الوصول اليها بدقة في المجتمع فقدنا أحد عناصر التفكير السليم .

تعلم كيف تفكر

تتكاثر الكتابات العلمية في اللغات الأخرى حول تعلم التفكير ، بل ويزداد الكُتّاب في هذا الموضوع شهرة وانتشاراً ، وهناك كتب قليلة صدرت ضمن المكتبة العربية[1] ، ومقالات متفرقة ، إلا أن النشر والكتابة في هذا الموضوع بلغتنا العربية ما زالا قليلين ، وصعوبة تعليم التفكير صعوبة بالغة التعقيد ، حيث إن التفكير عملية غير ملموسة ، كما تكتنفها مفاهيم غامضة ، فهي ليست تعليم المنطق ، ولا تعليم الحاسوب ، ولا النقاش الحر وجمع المعلومات وتحليلها . إنها كل ذلك مجتمعاً .

لقد نجحت مجتمعات في تعليم مبادىء التفكير العلمي لطلابها كموضوع خاص أو كجزء من مواد عامة ، إلا أن عملية التفكير عملية بطيئة وتراكمية ، تبدأ بالتراكم المعرفي ، فمن لا يعرف لا يستطيع أن يفكر ، وأدوات المعرفة عديدة متشعبة .

وفي بعض المجتمعات التي يوجد فيها مؤسسات لتعليم الأبناء طرق التفكير العلمي ، فإنهم يعمدون ، بعد اكتمال المعرفة أو نضوجها ، إلى التطبيق العملي بإلقاء النصوص التي تبدو متسقة ، لكن فيها تناقضاً

مطلوب أن ندرس لأبنائنا كيفية التفكير العلمي الصحيح !

(١) من بين الكتب التي صدرت بهذا الخصوص كتابان من سلسلة عالم المعرفة في الكويت رقم (٣) ، « التفكير العلمي » للدكتور فؤاد زكريا ورقم (٣٠) ، « التفكير المستقيم والتفكير الأعوج » ترجمة حسن سعيد الكرمي . ومقال لحسني عايش (في الأردن) ، « تعليم التفكير » .



داخلياً ، ثم يقوم الطلبة باكتشاف هذا التناقض ، ثم ينتقل تعلم التفكير بوضع الطلبة في مواقف تفكيرية ، وتشجيعهم على استخلاص مبادىء معينة من هذه المواقف . إن الانتباه والدقة والمعرفة أدوات أساسية لتعلم مهارة التفكير .

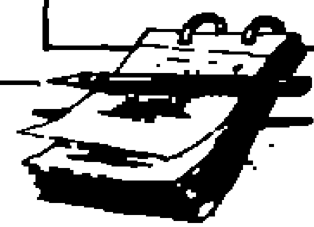
ومهارة التفكير العلمي ، هي في الحقيقة عملية علمية ، تصب في مجرى التغيير الاجتماعي الهادف إلى تطوير المجتمعات ، فهي ليست مزية عقلية يتحلى بها الأفراد ، لكنها مع التراكم تصبح سمة للمجتمع ككل ، ويصبح العقل الجمعي للمجتمع خلاقاً قادراً على التعامل مع العصر ومتغيراته . إن سحب الجهالة التي تظلل كثيراً من المجتمعات ، مردها للانفعال وللحماسة وللقطع مع عدم اليقين ، والوقوع أسرى لذ قدمائه القدماء ، غير مدركين لديناميكية الحياة وجدليتها وتفاعلها المستمر .

○○○

إن الزبد الذي يتطاير حولنا بكثافة ، يهددنا بالبقاء أسرى للتخلف ، غارقين في معارك بلا هدف ، نقاتل طواحين هواء ، ونخنق لأنفسنا مشكلات عبثية ، ونتطاحن بالاختلاف خوفاً دون التفكير فيها تفكيراً علمياً ، وهو سمة العصر وعنوان البقاء .

محمد الرميحي

من دفتر الذكريات



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

عندما جاء السياب إلى الكويت

بقلم : الدكتور محمود السمرة

لا أذكر اليوم ، ولكنه كان من أيام ربيع سنة ١٩٦٤م . كنت في ذلك اليوم في مجلة « العربي » ، مع أستاذنا الراحل الدكتور أحمد زكي ، وكنت يومئذ أنعم بظل وارف من نقاء إخوان الصفا والود في وزارة الإرشاد (وزارة الإعلام اليوم) : بدر خالد البدر ، وأحمد السقاف ، وعبد الرزاق البصير (أبو عدنان) ، مدير مكتبة الوزارة .

قال لي أبو عدنان في ذلك اليوم : ما رأيك في أن نزور بدر شاكر السياب ، فهو مريض يعالج في المستشفى الأميري . وعادت بي الذكريات إلى سنوات سابقة ، إذ لبست هذه أول مرة أسمع فيها أن بدر شاكر السياب يجيء إلى الكويت . ففي عام ١٩٥٢ استطاع بدر أن يصل إليها عن طريق إيران في سفينة شراعية قاعها من الطين ، هاربا ، متخفيا ، على إثر ما عرف في تاريخ العراق الحديث باسم « انتفاضة تشرين » . وفي الكويت كان يعيش مع العمال العراقيين في حالة من البؤس والضنك بالغة ، حيث تتكدس الأعداد منهم في غرفة واحدة ، وبينهم المريض والمسلول وعلمت أنه كان يجلس بعد الظهر معهم في المقاهي التي

يرتادونها . وذهبت إلى هذه المقاهي . وكان موقعها في (الصفاة) آنذاك كما أذكر ، أتأمل في الوجوه باحثاً عنه ، ولكنني لم أعثر عليه . وعدلت عن البحث ، عندما بدأت عيون الجالسين فيها تنظر إليّ بشك وارتياب .

وفي أثناء إقامته في الكويت التي امتدت إلى ستة أشهر ، نظم رائعته « أنشودة المطر » ، هكذا يقول بدر نفسه ، وهي قصيدة حافلة بالأمل في التغيير ، كما نظم فيها أيضاً قصيدته الدائمة « غريب على الخليج » التي تمثل الإحساس بالغربة والشوق العارم للعودة إلى العراق :

الريح تصرخ بي : عراق
والموج يعول بي : عراق ، عراق ، ليس سوى عراق
البحر أوسع ما يكون ، وأنت أبعد ما تكون
والبحر دونك ، يا عراق
حتى الظلام هناك أجمل ، فهو يحتضن العراق .

وأفقت من هذه الذكريات لأتوجه و« أبو عدنان » لزيارته في المستشفى . وجو المستشفيات ، كل المستشفيات ، ثقيل ، حزين . وأخذنا نبحث عنه بين المرضى ، حتى وجدناه وسط الزحام ، جلداً على وضم ، كومة من العظم ، لا تزن إلا القليل القليل ، ولا تدرك أنها لإنسان ما زال حيا إلا من حركة العينين الزائغتين الحزينتين البائستين اللتين تنبئان بأن صاحبهما ينتظر مصيره المحتوم في أية لحظة . وجرى الحديث في جو مشحون بالحزن على شاعر قمة في شعرنا الحديث ، لا تكاد تسمع الصوت منه إلا همساً بعد جهد وعناء . وهل يمكن أن يدور الحديث في هذا الجو إلا عن حالته الصحية ، وها هي أمامنا نراها ؟ !

لقد أسعدنا أبو غيلان من الخليج إلى المحيط بقصائده التي هزت أدق مشاعرنا : غريب على الخليج ، وأنشودة المطر ، وحفار القبور ، والمومس العمياء . فيم أسعدناه ؟ وماذا لقي من دنيانا غير الإهمال ؟ وخرجنا من هذه الزيارة بحزن يسكننا ، أقلقني أياما ولياني ، حتى أنني لم أجد الشجاعة الكافية لزيارته ثانية .

ثم علمت أنه قد غادر المستشفى عائداً إلى عائلته في البصرة ، وبعد أيام وصلت إليّ رسالة منه ، لعلها ما زالت في ملفات « العربي » ، يشكرنا فيها على الزيارة ، ومع رسالته قصيدة يرجو أن تنشر في المجلة « وراجيا أن ترسلوا إلى قيمة المكافأة لأستعين بها على شراء الدواء اللازم » !! بدر شاكر السياب لا يجد حتى ثمن الدواء ! إذن هذا هو السر وراء حضوره إلى الكويت ، فالعلاج فيها مجاني ، والرعاية الطبية جيدة .

وسارعت بإرسال المكافأة إليه ، على أن تظهر القصيدة في أول عدد لما يكتمل صف حروفه بعد ، وكان من عادة « العربي » أن يكون لها في المطبعة عددان مكتملا الإخراج يوم صدور العدد الجديد إلى السوق . وبعد شهر أو أكثر قليلاً ، وبعد صدور العدد الجديد من « العربي » بأيام ، حمل البريد إلينا في « العربي » الرسالة المسجلة التي أرسلناها إلى بدر ، وهي على حالها لم تفتح ، وقد كتب على المغلف : « المذكور قد توفي » ! ؟

وتأملت في الخط على المغلف ، إنه خطه هو !

ترى لماذا رد الرسالة دون أن يفتحها ؟

ولم أجد من تعليل سوى أنه لم يجد قصيدته منشورة في العدد الذي صدر ، والذي كان جاهزاً للتوزيع يوم إرساله قصيدته ، فظن ، وهو الشاعر المفرط الحس المسكون بالهواجس ، أن المجلة لا تعتزم نشر قصيدته ، وأنها تجود عليه بهذا المبلغ مساعدة منها لتمكينه من شراء الدواء .

ولم يطل غيابه في البصرة ، إذ سرعان ما عاد إلى الكويت ، لينزل في المستشفى نفسه ، وليفارق الحياة في الساعة الثانية والدقيقة الخمسين من بعد ظهر الرابع والعشرين من شهر كانون الأول من عام ١٩٦٤ .

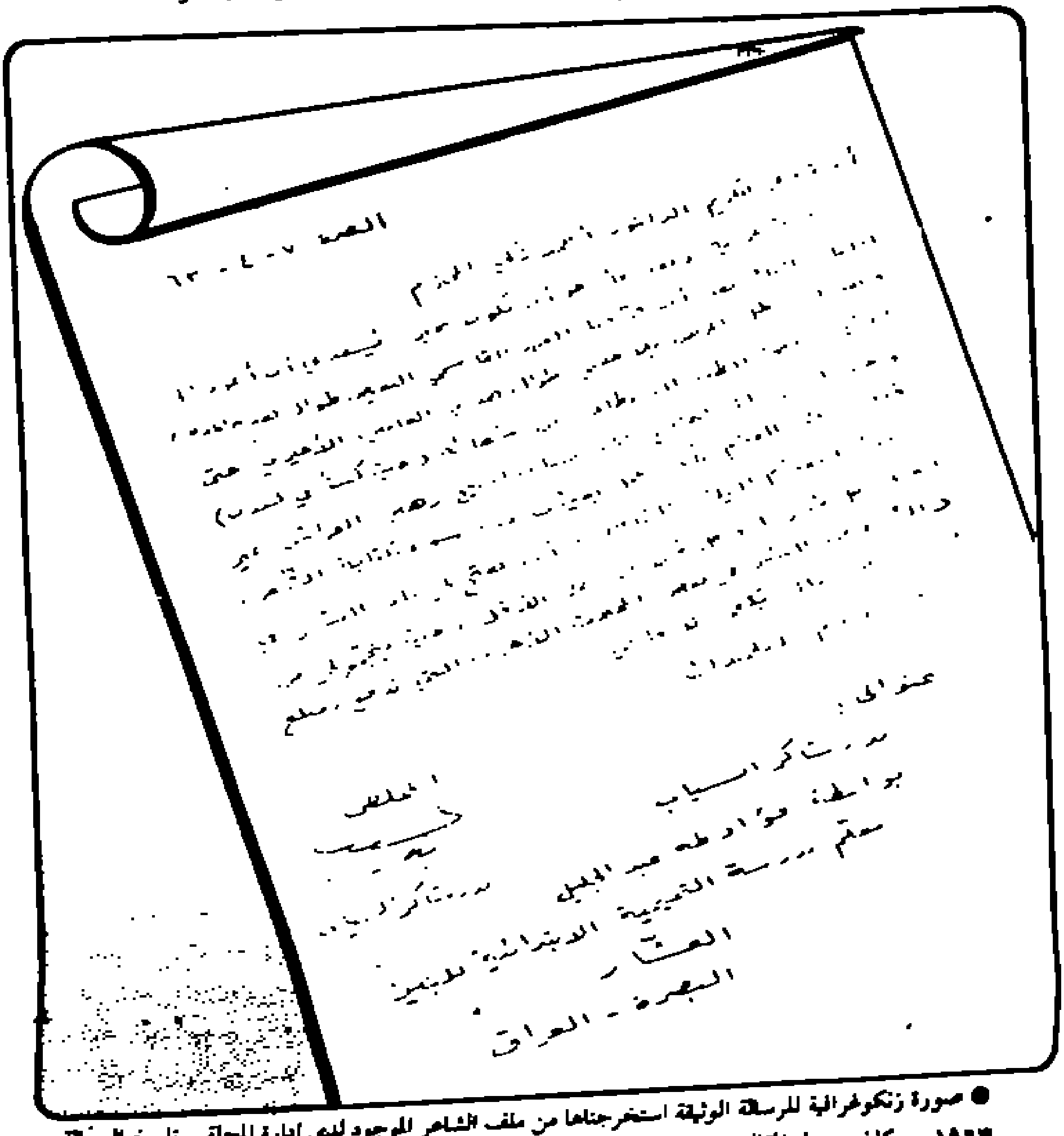
رحم الله أبا غيلان ، ولازالَ ثراه تبلله قطرات من أنشودة المطر ،

مطر . . . .

مطر . . . .

مطر . . . .

سيعشب العراق بالمطر .☐



البصرة ٧-٤-٦٣

عنواني :

بدر شاكر السياب

بواسطة : فؤاد طه عبد الجليل

معلم مدرسة التجربة الابتدائية للبنين

العشار

البصرة - العراق

● صورة زنكوغرافية للرسالة الوثيقة استخرجناها من ملف الشاعر الموجود لدى ادارة المجلة ، تاريخ الرسالة ١٩٦٣ ، وكان وصول المقال مناسبة لنشرها .

إلغاء ديون العالم الثالث ضرورة وليس اختيارًا

بقلم : الدكتور رمزي زكي

بعد الدعوة التي أعلنتها الكويت على لسان أميرها الشيخ جابر الأحمد الصباح أمام الأمم المتحدة ، لمطالبة العالم الصناعي بإلغاء ديون العالم الثالث ، لإنقاذ الاقتصاد العالمي كله ، بادرت بعض دول أوربا ـ على استحياء ـ بإلغاء جزء من ديونها المستحقة على بعض دول العالم الثالث . وفي مؤتمر قمة عدم الانحياز عادت الكويت لتؤكد بأن الأزمة التي تأخذ بخناق العالم لا تحل جزئياً ، وأن الوقت قد حان للبدء بإلغاء ديون الدول الأكثر فقراً .

ولأن المشكلة تؤرق الفكر الاقتصادي العالمي فقد طلبت « العربي » من أحد خبراء الديون العرب بأن يقدم هذا العرض العلمي الذي يؤكد على ضرورة إلغاء ديون العالم الثالث من أجل مستقبل أفضل للنظام الاقتصادي الدولي .

تطورت ديون العالم الثالث ، وتفاقمت ، في ظل ظروف استثنائية غير عادية ، هي ظروف السبعينيات وأوائل الثمانينيات المضطربة ، حينما قفزت أسعار النفط وأسعار الفائدة ، وأتخمت الأسواق النقدية العالمية بأحجام هائلة من السيولة التي راحت آنذاك تبحث عن وسائل مربحة للاستثمار . وكان أهم هذه الوسائل إقراض دول العالم الثالث دون مراعاة لطاقاتها على السداد ، ودون احترام لقواعد الاحترا س المالي من جانب الدائنين . ومن المفارقات المدهشة في هذا الخصوص ، أن اغراق هذه الدول بالديون قد حدث في الوقت الذي كان فيه الاقتصاد الرأسمالي العالمي يشهد ركودا اقتصاديا شديداً ، تمثلت أهم معالمه في انخفاض تراكم رأس المال ، ومعدلات النمو الاقتصادي ، وارتفاع معدلات التضخم والبطالة ، في آن واحد ، فضلا عن تراجع معدلات نمو الانتاجية . كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن هذا النمو الفلكي الذي سجلته ديون العالم الثالث قد تزامن أيضا مع البيئة المضطربة غير العادية التي كان يشهدها نظام النقد الدولي ، حينما انهارت اتفاقية « بريتون وودز » بإعلان

الرئيس الامريكي السابق نيكسون عصم العلاقة التي كانت قائمة بين الدولار والذهب في أغسطس ١٩٧١ ، منهيا بذلك عصر ثبات أسعار الصرف ، و « مدشنا » في الوقت نفسه عصر تعويم العملات ، واضطراب أحوال النقد العالمي ، ونمو عمليات المضاربة في الأسواق النقدية ، وهو الأمر الذي خلق للبلاد المدينة مشكلات عويصة بشأن عدم قدرتها على التنبؤ بالعبء الحقيقي لخدمة ديونها الخارجية ، في ضوء عدم استقرار أسعار الصرف وأسعار الفائدة المعوقة ، ناهيك عن نمو نزعة الحماية ضد صادراتها .

ودلالة ذلك كله ، ببساطة شديدة ، أن هناك ظروفا استثنائية غير عادية في الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، نسجت خيوطها المعقدة ، وهي تفرز أزمة المديونية العالمية . ولهذا يصبح من المنطقي لنا أن نقرر ، أن حل تلك الأزمة سيتطلب أيضا حلولا استثنائية غير عادية ، خاصة أن الحلول المالية و « التكنوقراطية » التي جربت حتى الآن ، مثل إعادة الجدولة ، والمزيد من الاقتراض ، والضغط على الواردات ، وتحويل الدين إلى أصول إنتاجية ، وبرامج التكيف الهيكلي لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، كلها قد ثبت عدم جدواها . بل بات واضحا الآن فداحة آثارها المدمرة على البلاد المدينة ، لأنها تعطل التنمية ، وتعتصر هذه البلاد لحساب دفع الديون ، وترهن موارد البلاد المدينة ومستقبلها في قبضة الدائنين . كما أن التوصل إلى هذه الحلول غير العادية أصبح ضرورة ملحة الآن ، أكثر من أي وقت مضى ، في ضوء الاحتمالات المتزايدة لانفجار هذه الأزمة عليها وتدميرها للدائنين والمدينين معا .

مقترحات لم يسمع لها أحد

لقد حاولت مجموعة البلاد النامية المدينة في السنوات الأخيرة ، عبر كثير من المؤتمرات والمنتديات والمحافل الدولية ، أن تطرح وجهات نظر معقولة جدا ، للتخفيف من عبء هذه الديون ، مثل مقترحات دول أمريكا اللاتينية في مؤتمر قرطاجنة ، ومقترحات الدول الافريقية في قمة هراري ، ومقترحات « الانكتاد » ومجموعة دول عدم الانحياز ، أملا في أن يتفهم الدائنون الموقف الحرج الذي تعيشه شعوب العالم الثالث ، من جراء تفاقم الدين وتعطيل التنمية . إلا أن تلك المقترحات لم تلق حتى الآن أي أذن صاغية من قبل الدائنين ، وإن كانت بعض الدول الدائنة ، مثل فرنسا ، قد قامت بإلغاء ديون بعض الدول الافريقية الفقيرة ، وقامت دول أخرى بإلغاء أجزاء من أصول ديونها المستحقة على بعض الدول ذات الوضع الحرج ، التي وصلت فيها الأمور إلى مستوى متفجر ، حيث تمور أوضاعها الاجتماعية والسياسية باحتمالات تفجر الثورة والتمردات الشعبية . فعدم تقديم التنازلات هنا ، قد يدفع هذه البلاد بعد يأسها ، أن تعلن بقرار منفرد منها توقفها عن الدفع ، وهو الأمر الذي قد يمثل بادرة تحتذى من صف طويل من البلاد المدينة . كما أن عدم التجاوب مع مطالب هذه البلدان قد يدفع بالقوى الوطنية واليسارية فيها لإحداث انقلابات « راديكالية » معادية للبلاد الدائنة ، وهو أمر لاشك يرعب الدائنين .

خلاصة ماسبق إذن ، هو أن الجو الآن أصبح مهيئا لتقبل وجهة النظر « الراديكالية » التي ما فتئت تطرح من حين لآخر ، وتنادي بإلغاء الديون المستحقة على العالم الثالث ، لأنه الحل الجذري للأزمة المتفاقمة الآن ، وهو حل تطور طرحه عبر مراحل تطور أزمة المديونية نفسها . فبادىء ذي بدء ، كان المنادون بهذا الاقتراح - وكاتب هذه السطور من بينهم - يرون التسوية العادلة لهذه الديون تتطلب إلغاء شطر مهم منها أثناء التفاوض على تسوية هذه الديون ، وأن هناك معايير موضوعية ، يمكن الاستناد عليها في

هذا الإلغاء . ذلك أن تراكم هذه الديون في السبعينيات قد انطوى ، في الحقيقة ، على علاقات استغلال واضحة ، وقعت البلاد المدينة ضحية لها . كما أن هناك مسئولية مشتركة بين الدائنين والمدينين ، وأخطاء فادحة ارتكبها الدائنون .

مقترحات ما قبل التفاقم

وفي كتابنا الذي صدر منذ أحد عشر عاما عن (أزمة الديون الخارجية ، رؤية من العالم الثالث ، القاهرة ١٩٧٨) ، وكانت ديون العالم الثالث آنذاك لم تتجاوز مبلغ ٣٢٥ بليون دولار ، حددنا عدداً من المعايير لإلغاء كثير من الديون ، من بينها :

● إلغاء جزء من الديون الذي يعادل قيمة فروق الأسعار العالمية ، حيث ثبت أن السلع والخدمات التي وفدت إلى البلاد المدينة ، في ضوء القروض التي حصلت عليها ، كانت أسعارها تزيد عن مستوى الأسعار العالمية وقت التوريد ، بما لايقل عن ٢٠٪ . وهو مايبدو واضحا في حالة القروض المقيدة Tied Loans التي ارتبطت بتمويل توريد صفقات سلعية وخدمية معينة من بلد الدائن .

● إلغاء الديون التي تمثل قيمة مشروعات أقامها الدائنون في البلاد المدينة ، ثم ثبت بعد ذلك فشلها ، وعدم جدواها ، بسبب أخطاء دراسات الجدوى ، وتوريد سلع ومعدات تقنية غير ملائمة لهذه المشروعات .

● إلغاء الديون التي استخدمت في تمويل شراء الأسلحة والأعتدة الحربية ، خاصة أن تلك الديون لا تعقد إلا في حالة « العلاقات الخاصة » التي يرتبط بها المدين مع الدائن ، وتوجد بينهما مصالح مشتركة سياسية ، وربما عسكرية ، وهو الأمر الذي يبرر هذا الإلغاء .

● إلغاء الديون التي استخدمت في تمويل ما يسمى مساعدات الغذاء ، أو تخفيضها بنسبة ارتفاع قيمتها فوق الأسعار العالمية وقت توريد هذه الأغذية للدول المدينة ، خاصة أن تلك الإمدادات الغذائية كانت تتم في ضوء شعارات براقة « إنسانية » ، تتنافى مع الشكل التجاري الذي تمت على أساسه . كما أن فائض السلع الغذائية الزراعية الذي استخدم في تمويل هذه القروض لم يكن له نفقة للفرصة البديلة Oppor-tunity Cost ، حيث أن الحفاظ على هذه الفوائض وتخزينها أمر مكلف تماماً ، وإغراق السوق العالمي بها كان من شأنه أن يخفض أسعارها عالميا .

وآنذاك لم يلتفت أحد من المسئولين في البلاد النامية المدينة إلى هذه المعايير وإمكانات التسلح بها عند التفاوض لتسوية الديون ، في وقت كانت المشكلة ما تزال في بدايتها .



الدول الدائنة تستفيد مرتين

أما الآن ، ومع النمو السرطاني لأرقام الديون المستحقة على دول العالم الثالث (١٤٥٠ بليون دولار في عام ١٩٨٨) ، ومع التطور الهائل الذي حدث في مبالغ خدمتها (الفوائد والأقساط التي بلغت في عام ١٩٨٦ حوالي ٩٦ بليون دولار) ، فإن طرح الإلغاء الكامل للديون أصبح يتزايد بشكل ملفت للنظر ، ويكتسب المزيد من الأنصار ، ويتسلح بكثير من الحجج الموضوعية .

وأول هذه الحجج ، أن البلاد الرأسمالية الصناعية قد استردت قيمة هذه الديون في شكل مزايا وعوائد مختلفة ، ساعدتها كثيراً على التخفيف من أزماتها الاقتصادية . ذلك أن تلك القروض الضخمة التي انسابت إلى هذه البلاد قد أدت ، وبشكل مباشر ، إلى زيادة صادرات السلع والخدمات من الدول الدائنة إلى الدول المدينة . حيث ان الشطر الأعظم من تلك القروض كان مقيداً ، أي مرتبطاً بشراء سلع وخدمات من الدول المانحة . وبذلك ساعدت تلك القروض على التخفيف من حدة البطالة ، وتعطيل الطاقات الإنتاجية ، وتقليل معدلات التضخم في البلاد الدائنة . بمعنى ، أنه لولا تلك القروض لكانت عمليات التردي التي حدثت في تراكم رأس المال والنشاط الاقتصادي في البلاد الرأسمالية الصناعية الدائنة أشد خطورة بكثير مما نعته بالفعل .

ومعنى ذلك أيضاً ، أن تلك القروض التي أعطيت للبلاد النامية يمكن النظر إليها على أنها كانت نوعاً من إعانات التصدير في البلاد المانحة التي ساعدتها كثيراً في تنشيط صادراتها ، وتقليل معدلات البطالة فيها ، والحد من حالات الكساد التي كانت تمسك بخناقها . ودليلنا على ذلك ، أنه بينما انخفضت صادرات البلاد الصناعية الرأسمالية فيما بينها ، في عقد السبعينيات والثمانينيات ، فإن صادراتها إلى البلاد النامية المدينة قد شهدت قفزات هائلة ، خلال مرحلة نمو المديونية في هذين العقدين .

والحجة الموضوعية الثانية التي تبرر إلغاء ديون العالم الثالث ، أن أسعار الفائدة المرتفعة قد مكنت البلاد الدائنة من نزح جانب كبير من الفائض الاقتصادي المتحقق في البلاد المدينة . وهذه الفوائد هي في التحليل الأخير ، دخول إضافية لايستهان بها ، مثلت موارد هائلة ، استفادت منها البلاد الدائنة . وقد قمنا بمحاولة سريعة لمعرفة حجم هذه الفوائد ، خلال فترة (١٩٧٥ - ١٩٨٦) ، فتبين لنا أنها وصلت إلى ٢٦٨ بليون دولار (المصدر : البنك الدولي ، جداول المديونية العالمية ١٩٨٨/٨٧ ، الجزء الأول ، ص ٣) ، وهي مبالغ التهمت تقريبا كل ثمار التنمية التي تحققت في الدول المدينة ، وتمثل في الوقت نفسه ، نسبة لايستهان بها من الدخول القومية في البلاد الدائنة . فإذا أضفنا إلى ذلك حجم الأرباح الهائلة التي تنزحها الاستثمارات الأجنبية المباشرة التي تملكها الدول الدائنة في الدول المدينة ، إضافة إلى الموارد التي تخسرها البلاد النامية من جراء علاقات التبادل اللامتكافئة في التجارة الدولية (تدهور شروط التبادل التجاري) ، فضلا عن الأموال الهائلة التي تهرب أو تهرّب من البلاد المدينة إلى البلاد الرأسمالية الصناعية ، والأرباح الناجمة عن صفقات السلاح الذي يورد للبلاد المدينة ، لاتضح لنا مدى هول الاستغلال الذي تئن من وطأته البلاد النامية في تعاملها مع المراكز الدائنة في منظومة الاقتصاد الرأسمالي العالمي .

استحالة التسوية

والحجة الموضوعية الثالثة التي تبرر ضرورة إلغاء ديون العالم الثالث تقول : إن هذا الإلغاء

ممكن أن يكون خطوة مهمة للخروج من الأزمة الاقتصادية العالمية . ذلك أن هذا الالغاء سوف يوفر موارد مالية هائلة للبلاد المدينة . وحينها تستغل هذه الموارد في التنمية ، وزيادة مستوى معيشة البلاد المدينة ، فإن واردات هذه البلاد من الدول الصناعية الدائنة سوف تتزايد ، وسوف تدور معها عجلات الإنتاج والاستثمار والعمالة والتصدير في الدول الدائنة .

ويرى الرئيس الكوبي ، فيدل كاسترو الذي يناصر إلغاء الديون ، أن هناك استحالة اقتصادية وسياسية وأخلاقية تمنع من تسوية هذه الديون . أما عن الاستحالة الاقتصادية ، فإنه في ضوء تردي الأحوال الاقتصادية في البلاد المدينة ، فإن استمرار دفع هذه الديون لن يعني إيقاف التنمية فحسب ، وإنما الرجوع للتخلف ، وهو أمر يصعب قبوله . أما الاستحالة السياسية فتعني أنه في ظل تدهور مستوى المعيشة ، وتزايد البطالة والفقر ، فإن الإصرار على تسوية هذه الديون سيتم من خلال تضحيات لاتطاق . وجحيم لاقبل لأي شعب بتحمله . وقد يتطلب الأمر فرض « الديكتاتورية » وسفك الدماء لإرغام الشعب على قبول السياسات الانكماشية التي تهدف لتوفير موارد تكفي لدفع الدين . أما الاستحالة الأخلاقية ، فإن كاسترو يعد البلاد النامية هي الدائنة للدول الرأسمالية الصناعية ؟ وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار « الكميات الخرافية من الذهب والفضة التي تم استخراجها من أحشاء الشعوب ، والتي تكلست عبر القرون بعرق ودماء شعوبنا ، والتي قامت بتمويل عملية التطور في العالم الصناعي الذي يمثل الآن الدائن ، ويطالب بالسداد » . ناهيك عن أشكال الاستغلال والنهب المستمر لموارد هذه البلاد في ظل إطار العلاقات الاقتصادية الدولية غير المتكافئة .

هناك إذن مجموعة من الحجج القوية التي تبرر إلغاء هذه الديون . بيد أن السؤال الذي يثار الآن هو : ألن يسبب هذا الإلغاء تدميراً للبلاد الدائنة ، وبخاصة لنظامها المصرفي ؟ ومن سيتحمل كلفة الإلغاء ؟ وكيف تمول هذه الكلفة؟

إن الكلفة المتوقعة من هذا الإلغاء تدور حول ترليون دولار ، وهو مبلغ يمكن أن تتحمله البلاد الرأسمالية الصناعية ، ولن يسبب لها تدميراً . ويقول كاسترو في هذا الخصوص . « لقد استطاعت البلاد الرأسمالية الصناعية الدائنة ، خلال عصر فورة أسعار النفط ، أن تدفع زيادة في قيمة وارداتها من النفط بما لايقل عن ترليون دولار خلال هذه الفترة ، ولم يؤد ذلك إلى تدمير اقتصادياتها ، بل من الثابت أن حركة التجديدات في الإنتاج والنمو لم تتوقف ، واستطاعت تلك البلاد أن تتحمل هذه الكلفة » . ويعتقد كاسترو ، أنه من الممكن تدبير هذا المبلغ من خلال إحداث خفض في نفقات التسليح ، وإصدار سندات مدتها عشر سنوات . مقابل هذا الخفض . تعطي للمصارف والهيئات الدائنة . مقابل ديونها المستحقة عن العالم الثالث . وبذلك لن تتأثر المصارف (البنوك) .

على أننا نسارع هنا بالتنبيه على أن إلغاء الديون ، وإن كان يمثل حلا « راديكاليا » وجذريا ، إلا أنه بالنسبة لدول العالم الثالث المدينة ، يجب أن يكون ذلك نقطة الانطلاق . فليس هناك ما يضمن وقوعها مرة أخرى ، في فخ الديون وتزايد التبعية وحصار عملية التنمية ، مالم تعد النظر في خياراتها الاقتصادية والاجتماعية ، على النحو الذي يؤهلها لبناء تنمية مستقلة ، معتمدة على الذات ، وهو أمر يتطلب تعديلا حاسما في أنماطها الانتاجية والاستهلاكية والاستثمارية ، بما يتناسق مع هذه التنمية ، ويتمشى مع أوضاعها الاجتماعية والمرحلية ، وبما يعدل وضعها في منظومة الاقتصاد الرأسمالي العالمي . وتلك قصة أخرى . □

اقرأ في عدد ديسمبر ١٩٨٩ من مجلة

العربي

استطلاعات ملونة

- الزراعة التجميلية في دولة صحراوية ! — سليمان الشيخ
- الحاسوب في مدارس الكويت — ريم الكيلاني
- زيمبابوي سنوات الاستقلال.. أحلام وهموم — محمود عبدالوهاب

حروب لصالح البشر !	د. فؤاد زكريا
لو آمن أحدكم !	د. عبدالسلام العجيلي
ملكية القطاع العام.. إعادة نظر	د. سلطان أبو علي
تكامل الوعي والعمل الأدبي	عبدالرزاق البصير
الانتفاضة والمجتمع الاسرائيلي	توفيق أبوبكر
من دفتر الذكريات	يحيى حقي
رحلات الى أعماق الفضاء	طاهر شكر القيسي
علاقة الأغذية بالسرطان	د. أحمد كرزة
تعريب التعليم الجامعي	د. سعد واصف
الزاهري .. أديب مناضل من المغرب العربي	د. صالح الخرفي

وجها لوجه : فؤاد التكرلي و ماجد السامرائي

واقرأ أيضاً للكتاب : د. محمد الرميحي - غانم طعمة فرمان - زهور ونيسي - فرج العنتري - د. مصطفى عبدالغني - سعد شعبان - عبدالإله نبهان - عامر العاني

شعر محمد القيسى



سحر ورمان لآسيا
سحر مىسى
وهوى سىلسل في الخفاء
ورعشه في الريح عطيا
سحر على أنى سلم
ولىس ىعرف كىف أدمى
سحر لأحىى وهي ىعىر راىه وىلىم عىىا
سحر لأعىه للىلاي والسهوب ىوىححىب
عىا ولما
آحب ىلدي وأرحب ىعلم روحي
أ حب حدىلها للىولي و ىىهى
ىمس على مىدىل أىحار
و ىه ععىطه ىىل
وىمىي
سحر واعىاب لآسيا
سحر وأعرو طويلا مىل أن
ىعرى على لصحر كرما
سحر وأقرأ سىر لىماع ىىمو صاعد
ىوما ىىوما
وىعول لي وأقول
ىرمون على جىىس مدىي
سىحان من أسرى ىىا
لىرى لذي ىىحا إذ عىار أسيا

أضــــواء عـــلى

بقلم : الدكتور لطفي فطيم*

مع تطور الحياة وتعقدها تعددت مناهج البحث ، وانقسمت مختلف العلوم ، وتنوعت في التخصصات . ومنها علم النفس الذي تفرعت منه تخصصات عديدة ، منها علم النفس العام ، وعلم النفس الصناعي ، والاجتماعي ، وأخيراً علم النفس السياسي . فما مكونات هذا العلم الجديد ؟ وما مجالاته وميادينه ؟

عندما يرى القارىء عنوان هذا المقال ، فغالبا ما سيتبادر إلى ذهنه أننا سنبدأ بتعريف هذا العلم ، وتحديد مجاله وقضاياه الأساسية ، وطرق البحث فيه ، ثم نأتي بأمثلة تطبيقية أو دراسات ميدانية ، حتى تكتمل الصورة ، ويتم التعرف على هذا العلم الجديد .

لكن ـ لسوء الحظ ـ لا يمكن تقديم صورة بهذا التحديد لذلك العلم الجديد ، حيث إنه تخصص ناشىء ، يحاول شق طريقه للوجود . كما أنه ، في حقيقته ، ليس إلا فرعا من فروع علم النفس ، ذلك العلم الذي يعاني من عدم اعتراف بعضهم بتفسيراته ونظرياته .

إلا أننا نستطيع أن نقول ـ دون خجل ـ : إن علم النفس السياسي قد اشتد عوده خلال السنوات العشر الأخيرة . صحيح أنه ما يزال تخصصاً صغيرا ، لا يعرفه كثيرون ، وليس له كرسي أكاديمي معروف ، ولكن توجد على الأقل « الجمعية الدولية لعلم النفس السياسي » ، ويزيد عدد أعضائها على ألف ، ولها مجلة فصلية محكمة ، هي مجلة « علم النفس السياسي » ، كما ظهرت عدة كتب « أكاديمية » في مجاله .

علم متعدد الاختصاصات

علم النفس السياسي ، بحكم موضوعه ، مجال متعدد الاختصاصات ، فقد جذب إلى ميدانه أصحاب علم النفس الاجتماعي ، ونظريات الشخصية ، وعلم النفس المرضي و « الكلينيكي » ، مثلما جذب أصحاب علم السياسة والاقتصاد السياسي والعلاقات الدولية ، والمؤرخين ، وأصحاب الطب

* كاتب وأستاذ علم نفس من القطر العربي المصري ، يعمل في كلية التربية الأساسية ـ الكويت

النفسي ، إلى جانب أصحاب علم الاجتماع « والأنثروبولوجيا » ، ورجال القانون والتربية .

وقد ظهر إلى الوجود استجابة للمشكلات السياسية الملحة لعصرنا الحالي ، خاصة تلك التي تمتد نتائجها وأبعادها ، بحيث تؤثر تأثيرا مدمرا في بني البشر ، مثل وصول بعض المجانين إلى قمة السلطة ، وظهور الأنظمة الشمولية ، وخطر الدمار النووي ، والصراع العربي « الاسرائيلي » ، وتحول المستعمرات السابقة إلى دول مستقلة ، والقضاء السافر على حياة الإنسان وحقوقه الإنسانية بحجج سياسية ، وغيرها من المشكلات المتجددة .

وسوف نحاول عرض هذا العلم الجديد من خلال تناول بعض قضاياه الرئيسية ، كما ظهرت تاريخيا . ولعل أول مؤلف كبير فيه هو كتاب « الطبيعة الإنسانية في مجال السياسة » الذي نشره جراهام والاس عام ١٩٢١م . وقد فسر المؤلف النشاط السياسي للبشر وفقا للأفكار التي سادت في وقته ، فاستند إلى قول دارون بتحكم الغرائز والانتخاب الطبيعي واللاعقلانية ، فكانت مصادر الحياة السياسية عنده هي حكم العامة ، ولا عقلانية اتخاذ القرار لدى الصفوة .

وخلال العقود الثلاثة التي تلت سادت نظرية التحليل النفسي الفرويدي ، وما تزال ، وبدأت تقاليد هذا الاتجاه الذي فسر السياسة من خلال شخصيات القادة والزعماء بكتاب فرويد عن ليوناردو دافنشي ، ثم بتحليله للمجتمع في كتابيه الصغيرين « مستقبل وهم » و « الحضارة ومنغصاتها » ، وأصبح التحليل الذاتي النفسي لسير بعض الناس ودورهم في السياسة هو الاهتمام الأساسي ، بل أصبحت المعالجة النفسية للسياسة ببساطة هي مراجعة أثر الشخصية في السياسة . ومن الواضح أن مثل هذه المعالجة هي تناول ضيق الأفق ، ولكن آثار شخصيات الزعماء والقادة على الحياة السياسية للبشر كانت شيئا جذابا لا يمكن إنكار دوره .

الشخصية وعلم النفس السياسي

ويثير « دور الفرد في التاريخ » عددا من المسائل النظرية والمنهجية . ومن وجهة نظر علم النفس فإن أوسع معالجة للموضوع هي التي تتناول الموقف في مواجهة الطبع . وهو الأمر الذي شغل بال أصحاب نظريات الشخصية من جهة ، وأصحاب نظريات البحث عن دوافع السلوك وتفسير أسبابه من جهة أخرى ، وعندما ننظر إلى السياسة من هذه الزاوية فإن المسألة تتحول إلى « الإنسان في مواجهة الظروف » ، وتظهر هذه القضية بوضوح في حالات اعتلاء نواب الرئيس لمنصب رئيس الولايات المتحدة في ظل ظروف طارئة ، فهل نجح هؤلاء في القيام بدورهم السياسي ، لأنهم كانوا يتصفون بصفات شخصية معينة ، أم لأن ظروف الموقف فرضت ذلك ؟ ويميل بعضهم إلى القول بأن النجاح كان مرتبطا بالموقف .

ويميل معظم أصحاب علم النفس إلى تعريف الشخصية من خلال طباع أو استعدادات عامة ، تدفع المرء إلى السلوك بطريقة معينة ، بصرف النظر عن الزمن والموقف والدور . وقد وجد هذا الاتجاه ـ أي التركيز على الطبع ـ سندا قويا في النصف الأول من القرن العشرين ، في الأفكار والتعاليم نظرية التحليل النفسي والقياس النفسي ، ولكنه تعرض للانتقاد في النصف الثاني من هذا القرن ، حيث اتضح أن نتائج الدراسات لا تكشف عن ذلك الاتساق المحكم بين السلوك والشخصية في مختلف المواقف . كما ادعى أصحاب نظريات الشخصية . ولذلك اتجه أصحاب علم النفس السياسي إلى بحث تشكيلة متنوعة من الطبائع أو مكونات الشخصية ، بما في ذلك الاتجاهات والدوافع وطريقة اتخاذ القرار وأساليب التفاعل مع الآخرين والاستجابة للضغوط والشدائد .

ويستتبع دراسة الشخصية مسألة : من سيصبح قائداً سياسيا ، أو ما علاقة ذات القائد بقضايا شعبه وهمومه ؟ . في مقال لاسويل (١٩٣٠) ، وهو من أوائل من كتبوا في هذا الموضوع ، أن الصراعات الفردية الداخلية الشخصية تنقل أو تزاح إلى المسائل والقضايا العامة ، بحيث تصبح هموم الفرد هي هموم الشعب ، وتتخذ الصراعات الداخلية شكل المصالح العامة ، وأن الناس تدخل أو تندفع إلى المخيلة السياسية تحت وطأة أسباب عصابية شخصية . وبناء على ذلك قال فيما بعد (١٩٤٨) : إن الحاجة التعويضية إلى السلطة هي دافع ذو قوة خاصة لدى السياسيين لكن وجهة النظر هذه وجدت من يعارضها ويؤكد أنه لكي يكون المرء سياسياً ديموقراطياً ناجحاً يجب أن يتمتع بشخصية متوازنة صحيحة نفسياً . ولقد كانت درجة الصحة النفسية للقادة السياسيين موضع شد وجذب بين كثيرين من كتاب علم النفس السياسي ، ومن أوائل من كتبوا فيها عالم النفس الامريكي المعروف اريك فروم الذي عرض مفهوم النرجسية (أو حب الذات والولع بها) لدى القادة السياسيين ، بوصفه دافعا قويا للسلوك السياسي . فيتميز هؤلاء القادة بدرجة عالية من النرجسية ، بل يمكن اعتبارها من أمراض المهنة . أو من مزاياها !!

نرجسية القادة السياسيين

ولكن القائد النرجسي لا يستخدم سحره ، وهو ما يسمى الكاريزما (charisma)، كوسيلة للنجاح السياسي فحسب ، بل هو يحتاج لمثل هذا النجاح والتصفيق من أجل الاحتفاظ بتوازنه النفسي والعقلي ، ففكرة عظمته وتنزهه عن الأخطاء يستمدها أساسا من أوهام النرجسية وخيلائها ، وليس من إنجازاته الحقيقية كإنسان ، ولا يعني هذا أن القائد مجرد « فقاعة جوفاء » ، أو أنه « خدعة كبرى » ، فقد يصح ذلك أحياناً ، ولكنه لا يصح دائماً . فكان وودرو ويلسون ، وفرانكلين روزفلت ، ونستون تشرشل ، مثلا من الشخصيات الشديدة النرجسية ، ومع ذلك فلم تكن تنقصهم الإنجازات السياسية المهمة .

ويعتقد اريك فروم أن مفهوم النرجسية من المفاهيم الكبرى التي أتى بها فرويد ، ولم تلاق حظها من العناية ، حيث اقتصر استخدامها على مجال الطفولة وتفسير الذهان . ولكن أهميتها العظمى تكمن - فيما يرى - في دورها بالنسبة للشخص العادي ، أو ما يسميه « الشخصية العصابية » ، فنحن جميعاً عصابيون . ويمكن فهم النرجسية عندئذ بأنها حالة من الخبرة ، يخبر فيها الشخص وحده دون سواه ، جسمه وحاجاته ومشاعره وأفكاره وممتلكاته ، أي كل شيء وكل شخص ينتمي إليه ، يخبر هذه الأشياء جميعا باعتبارها حقيقية واقعية ، تدفع سلوكه ونشاطه . أما كل شيء آخر ليس جزءا منه أو لا يكون موضوعا لحاجة من حاجاته فلا أهمية له ، وليس واقعياً ، ولا يدرك إلا من خلال التصرف العقلي ، بينما يكون من الناحية الوجدانية لا طعم له ولا رائحة . وكل شخص - على قدر نرجسيته - له مقاييس للأشياء ، أو يكيل بمكيالين ، فكل ماله علاقة بشخصه له أهمية ووزن ، أما بقية العالم فلا قيمة له بدرجة أو بأخرى ، ولذلك نجد الشخص النرجسي يعاني من نقص حاد في القدرة على الحكم ، كما تنقصه القدرة على الموضوعية ، ويظهر ذلك بجلاء في مظاهر الخيلاء والعظمة الجوفاء . وهناك نوع آخر من النرجسية ، قد يبدو مناقضا ، ولكنه وجه آخر للشيء نفسه ، وهو ما يسمى « النرجسية السلبية » ، حيث يهتم الشخص اهتماماً مستمرا ومبالغا فيه بصحته ، يظل إلى درجة التوهم المرضي (الهيبوكوندريا) .

ولا يهمنا هذا المظهر كثيرا في مجال علم النفس السياسي ، ولو أن الجانبين يمتزجان ويتداخلان ، ويكفي أن نشير إلى هوس « هتلر » - قائد الصاعقة النازي - بصحته . ويمتلىء التاريخ بأمثلة القادة الذين كان هوسهم بصحتهم مضرب الأمثال .

وغالبا ما يحقق النرجسي إحساسا بالأمان من خلال اقتناعه الذاتي التام بكماله وتفوقه على الآخرين وصفاته غير العادية ، ولا يكون ذلك عن طريق ارتباطه بالآخرين ، أو أي إنجاز حقيقي يقوم به هو نفسه ، وإنما من خلال ما ينعكس على ذاته من تقدير الآخرين له ، فتتضخم ذاته تضخما نرجسيا ، ويزداد تعلقه بهذه الصورة ، حيث إن قيمته وهويته تقومان عليها . وإذا تجرأ أحد على جرح نرجسيته ، بأن قلل من شأنه ، أو انتقده أو كشف زيفه ، ثارت ثائرته ، وأصبحت هناك مؤامرة عليه ، بل وعلى الأمة كلها . ولعل ذلك واضح من كثرة المؤامرات التي تكشفها أجهزة القائد أو تختلقها ، وأحكام الإعدام والخيانة العظمى التي تصدر على أعدائه . وتتضح شدة هذه الاستجابة العدوانية في حقيقة أن هذا الشخص لا يغفر أبداً لمن أساء إليه وجرح نرجسيته ، ويظل على الدوام يبحث عن الانتقام . ولعل في إصرار ضياء الحق على إعدام بوتو ، وقيام نميري بإعدام محمود طه ، شيئا من تلك النرجسية المجروحة . وعلى أي حال فإن الكثيرين لا يعون بنرجسيتهم هذه ، حيث إنها تتبدى في مظاهر لا تكشف عنها بشكل مباشر ، وتتخفى في قضايا سياسية عامة .

دوافع السلوك السياسي للقادة

غير أن النرجسية وحدها لا تكفي لتفسير التشعبات والتفرعات في سلوك القادة السياسيين ، وقد حاول أصحاب علم النفس السياسي تقديم أنماط متعددة الأبعاد ، حتى تستطيع استيعاب الاختلافات والفروق في توجهات هؤلاء القادة . فاقترح لاسويل (١٩٣٠) ثلاثة أنماط للقادة السياسيين هي : المثيرون أو المهيجون ، والإداريون ، والمنظرون . وأضاف باربر (١٩٦٥) نمطا هو : المشرعون . وقدم ستيورات (١٩٧٧) عدة أنماط للسياسيين السوفييت . ومن أشهر التفسيرات النفسية المعاصرة لسلوك الرؤساء ترجمة مازليش (١٩٧٧) لحياة ريتشارد نيكسون ، إذ يقول : إن حاجة نيكسون للمخاطرة بالفشل هي التي أودت بمستقبله السياسي في فضيحة ووترجيت . فهو دائما في حاجة إلى إثبات نفسه ووجوده ، ولذلك فهو يختلق الأزمات حتى يجاهد خوفه من الموت ، وذلك بالإضافة إلى بعض السمات الكامنة كالشك والتوجس والانعزال الاجتماعي وصعوبة اتخاذ القرار والحاجة إلى إيجاد عدو انفعالي يصب عليه جام غضبه .

وعاد باربر (١٩٨٥) فقدم تقسيما للرؤساء الأمريكيين ، وقال : إن أخطر الأنواع هو ما سماه « السلبي النشط » ، مثل وودرو ويلسون ، وهربرت هوفر ، وليندون جونسون ، وريتشارد نيكسون . ويتميز هذا النمط بالمبالغة في الاهتمام بالذات ، واتباع مبدأ الكل أو لا شيء ، وإنكار إرضاء النفس ، والاهتمام الشديد بالتحكم في العدوان ، وعندما يتهدد مثل هذا الشخص خطر ما فإنه يميل إلى التصلب ، أو يتمسك بعناد بسياسة فاشلة ، وقد يركز غضبه على عدو شخصي ، ويجعله عدواً للأمة كلها .

وفي البحث عن دوافع السلوك لدى القادة السياسيين ، اعتبر أصحاب علم النفس السياسي أن هناك حاجات بعينها ، لها قوة دفع متميزة ، خاصة الحاجة إلى السلطة . وأثرت فكرة هرم الحاجات عند « مازلو » على فكر أصحاب علم النفس السياسي ، فاعتبر

كنوتسون (١٩٧٣) أن النشاط السياسي لا يحدث إلا إذا أشبعت أولا بعض الحاجات الأساسية . واعتبر انجلهارت (١٩٨١) أن رخاء ما بعد الحرب العالمية الثانية هو الذي خلق تنوع الحياة السياسية ، حيث إن الحاجات الأساسية للحياة قد أشبعت . وقال رونهان (١٩٨٤) : إن الأنشطة اليسارية القوية في الستينيات إنما نشأت لإشباع حاجات نرجسية قوية .

الاقتصاد والسياسة

ومن القضايا الخلافية التي انقسم الرأي بشأنها في علم النفس السياسي دور العوامل الاقتصادية أو الواقع الاقتصادي في الحياة السياسية للقادة أو للجماهير . فهل الاقتصاد هو محرك التاريخ ؟ وهل تتكون الآراء السياسية تحت تأثير الضغوط الاقتصادية فحسب ، وألا يعبر الاقتصاد عن نفسه في نهاية الأمر بسلوك وتكوين نفسي معين ؟

هناك المدرسة الماركسية التي ترجع السلوك السياسي كله إلى حاجات الإنسان ، خاصة احتياجاته المادية ، ويكون القائد السياسي هو المعبر عن هذه الحاجات ، بحيث تصبح هذه الحاجات حاجاته هو نفسه . ولكن حدثت تعديلات متعددة في هذه النظرة لدى الماركسيين أنفسهم وعلى الجانب الآخر نجد تنويعا على هذه الفكرة . فالحياة الاقتصادية تؤثر ولكن تأثيرها عام هش . فاعتبر كرامر (١٩٧١) أن الظروف الاقتصادية بشكل عام تلعب دورا بارزا في نتائج الانتخابات . ويرى كندر (١٩٧٩) أن حكام الناخبين (في البلاد التي تحدث فيها انتخابات حرة) يسيطر عليهم التقدير العام والأحكام العامة بشأن الحياة الاقتصادية أكثر من سيطرة حاجاتهم هم المباشرة . وهي مسألة خلافية في علم النفس السياسي ، ترتبط بالتوجهات الأيديولوجية للباحثين . فكيف يمكن القول بأن المصالح الذاتية المباشرة تلعب دورا أقل في تحديد اتجاهات الناخبين . ومع ذلك فقد أيدت نتائج عدة بحوث هذه الفكرة . ولكن يبدو أن الانتماء الحزبي والتعصب العرقي يلعبان دورا أكبر ، والظاهر أن المصالح الذاتية تبرز على السطح ، وتكون أكثر فاعلية ، عندما تكون المكاسب إيجابية وواضحة للجميع ، أو عندما تهدد هذه المصالح تهديدا مباشرا وقويا ويكون الحل السياسي مؤكد الفاعلية . إلا أن الشواهد تشير إلى أن مثل هذا الوضع نادر الحدوث في الحياة السياسية العادية .

على أن الملاحظ على نطاق العالم في الفترة الأخيرة أن الظروف الاقتصادية الذاتية المباشرة أدت إلى تحركات سياسية عنيفة ، خاصة في الدول الفقيرة ، ولكنها لم تؤد إلى ظهور قادة سياسيين بالمعنى الأوسع لكلمة قائد سياسي

السلوك السياسي والرأي العام

وترتبط بمسألة العامل الاقتصادي مسألة أخرى ، ذات خطر ، وهي الرأي العام . فهل يوجد فعلا ما يسمى الرأي العام ؟ وإذا وجد فهل يمكن الوثوق به ؟ وهل يتصرف الموضوعي تجاه الوقائع والأحداث السياسية بمنطق وعقل ؟ يرى بعضهم أنه لا يمكن الوثوق بالرأي العام ، وأنه غير متسق ولا منطقي . كما أن أجهزة الإعلام في العصر الحديث تزيف هذا الرأي العام ، ويستحيل أن تقدمه على حقيقته ، وإنما تلونه باللون الذي تختاره ، بحيث أصبح المرء لا يثق في استفتاءات الرأي العام . ويترتب على ذلك مسألة مشاركة الناس في الحياة السياسية التي تتراوح من مجرد الإدلاء بالأصوات في الانتخابات إلى الاشتراك في المظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات ، والانتماء إلى مختلف المنظمات عن يقين واقتناع ، أو تولي المناصب السياسية والعامة .

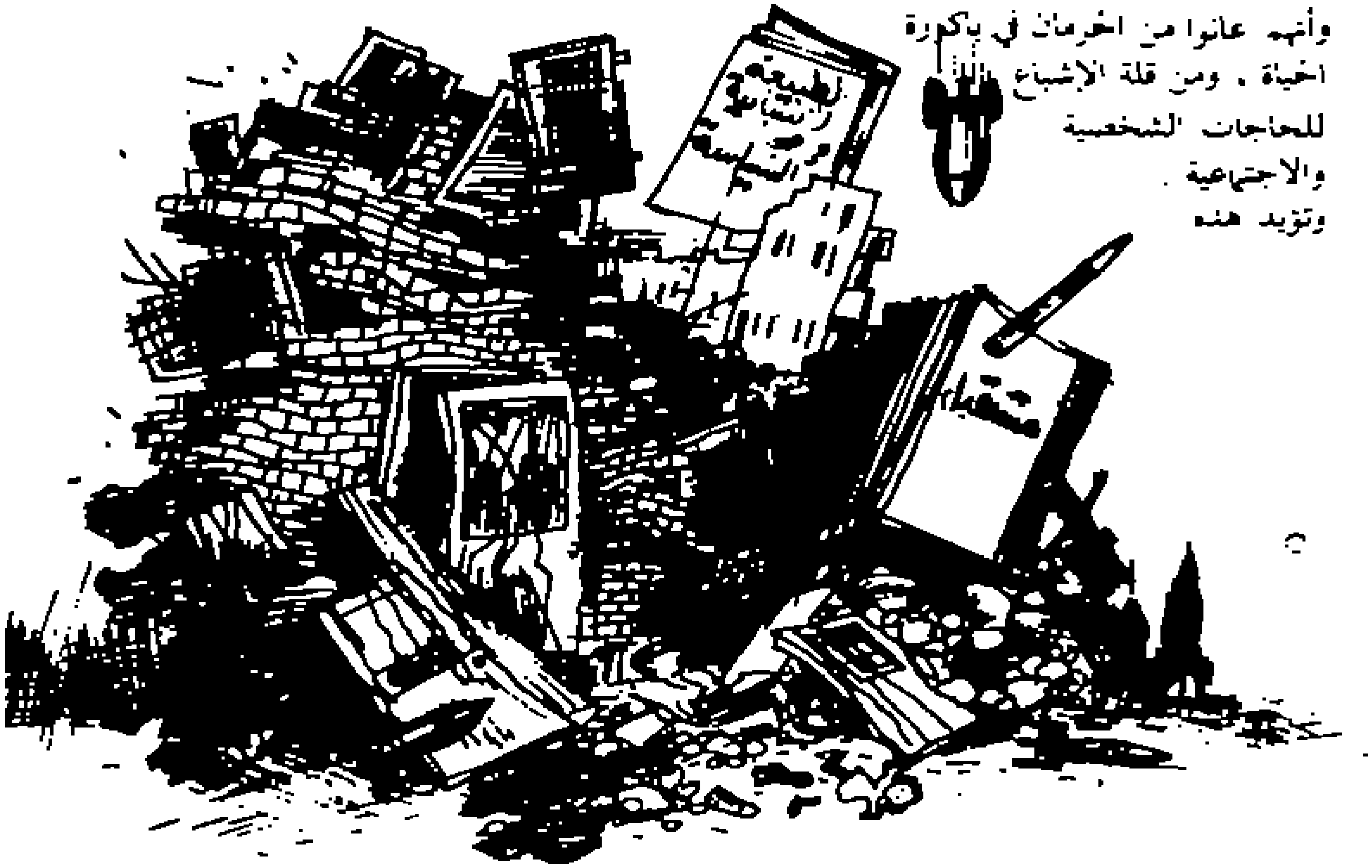
ونجد هنا أيضا مزيجا من التفسيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ومع ذلك فللتفسيرات النفسية دورها أيضا . فمن أهم عناصر الإيجابية السياسية إحساس المرء أن صوته له قيمة ، وأن مشاركته ستسهم في تغيير الأوضاع . ولا ريب أن عزوف الكثيرين عن المشاركة في الحياة السياسية راجع في ذلك الاتجاه النفسي بالإحساس بعدم الجدوى واللامبالاة . وأن الانتخابات في جميع الأحوال لن تأتي بجديد .

وانقسم الرأي ونتائج البحوث في هذه القضية كذلك . فبينت دراسات الرأي العام ـ على عكس ما ادعى لاسويل سابقا ـ أن الاشتراك في الحياة السياسية يدل على شخصية سوية ، ذات احترام لنفسها ، وعلى درجة من الإحساس بالاطمئنان والكفاءة . ولكن بينت دراسات أخرى لحالات بعض القادة السياسيين أنهم عادة ما يحسون بعدم الاطمئنان ، وأن نصيبهم قليل من تقدير الذات ، وأنهم عانوا من الحرمان في باكورة الحياة ، ومن قلة الإشباع للحاجات الشخصية والاجتماعية . وتؤيد هذه الدراسات ما ذهب إليه لاسويل من أن الاندماج في الحياة السياسية هو نوع من تعويض الإحساس بالعجز أو النقص .

وتتعرض دراسة سير الحياة النفسية للقادة السياسيين (السيكوبيوجرافيا) إلى الهجوم والنقد من حيث انها تكون عادة متميزة وملونة بوجهة نظر الكاتب .

التربية السياسية

أدت دراسات التحليل النفسي وتركيزها على نمو الشخصية ، وكذلك البحث عن الاستعدادات والميول مثل الانتماء إلى الأحزاب ، والتعصب بأشكاله المختلفة ، واللامبالاة ، وكراهية السياسة ، أدى كل ذلك إلى نشوء الاهتمام بالتربية السياسية للنشء .



وظهرت دراسات تفسر تنوع الاهتمامات السياسية بتنوع التربية السياسية . وبحثت هذه الدراسات في صفات المواطن الصالح ، والولاء للنظام ، وخضوع السلوك للقانون ، ومراعاة قواعد اللعبة السياسية . وبيّنت بعض النتائج أن الميل لتأييد النظام يعتمد بشكل عام على قدرته على حفظ الأمن والنظام . وأدى ذلك إلى نشوء فكرة أن التربية السياسية أساسية في تمكين التأييد للنظام . ولوحظ في الولايات المتحدة أن تفكير الأطفال السياسي يدور دائما حول رئيس الجمهورية ، وفُسّر ذلك بأن الرئيس يحتل مكانة الأب في نفوسهم . ولكن هذا التفسير ناهضه تفسير آخر يقول : إن اتجاهات الطفولة لا تستمر حتى المراحل المتأخرة من الحياة ، ومن ثم فإن تفسير السلوك السياسي بالتعلم الاجتماعي قد يكون أعمق وأقوى دلالة . ويقصد بالتعلم الاجتماعي التعلم القائم على المحاكاة ومراعاة التقاليد والأعراف . وأظهرت دراسات أخرى وجود عوامل أبقى أثرا في السلوك السياسي كالتصويت مثلا ، وهذه العوامل هي الحزبية والايديولوجيا والطبقة ، والعرق ، والدين ، والمنطقة الجغرافية ، وأن هذه الاتجاهات تكتسب مبكرا في الحياة ، مما لفت النظر إلى ضرورة البدء بالتربية السياسية منذ الطفولة .

وتزداد أهمية علم النفس السياسي ، ويزداد لجوء المفكرين إلى إسهاماته ، بسبب اتساع مجال السياسة ، خاصة في نهاية القرن العشرين ، فقد زاد الوعي السياسي لدى الشعوب بصفة عامة ، وحدثت تحولات جذرية في أكبر قوى دولية في العالم ، وأدركت مجتمعات بأسرها خطورة ترك مقاليد أمورها في أيدي كبار السن المصابين بتصلب الشرايين وغيرها من أمراض الشيخوخة ، وأصبح السلوك السياسي وفهم جذوره النفسية وعلاقته بالشخصية من الأمور التي تحتل تفكير المواطن والمثقف العادي .

ما هو الجديد

ولعل أحد وجوه جاذبية هذا العلم الجديد ، هو تحرره النسبي وانفتاحه ، وعدم وجود الكثير من القواعد الصارمة ، مما يسمح بالكثير من الأصالة والابتكار والخيال ، بشكل أكثر مما تسمح به علوم أخرى راسخة القدم . وهذا هو السبب أيضا في أن الغث يختلط بالسمين في مجال هذا العلم .

والذي لاشك فيه أن علم النفس السياسي قد جمع بين مسالك متعددة ، كانت موزعة قبل ذلك في مجالات العلوم الإنسانية التقليدية ، وذلك بسبب رؤيته المتميزة للسلوك السياسي التي تصدر عن زوايا للرؤية مختلفة عمّا درج عليه القدماء ، مثل الاتصالات ، والضغوط ، والعلاقات بين الأشخاص ، واللامعقولية ، وما إلى ذلك . ومصدر الخصب والنماء في هذا التخصص الجديد هو ما نراه هذه الأيام من تزايد نفوذ الاقتصاد السياسي داخل علم النفس السياسي ، وهو - كما هو معلوم - يقدم رؤية مختلفة تماما للسلوك الإنساني ، مما يبشر بمزيد من التفاعل الخصب الخلاق .□

البخيل المخلص

قال بخيل لخادمه : « هات الطعام وأغلق الباب ، فقال الخادم : هذا خطأ يامولاي ، فإنما يقال : أغلق الباب وهات الطعام ، فسر منه سيده وقال : أنت حر لوجه الله لوفرة معرفتك » .

حول البرامج الأجنبية في التلفزة العربية

بقلم : الدكتور بدران عبدالرزاق بدران

منذ سنوات ، أثناء مناقشة منظمة اليونسكو لنظام اتصال عالمي جديد ، أثيرت تحذيرات من خطورة السيطرة الأمريكية على مجالات البث التلفازي العالمي ، وتأثيره السلبي على الثقافات القومية ، وهذا المقال يناقش القضية نفسها ، من زاوية عربية ، لكل البرامج الأجنبية .

إن دراسة أثر التلفاز وبرامجه على أي مجتمع هي من القضايا الملحة على أكثر من صعيد ، ولدراسته ينظر الإعلاميون عادة إلى عدة مؤشرات ، منها :ـ معدلات امتلاك أجهزة التلفاز في المجتمع ، وعدد محطات الإرسال ، ومدى تغطيتها لمساحة الوطن كله ، ومدة البث التلفازي ، ونوعية البرامج التي يتم بثها ، ومدى تفاعلها مع البيئة المحلية والجمهور ، ومتوسط ساعات المشاهدة ، وكذلك نسبة البرامج المنتجة محليا إلى المستوردة منها .

وسنركز اهتمامنا على النقطة الأخيرة ، في محاولة للتعرف على العوامل التي تقف خلف برمجة الدورات التلفازية العربية ، بمضامينها المحلية ، والمستوردة ، والتأثير المفترض لهذه البرامج على مستوى ثقافة المشاهد العربي .

تشير آخر الدراسات إلى أن محطات التلفزة العربية تستورد مابين ٤٠٪ - ٦٠٪ من برامجها من مصادر أجنبية ، أهمها الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا والمانيا الغربية . وتحتل هذه البرامج مركزا مرموقا في البث التلفازي اليومي ، نظرا لأن معظمها برامج ترفيهية ، وإذا علمنا أن البرامج الترفيهية تحتل المرتبة الأولى في البث التلفازي العربي ندرك الأهمية التي تحظى بها هذه البرامج التي تعرض غالبا في ساعات المشاهدة المركزة ، بين السابعة والعاشرة مساء وتشير إحدى الدراسات

إلى أن ٥٢,٨٪ من مجموع ساعات البث التلفازي العربي مخصصة للبرامج الترفيهية، وتستهلك الجرعة الاخبارية ١٦,٣٪، وتليها الجرعة الثقافية التي لاتتجاوز ١١,٩٪، فالجرعة التربوية أو التعليمية ولها ١١,٢٪ ثم البرامج الدينية ولها ٦,٨٪ من مجموع ساعات البث.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك فروقا واضحة في حجم البرامج الأجنبية التي يتم عرضها بين قطر عربي وآخر، وكذلك بالنسبة لأنواع هذه البرامج أو مضامينها، فبعض الأقطار العربية تركز على استيراد البرامج الثقافية الخفيفة لمحطات التلفزة لدول مجلس التعاون الخليجي، بينما تستورد الأردن وسوريا ولبنان نسبة أكبر من البرامج «البوليسية» و«الكوميدية». وبعض هذه المحطات تبث ما لا يقل عن ٥٠٪ من ساعات الإرسال اليومي من البرامج الأجنبية، بينما لايصل حجم استخدام البرامج الأجنبية في بعضها الآخر إلى أكثر من ١٠٪ يوميا.

وقد اختار عدد من الأقطار العربية أن يفرد للبرامج الأجنبية قناة منفصلة، بينما تقدم قناة أخرى (تسمى أحيانا بالقناة الأولى أو الرئيسة) البرامج المحلية والعربية، كما يفعل التلفاز الأردني والسعودي والكويتي، بينما لجأت محطات عربية أخرى إلى تقديم البرامج الأجنبية في أوقات مختارة ضمن البرنامج اليومي، وبشكل خاص ضمن ساعات البث المسائي.

التبعية الإعلامية

يصف بعض الباحثين ظاهرة استيراد البرامج الأجنبية بالنسب التي تحدثنا عنها «بالتبعية الإعلامية»، وهو مصطلح يشمل كذلك اعتماد محطات التلفزة والصحف والإذاعة العربية في عرض برامجها الإخبارية وتحقيقاتها على ماتمده بها وكالات الأنباء العالمية من معلومات وأخبار وتحقيقات. ويتحدث بعضها الآخر عن مفهوم «الأمن الثقافي» الذي يوازي في أهميته الأمن العسكري والأمن الاقتصادي، ويقدمون في طروحاتهم حججا شتى، تبرر هذه التسمية: مصدرها الخوف من تأثير البرامج الأجنبية على مظاهر شتى لثقافتها المعاصرة.

ولكن ما الأسباب التي دعت محطات التلفزة في الوطن العربي إلى التوجه نحو الغرب بشكل رئيس ومطرد لشراء أو استئجار برامج مختلفة، أنتجت لأسواقها المحلية، وعدم اعتماد محطات التلفزة العربية على الصناعة المحلية العربية بشكل رئيس لملء ساعات البث اليومي لديها؟

السبب في ذلك يعود إلى أن معظم مؤسسات التلفزة في الوطن العربي قد ارتبط تأسيسها بشكل أو بآخر بجهة أجنبية ـ هي غالبا من أجهزة الدولة المستعمرة سابقا ـ أشرفت على كل القضايا المتعلقة باختيار نظام الإرسال المناسب، والهيكل الإداري والفني للمؤسسة، إلى جانب نواحي البرمجة المختلفة، من أجهزة ومعدات وأساليب تدريب، مما يجعل المحطة الجديدة تحمل سمات محطة الدولة المشرفة على تأسيسها وخصائصها نفسها.

وزيادة عدد ساعات البث التلفازي بشكل مطرد في العديد من الأقطار العربية، سبب ثان لاتجاهها إلى الخارج، حيث عجزت الصناعة المحلية عن إعداد البرامج التي تملأ مساحة هذا البث لأسباب مختلفة، منها ارتفاع تكلفة الانتاج البرامجي، وقلة عدد المختصين «والكوادر» الفنية المدربة. فكانت النتيجة الاعتماد المستمر على إنتاج الأسواق العالمية من أفلام ومسلسلات ومواد تلفازية متنوعة مما تهيمن عليه «هوليود» وغيرها من مراكز الانتاج السينمائي التلفازي، حيث تملك مخزونا ضخما من الأفلام والبرامج الاستعراضية والعلمية وغيرها، وتتولى توزيعها في العالم شبكة متطورة من الشركات التي تضع استراتيجيات تسويقية

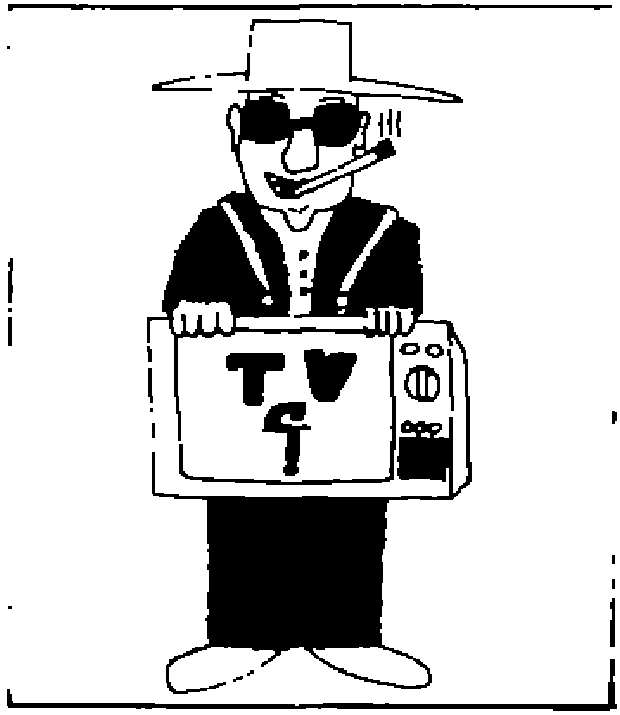
لكل منطقة بعد دراستها لاحتياجاتها من هذه المواد ، وتستخدم كل الأساليب التسويقية من تقديم حوافز وتسهيلات وخدمات يصعب مقاومتها .

أسباب أخرى :

إن كلفة البرامج الأجنبية تغري الجهات المسئولة عن البرمجة لأن سعر برنامج أجنبي ، مدته نصف ساعة ، أقل بكثير من تكاليف إنتاج برنامج محلي مشابه له . كما أن ثمن استئجار بعض المسلسلات يتراوح بين ٢٠٠ و ٦٠٠ دولار حسب نوع البرنامج والمحطة التي تستأجره .

كما أن شركات عديدة تلجأ إلى بيع أو تأجير برامجها بأسعار رخيصة ، عن طريق عرض برنامج في عدد من المحطات التلفازية بالتوالي من نسخة واحدة لهذا البرنامج .

ويعود السبب في رخص أثمان البرامج الأمريكية بشكل خاص إلى أن منتجيها يغطون تكلفة الإنتاج من السوق الأمريكية الكبيرة ، ثم



يبيعونها أو يؤجرونها بسعر زهيد في الخارج . وتستفيد هذه الشركات بتسويقها لهذه البرامج من ناحية كسب إعجاب جماهير التلفاز بالنمط الأمريكي ، مما يجعل لها شعبية تسهل تسويقها في هذه البلدان في المستقبل .

ومن الأسباب التي تذكر لتبرير عملية استيراد البرامج الأجنبية شعبيتها عند المشاهدين في أكثر من قطر عربي ، فهم يفضلونها لتنوع موضوعاتها ، ولاحتوائها على عناصر الحركة والسرعة والدراما ، ولمستواها الفني المرتفع ، قياسا بالبرامج المحلية . والواقع أن منتجي هذه البرامج يراعون عند إعدادها أن تكون ذات طبيعة عالمية ، وأن تحتوي على القاسم المشترك الذي يرضي كل الأذواق والمستويات .

وتلعب اللغة دورا مهما في اختيار مصدر البرامج الأجنبية ، فاللغة الانجليزية - وهي اللغة العالمية الأولى اليوم - تسهّل عملية تسويق البرامج الأمريكية والبريطانية والاسترالية . بينما تقف حاجزا أمام تسويق اليابان لبرامجها التلفازية حتى إلى دول الشرق الأقصى .

مراقبة البرامج الأجنبية :

ويتولى فحص البرامج المستوردة ومراقبتها ، كما نعلم ، لجان متخصصة من داخل المؤسسات التلفازية ، يشارك في عضويتها أحيانا أفراد من خارج هذه المؤسسات ، وتقوم هذه اللجان بعملها لاستبعاد البرامج التي تمس المعتقدات الدينية والقيم والتقاليد الاجتماعية والسياسة العامة للدولة ، وكل مايثير نوازع العنف والعدوان والجنس .

وعلى الرغم مما سبق ، نلاحظ أن دراسات قام بها المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين ، وغيره من الجهات المختصة ، قد بينت أن عددا كبيرا من البرامج الأجنبية التي يتم عرضها في أجهزة التلفزة العربية لاتخلو من

مشاهد العنف والجريمة والإدمان على المخدرات والجنس ، وأن بعضها يحتوي على قيم وممارسات مغايرة للعادات والتقاليد المحلية . واستنتجت أن لهذه المضامين تأثيرات ضارة على الشباب والأطفال الذين يشاهدونها .

ويعود وجه القلق فيما يتعلق بمضامين هذه البرامج إلى بعض الخصائص التي تميز التلفاز عن غيره من وسائل الاتصال الجماهيرية من حيث تأثيره على المشاهد .

البرامج الأجنبية والثقافة العربية :

ونرى أن هذا الجدل حول سلبيات البرامج الأجنبية يجب أن يوظف لتوضيح الحقائق التالية :-

أولا : الخطأ الأساسي ، هو في تشغيل وسيلة اتصال جماهيرية ذات درجة تأثير عالية ، بنسبة كبيرة من المنتجات الثقافية المستوردة ، بدلا من الاكتفاء بتشغيلها فترة زمنية أقصر ، مع قدر أكبر من المنتجات الثقافية والترفيهية والإخبارية المحلية .

ثانيا : الخطأ ليس في مبدأ الاستيراد بعينه ، بل في الاختيار ، فهناك عدد كبير من البرامج الأجنبية ذات مستوى فني وثقافي مرتفع ، ينبغي التركيز عليها بدلا من استيراد الانتاج الهابط .

ثالثا : الدعوة إلى الانفتاح على الثقافات الأخرى لها مبررات حضارية أكثر من الدعوة إلى الانغلاق على النفس ، ومن هنا ندعو إلى الاطلاع على منجزات الثقافات الأخرى ، وبخاصة العلمية والفنية والتاريخية .

رابعا : يجب أن ينصب الجهد العربي على تطوير الشخصية الثقافية العربية ، لأن أساس التبادل الثقافي العالمي وضوح البنية الثقافية المحلية ، ومن هنا أصبحنا في حاجة إلى بلورة فكر عربي أصيل يستند إلى التراث الحضاري العربي وإلى القيم الدينية .

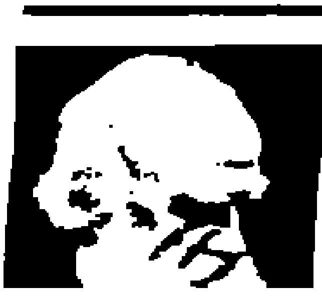
خامسا : يجب أن يعمل المبرمج العربي على تطوير أدوات قياس آراء المشاهدين ، وأن تجرى مسوح دورية لها ، وأن تنعكس نتائجها على نوعية البرامج التي يتم اختيارها وإنتاجها ، مع الربط دائما بين مضمون المادة الإعلامية وبين الواقع الاجتماعي والثقافي السائد في كل قطر عربي .

سادسا : يرتبط مفهوم «الأمن الثقافي» الذي أشرنا إليه بقدرة الأقطار العربية على إقامة صناعات ثقافية محلية ، يستثمر فيها الإنتاج الفني والأدبي العربي ليحل تدريجيا على معظم الإنتاج الثقافي المستورد الذي لايمت بصلة لحاضرنا ولقيمنا وعاداتنا . ومن الضرورة أن يتم تشجيع التبادل الإعلامي العربي ، وأن يتم تجاوز الحساسيات السياسية التي تقف حجر عثرة أمام قيام سوق ثقافية عربية مشتركة .

كما يجب ألا ينظر المبرمج العربي إلى البرامج الأجنبية كبديل دائم للبرامج المحلية ، بل كبديل مؤقت ، أملته ظروف معينة ، ويجب على مؤسسات التلفزة العربية أن ترفع مستوى أجهزة البرمجة فيها ، وأن تشرك شخصيات مرموقة في مجالات العلم والأدب والثقافة في عملية اختيار البرامج الأجنبية التي تعرض ، حتى يرتفع مستوى مايشاهده المواطن العربي ، مع التوصية بزيادة المضامين الثقافية في برامج التلفزة العربية عن نسبتها الحالية - ١١,٩٪ - إلى نسبة أعلى تعكس أهميتها في التكوين الحضاري للإنسان العربي . □

● ما من إنتاج للعلم الحقيقي أو الفن الحقيقي إلا ما كان وليد التضحية ، لا وليد المنافع المادية .

(تولستوي)



صــــراع المدينــــة والقريــــة في الدولــــ النــاميــة

بقلم الدكتور فيصل أبوبي

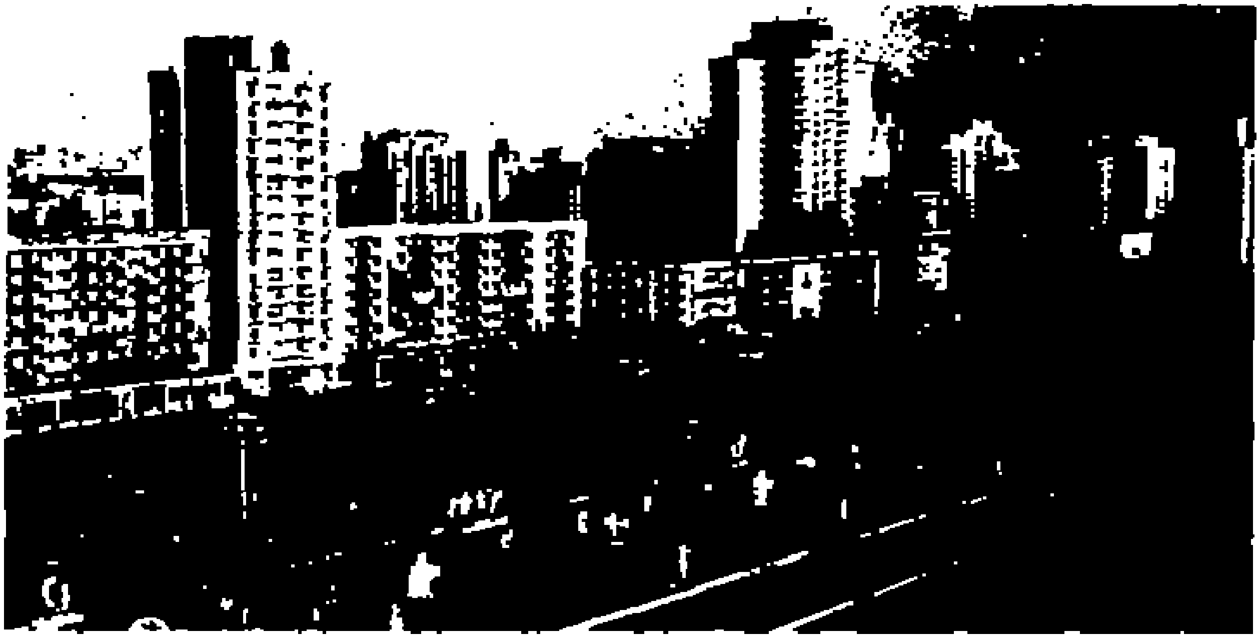
سـهـد ول لعالم لـبالـب مند لحرب لعالميه لثانيه ظاهرة لـمو لسا ع لمدنها لرئيسه سكانا وعمرانا وتحاصه عواصمها لى سكل ماطق حذب سسه مما ترند لمساكل و لمعمدات لاحتماعيه و لحصا يه لى تعانيها هذه لدول

سحه لمدلا لمو لى عرفتهـا للد لـنامـه حـلا لعمر لـوقعـه مـا بـين عهد حد حلل صح ق لـو لجهوى تحاصه ق لبركب لـو بع لسكانين ق معظم هذه لللد نحجب عـه مـسـاكل معضـا جـيـاعـه لمه بحمد سمل هذه لحلل ق بكه مطعه سديد لـمو لحصرى عالنا تكو لعاصمه ما حولها سكل لمركـر سـيا بلعب سـاوى لـسلا لمحيط لمعمر كل سي لمحد هد كر

عد لمو لسكا ق لعا لمالب كانحا من كو بع لسمه مسكله تحب معالحتها على لمدى لطو كـر لمـر للسكا ق لمد لكبر سـلـ هو كـ حطو عـلى لمد لعصـر لمد هـد لظاهـر صوح ق عد عوصم لعا لمالب كالقاهر لمضا مكسكو سـو عدها

ماطق للحذب و لمهجر

عمل لمطعه لمركـر لى مد محد عمل سـه مهمـه من لمر لـوطى عا عصب لـبلا مـركـر لمعـمـل مهـا فهى ممر لـبد لـه لـو لموسا لمركا لمصـ ف لـسو لصاعا مر عها لمحلمه عمد لمو صلا سكانهـا لمسوعـه كـل سـوع لاتصالا ى عالمـا سـا عـالـه من لسكا عد نصل لى لـلـد ما ى صـطر عد سمر مهـا بهـد لـبـلا نكاملها حـم لموعـ هـد كه حـد لعـا لسياسه ق هذه لبلد لكن عـلى عم هد معظم لحكو حر حاطه لموعـ لذى تمحر ق ماطق كـر على هـه سو عصب جمع ق مـاطق حر ـتعمل عوما كـه لـبلـ لـسكانـه لمريـعـه للمـناطق كر مع لامو حد هـا لعصوى



● المساكن الحديثة في ... لمواجهة ...
... الهجرة، المشكلة التي تدفع أهل الريف إلى المدن

كل الوجوه، بسبب تنوع الأزمات وتواليها. من السكن إلى النقل فالمدارس، والطرقات والمستشفيات، ومياه الشرب، والكهرباء، والأمن، والفساد، والتلوث والضجيج والازدحام. الخ. بحيث إن الحكومات تجد نفسها مضطرة إلى تخصيص استثمارات ضخمة في هذه المجالات تثقل ميزانياتها. وغالبا ما تستأثر المناطق المركزية بنصيب الأسد من هذه الاستثمارات، وتبقى نسب ضئيلة لباقي البلاد. مما يعني بقاءه في تخلفه، وتدهور شروط الحياة فيه، ومن ثم اشتداد التباين بينه وبين المنطقة المركزية، وهذا ما يشكل هاجسا مقلقا للمسؤولين في البلدان النامية. ويرتبط اكتظاظ السكان في الواقع بالزيادة الاقتصادية مباشرة. لاسيما وهو ضروري لها. فالاستثمارات العامة والخاصة في أي بلد نام تميل إلى التركز في المنطقة المركزية، حيث تكون ذات مردودية. وحيث تعمل على تحسين مستوى معيشة. مما يؤدي إلى جذب متزايد لسكان الأرياف وبعض المدن

التي اختارت لنفسها طريق التنمية الرأسمالية تعاني من صعوبات جمة في لجم تيارات الهجرة المتزايدة نحو المركز، بينما استطاعت البلدان الاشتراكية مراقبة تحركات السكان عن كثب، وضبط زيادة المناطق المركزية. وفي الوقت نفسه تمكنت بعض البلدان من التقليل من حجم الهجرة، عندما وصل الإنتاج الاقتصادي فيها إلى مستوى مرتفع بشكل كاف، بحيث أصبح في متناول الحكومة إعادة توزيع استثماراتها في مجموع البلاد. غير أن هناك أمثلة حديثة تظهر أنه حتى لو لم تصل البلاد بعد إلى مرحلة مهمة في النمو الاقتصادي، فإن سياسة حكومية حصيفة لتحسين نوعية الحياة في مناطق البلاد الداخلية كفيلة بكبح نمو المنطقة المركزية.

نمو متسارع:

ترتبط ظاهرة تركز السكان في المنطقة المركزية بعاملين، هما: مستوى النمو الاقتصادي من جهة، والسياسة السياسية للبلاد (أي الاستراتيجية



● ازدحام البشر يؤثر على سيولة الطرق وكفاءة الخدمات من مواصلات وسكن وكهرباء وماء وصرف صحي.

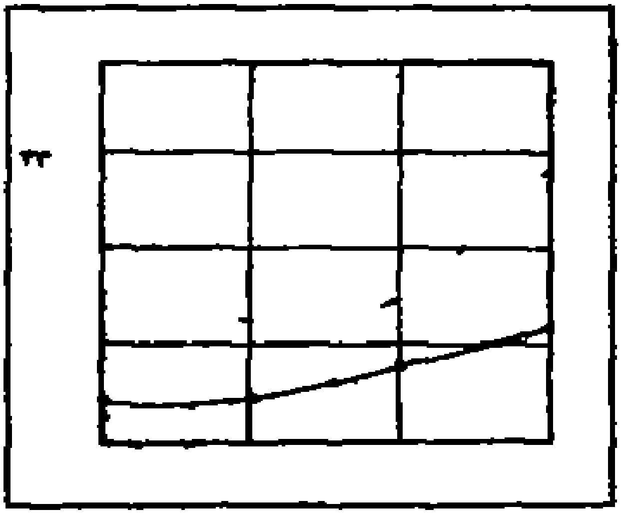
المتبعة في تنمية البلاد، رأسمالية كانت أو اشتراكية) من جهة أخرى.

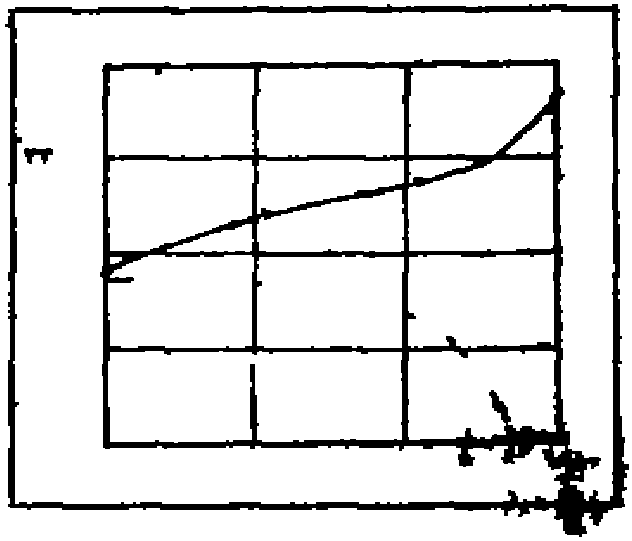
وتزداد نتائج توجه تيارات السكان نحو المناطق المركزية في العالم الثالث أهمية بفعل عوامل ديموغرافية أخرى، مثل: العدد المحدود جدا للمدن التي تستقبل المهاجرين، فعلى العكس مما هو عليه الحال في البلدان المصنعة، حيث تنتشر في المنطقة المركزية الواحدة العديد من المدن الكبرى. فإن معظم المناطق المركزية في الدول النامية لا تمتلك غير مدينة واحدة تصب فيها كل تيارات المهاجرين. وهناك عامل آخر يساعد على تفاقم المشكلة يتمثل في أن حركة الهجرة نفسها تندمج في نمو سكاني وطني هو نفسه ذو وتيرة عالية. فالبلدان النامية تواجه مشكلتين كبيرتين حاليا:-

الأولى: هي الزيادة الطبيعية العالية لسكان المدن الكبرى التي لا تعرف التوقف.

والثانية: هي نسبة سكان البلاد المتزايدة التي تعيش في المنطقة المركزية، والتي لا تكف هي أيضا عن الارتفاع، ففي الاكوادور وبنما، تزايدت نسبة السكان الذين يعيشون في المناطق المركزية بصورة مأساوية منذ عدة عقود. ففي سنة ١٩٥٢ كان يسكن في منطقتي كيتو وجاياكيل في الاكوادور ٣٠٪ من سكان البلاد، وفي سنة ١٩٨٢ وصلت هذه النسبة الى ٤٢٪، وفي عام ٢٠٠٠ سيعيش أكثر من نصف سكان البلاد في واحدة من هاتين المدينتين أو بالقرب منها. وفي بنما ارتفعت نسبة القاطنين في العاصمة من ٣١٪ سنة ١٩٥١ الى ٤٦٪ سنة ١٩٨٠، ومن المحتمل ان تتجاوز هذه النسبة ٥٠٪ سنة ١٩٩٠.

إن الزيادة السريعة لسكان المدن في الدول النامية تطرح مشاكل تخطيط خطيرة، تظهر بوضوح في المنطقة المركزية لأندونيسيا المسماة جابوتابيك التي تقوم عليها مدينة جاكرتا وما حولها. فقد بقي معدل الزيادة لهذه المنطقة خلال العشرين سنة الأخيرة أعلى من المعدل الوسطي لمجموع البلاد بشكل واضح، إذ زاد





——— لإنتاج لخا لـدخلي سالنسبه للفـر لـوحـد بالقـرنـك لعـربـي
— لعـد لسوي للزبا في لمطقه لمركزيه بالنسبه لكل سمه

● في صر ملا ما لكفا سو بع
لاسـا عد سا لمطقه كر
نمع لسوى لاقصا ي حـلا
لسـعا عصب لمعر

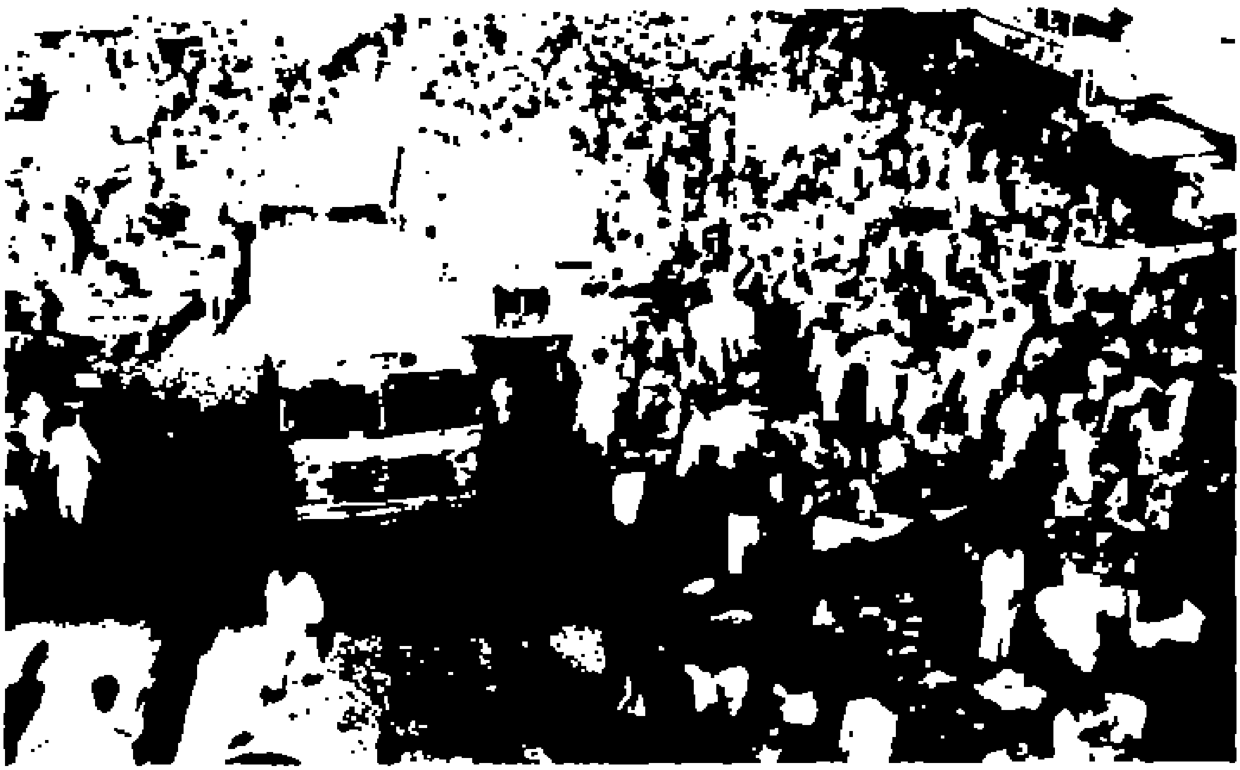
● في ملا كلما طو لمو لاقصا ى
سهد لد ها لمعر بحو
لمطقه كر

سكا ملا سمه سه
كـر ملو سمه سه نعـد
سعا لعا سمه مه بعا
للعز لعا في حـا سكلف حكومه
ملما حلا لعمر سـو عا
هـد هم سه لمـرسه لي
حصصها لاسما لكما لـلا قسي
حهه طِ بكالف
سكه يع للمـا حد كر
سـمـل من لاعـا لمحصصه في هد
لمحا عـلى لمسو لـوصي حـلا لمحـطط
عى حـر

قصلبات لاسسيا

على عم من بكالف لاسحا بعمه للنى
لسحـه في لماطق لمركزيه هـد لماطق

مفصله حكـو مـه
سـا بعـد
هـا طابع سياسي نفـد صب
لسـك عـى بعـسـهـا مه
حـه حكـومـا عـلى عصـص عـالـسه
سـسيا هـا للـك حـل صـعا حـو
مسحم عـلى مـل سحب هوصي سـاسه
كـامله صـعر ملامـل في سـاطق هـسه
مكـطه لسكا هـد بحـد من حـل
لمحافظه على سـعر لسـاسي عري لعمـل
على بطو لحدمـا لاحـباحـه لعـد لمكن
كـالموسـا لصـحـه لمعلـمـه لـعل
بل لاقصا لطر لما لح
سها طابع قصا ي لماطق كر
كمـر كر حصـريـه عا عـلكـه من مو عـعـد
مـو صلا حـد حـو سـكا



● في المدينة تضيع كل الأحلام ، ويتحول النازحون إلى باعة جائلين ومتسكعين ، وكتلة زحام بشري هائلة .

اتصال، ومؤسسات مالية، ونقل سياحي، ووجود صناعي متنوع متطور، وأسواق استهلاكية، وتسهيلات في التزود بالمواد الأولية، ووجود أيدي عاملة مؤهلة نسبيا تعد ذات مردودية سريعة هائلة، وبذلك تستقطب كل مشروع جديد. إضافة الى ذلك يجب الاشارة الى ظاهرتين مهمتين تتصف بهما البلدان النامية: البيروقراطية الشديدة، ذات الأثر الواضح الكبير على سير عمليات الانتاج، وما توجده من فرص عمل إداري. والسوق السوداء المعروفة جيدا في كل مدن البلدان السائرة في طريق النمو تقريبا. هاتان الظاهرتان وما توجدانه من فرص للعمل، يلقى فيهما القادمون من الأرياف خلاصا من المستوى المتدني الذي يعيشون فيه، فإذا كان مستوى الحياة المرتفع نسبيا في المناطق المركزية هو الأصل في التركز السكاني في هذه المناطق ، فإن تقليل الفرق في مستويات الحياة بين الريف والمدينة يمكن له أن يكبح تيارات المهاجرين، ويمكن لهذا الفارق ان يخفض على الأقل بشكلين:

الأول: عن طريق إبطاء الزيادة الاقتصادية في المنطقة المركزية.

الثاني: بواسطة رفع مستوى الحياة في المناطق الداخلية.

ويمكن لنا ان نجد أمثلة هذين الشكلين بين ٤٦ بلدا شملتهم الدراسة المذكورة، فقد تباطأت الزيادة في المنطقة المركزية في كل من بيرو وتشيلي إبان الركود الاقتصادي الذي حدث في السبعينات، والذي ترك اثاره على البلدان التي تمتلك بنى صناعية مهمة نسبيا، حيث نجد أن معدلات الزيادة المتعلقة بمدن: ليما، سانتياغو قد انخفضت عما كانت عليه خلال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بمرتين، غير أنه في البلدان القليلة التصنيع في المقابل،

حيث تكون معدلات صافي هجرة نحو المدن الكبرى منخفضة من حالة الاقتصاديات سيما (مثلا أفريقيا جنوب الصحراوية محاصة) على هجرة إلى وانظر عالية على الرغم من ضعف الزيادة الاقتصادية لأنها مدفوعة حاليا بتدهور الاصلاح الزراعي وبعض المواد الغذائية

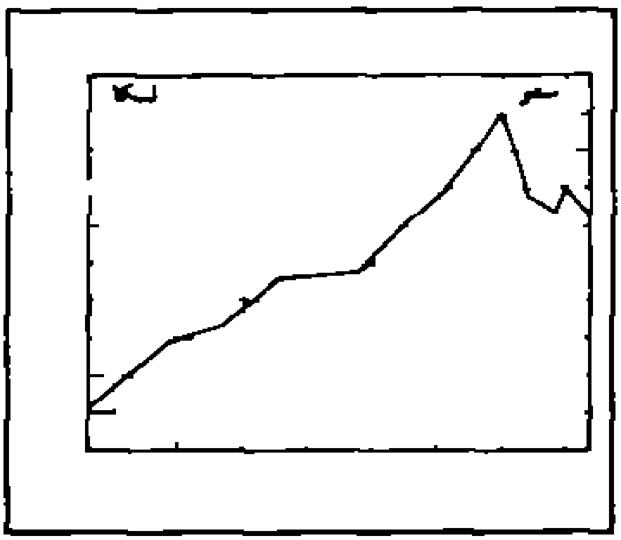
الاكتظاظ والازدحام

مثلا لتكلفة ... الكلية على التركيز التكنولوجية الصحراوية الجنوبية الحروب الأهلية في مصر حيث بعد معدل النمو الاقتصادي فيها متوسطا وحسب تكون تركيز السكان فيها مرتفعا نظرا للساع هذه النمو بعد الحرب العالمية الثانية التي مع موجة للعائد لصرفي سنة سنوى في المحطات الرسمية للدولة هل معدل السكان المدينة لظاهرة هذه تخصص سنى فالظاهرة هي حتى هذه لعام الأكثر كثافة مع عدد سكانها حلا لغير لو عنه من من إلى كرمس ملا سمه لذلك سد من المحتمل تكون كثافة السكان فيها هي إلى حد من النمو الاقتصادي حجم العاصمة لمصر كثافتها هذ حملا من غير المهم نظرا لصاعه منها لمصا لعفا لاحصا حا لسد يعرفل السير حجمها في تكاليف لسمه لصاعه لسحا

في مصر سير سبل ساطا كر لسكان سبب تخصص الحد لذي عا سه المطعه المركز كما سياسه الاسيا المخصصة لتحسين مستوى المعيشة في المناطق الداخلية بعد لعب في تخصص معدلا صافي الهجرة لكن البلد السامة التي سمح ها فيها ها تخصص سيا كثافة لسطوح المناطق نعمه قليلة

الاستثناء

لقد علمنا سالفا ن البلدان النامية لا عكس هنا ن مستمر في مناطق السلا الداخلية لم تصل إلى مستوى معين من النمو الاقتصادي غير ان سيرلانكا تشكل سيا لهذه القاعدة وقد أتت به من لمكن لتحسين مستوى الحياة الا سات المناطق البعيدة عن المركز الحضرية حتى لو كان مستوى النمو الاقتصادي متواضعا ففي سنة ٩٨ لم تكن النتائج الدخل الحا الغير الوحيد كرمس ٩ ف ف على الرغم من السلطات الحكومة بالنسبة مع حفاظها المعلمة لكن لقد الحلم الصحة تصو ها له لكل مجموع الحرب الوطني مرحصت سحه لتلك سه لأمه هات لأطفال سن المتعلمة سالفا سه مع البلد الحا إلى لها لمستوى الاقتصادي عينه تلك تعب ما الحا لسه لكل السكان لقد كان الدعوة طه الحد الحكومة في سيرلانكا كسه في



● نموذج لا الدخل الحكومي لو نصب هجر إلى الد عدد تصب لسلطا الحكومة هجر إلى العاصمة هوسمي منه نعو ساحا على عم من ها المستمر طو ملائس ها

لتقليل من الفوارق والتباينات بين سكان الأرياف وأولئك الذين يقطنون المنطقة المركزية وينعكس ذلك على حجم ميا ب لحضر عند ساحصب سه سكان لبلا لذين يعيشون في لعاصمة كولومبو وضواحيها من ٣ ٢ لى ٨ ٢ خلال لعمر لو عه ما بين ١٩٤٦ و ٩٨ و عا مكون سيرلانكا قد حصلت على قد لنجاح من خلال لساطو لوصيع في عوها الاقتصادي حسب ن لزيادة في لنابع لد خلي لخام للفرد لو حد منذ سنة ١٩٤ ما ل ضعيفة لأن معضا لبلا ما ل عا بالدرجة الأولى ويقتصر لى لمركز لصناعة لصلة

ن مال سيرلانكا يوضح سلاعصاب ظاهر مركز لسكا معن حسب لبلد بعد عركز لاسيا ب ن لمنطقه لمركز عصل سله لر لاساح سيا سكل عد لمركزيه عمه ما لنمو لاقتصادي لذلك عد لمسؤولو ن لعالم لثالث نفسهم ما حا صعس كف عكن كبح لحا لر لسكانيه للمركز لحضا ية لكبرى سوف لزيا لاقتصا للبلا

يو جه حكومات لبلد لسطا لاشتركي لمشاكل نفسها غير نها حا حلولا مختلفه سب نجاحها مفصل لتخطيط لمركزية مكن هذ لبلد عا س قابليها على حركات مجموع لسكا هكذ نسبه لسكا لحضر لذين يعيشو ن هافانا نه منذ سنة ٩ كما لحكومة لصينية حققت من سكا مدينه هونغ نه سانغو ناهنا من ملايين نسمة سنة لى ٣ ملايين نسمة عا ٩ لك عندما حلت لحكومه حو ل من لسكا نحو لمناطق لد خليه سو كما لصين ن مناطق نجمع نكبر نسبهاى عملك معدلات نا سكانيه كبر نجاحا ن لمنطقه ما كانت

حكومات الدول الاشتراكية تمارس سياسة صارمة بالنسبة للزيادة السكانية في المراكز الحضرية ولينا ت لحضر الأولها تفضل سياسه عدم مركزيه لاسيما اف وبذلك الهو لمتوصله لرفع مستويات لحياة في د خل لبلا مكن لها تقليص صالي لحضر نحو لمناطق لمركزية

لريف والمدينة معا

نصب لمناطق لحضريه لكبرى مركز جذب للسكان من لا ياف خلال لسنوات بالوتيرة نفسها لتي كانت عليها خلال لعقدين لماضيين سيرهد لاستمرارية إلى أن مركز لسكان لصناعه ما لا حتمال مر ما مهمه مع لك عند ناقص معدل صافي لحضر حل عدد لا بأس به من لبلا لنامية هذ لنقصان نتج عن سياسات مختلفة منها ما لبد له على حركات لسكا معدلات لنمو في لمد لللو من حل صيا عو عر ن حد ما نقصا كذلك لتي صاب مر سل عمر لسانح لتي عكن مساطها سطهر نحلا لسلاح نمو مستو لحر من لبلا على حساب باقي لمناطق عملية سير في عا مند هي مجموعه لمخاطر غير مضمونه لنابع ب باكا ناقصا في عملية لتنمية حد لتي عا سه لمناطق لمركز لسكا ن لبلا نفصل مجمعه من عو نقصا عكن له عمد كل ما عمه من نجاحات لذلك فا لتنمية لتي عكن لها تقضي عو مو با لكل حا لبلا هي تلك لتي تعمل على تنميه لريف لمدينه معا وإنها تلك لتا لحا لمو عن لعهو لاسيما لتي سحر لريف لخدمه لمدينه سند لها بعلاقه تكامليه تماحه تلك تحقيق لنمو لمتسجم لكامل حد تحقيق لأهداف لمرجو ☐

الأغصان اليابسة

قصة بقلم : رشاد أبو شاور*

زحام شديد ، تندفع الحافلات الصغيرة غاصة بالركاب ، مطلقة أبواقها ، مخلفة وراءها دخانا أسود ثقيلا كريه الرائحة ، مثيرة الغبار .

اندفع ولد صغير وراء « كرته » ، فكادت سيارة فارهة أن تضربه لولا سرعة انتباه السائق الذي انعطف بالسيارة متفاديا الولد .

علق سائق الأجرة :

- ضاقت الدنيا بأهلها ، الأولاد ، - استاذ - قديماً كانوا يلعبون بين الحقول ، أو في الفسحات بين « بيوت الحارات . تجار البناء - استاذ ، - قطعوا الأشجار ، وكنسوا البنايات ، وحولوا المدن إلى « اسمنت » . أستاذ هل تستطيع أن تتنفس ؟!

حاول أحمد أن يأخذ نفسا عميقا . فامتلأ صدره بالهواء الملوث الثقيل ، وبرائحة « المازوت » الأسود الذي تخلفه الحافلات الكبيرة والصغيرة .

نبهه صوت السائق الذي كان يراقبه في المرآة العاكسة أمامه :

- ها ، ماذا تقول - أستاذ - في حينذ ؟

لم يعلق أحمد على كلام السائق . حر حزيران خانق ، وعرقه يسيل على عنقه . وظهره يشوى بجلد المقعد الملتهب .

إنه يراقب فقط ، يحاول أن يتذكر تلك الحارات ، الطرقات التي حفظتها ذاكرته طوال سنوات غربته .

قال السائق :

- هناك - أستاذ - كانت حقول المشمش والزيتون ، كانت الخضرة . .

لم ير أحمد غير « اسمنت » بشع ثم تذكر حافزه للعودة : والدي كتب لي بكلمات كبيرة : احضر ، لقد حصلت على الدكتوراة ، وهذا يكفيك ، ماذا تنتظر ياولدي ؟! أنت كبرت ، وأنا ووالدتك كبرنا ، والدتك مريضة يادكتور أحمد ، وأنا تعبت من العمل ، أي والله تعبت ياولدي ، استشهاد أخيك هد حيلنا ، كسر ظهري ، وغير أمك تماما . عد ياولدي لعلك



* كاتب من القطر العربي الفلسطيني



تساعدنا ، وتجبر بخاطر أمك التي تنقلها من طبيب إلى آخر بلا فائدة على الرغم من المال الذي نصرفه على الدواء وأجرة الأطباء .

- كم سنة قضيت في الغربة أستاذ ؟

انتبه إلى السائق . رآه ينظر في المرآة . رأى وجه السائق ، إنه يرى رأسه من الخلف ووجهه في المرآة . أعجبته الفكرة . تصلح لكتابة قصة . لا تصلح لقطة طويلة في فيلم سينمائي . الفم في المرآة يتكلم ، والرأس الأشيب من الخلف صامت .

- عشر سنوات

- هذا كثير يا استاذ

- . . . .

- مهنتنا أستاذ متعبة ، ركض بلا فائدة : في الشتاء نقضي الوقت في برودة السيارة ، وفي الصيف في جحيم السيارة ، والأدهى من هذا وذاك ، كل راكب له مزاج ، وكل راكب يريدك أن تمشي كما يريد ، كأنك عبد .

وساد صمت

مد السائق يده وفتح المذياع ، فتدفقت أغنية :

« دلعني وأنا دلعتو

مابيتدلع ابن الفلاح

ياعين ليا

يا »

وصرخ السائق وهو يغلق المذياع :

- اخرس يا . . . .

وخرست الأغنية

- تصور ياأستاذ أهذا بالله غناء ؟ هل يغنون هناك حيث كنت مثل هذا الغناء ؟ أنت أين كنت ؟

- الغناء هناك نظيف .

ولوى السائق رأسه .

- كنت في باريس ، في عاصمة النور (طالما جعت ، ونمت بلا نور ، ولادفء . وعملت في المقاهي والمطاعم منظف صحون وطاولات ، لأتم دراستي ، ولأعود بالدكتوراة) .

- باريس ! يحكون أنها جميلة أستاذ !

- كل شيء جميل لأصحابه يا أخا العرب .

- ها أستاذ ، وصلنا ، من أين الطريق إلى بيتكم ؟

- والله . والله . .

- يبدو أنك أطلت الغياب فعلا حتى نسيت موقع بيتكم ! إذا شئت نسأل عن بيتكم . . .

وضحك السائق وهو يضيف :

- دنيا ، دنيا عجيبة ، يضيع فيها الإنسان عن بيته . الغربة والأسمنت .

كانت هناك حقول المشمش والزيتون .

تذكرت : كنا هناك ندرس تحت أشجار الزيتون ، نأكل الخس ، ونبتسم للبنات ، ونحلم بآتيات الأيام ، عمر كان يحلم بالذهاب إلى هوليوود وتمثيل أفلام كاوبوي مع غاري كوبر أين عمر الآن ؟ ، لقد رحل ، ولكنه لم يمثل مع غاري كوبر. عمر كان يبيع « الكاز » و « المازوت » بالصهريج الذي كان يجره حصان دائما . وعمر كان يردد عندما كان يرى أحد الأصحاب :

« هاي تشيك . . هاو ار يو بوي ، و . . . »

- أين أستاذ ؟ صرنا في نهاية المخيم ؟

عندك ، عندك لو سمحت .

- هل عرفت بيتكم ؟

- طبعا ، طبعا ، وهل يضيع الإنسان عن بيته ؟

- لم تقل لي أستاذ ، دكتوراة في ماذا . . ؟

- دكتور في الأدب .

- ظننتك طبيبا .

حاول أحمد أن يضحك

- (دكتوراة في الأدب . أنا أحتاج لأطباء كثيرين ليخلصوني من أمراض حملتها بسبب جلوسي على المقاعد في المكتبات العامة ، تشنج القولون ، والآلام في الفقرات العجزية والقطنية) .

وقف وبجواره حقيبة كبيرة وأخرى صغيرة . أخذ يراقب الوجوه ، لاأعرف أحدا ، ولا أحد يعرفني ، شد ظهره قليلا فسمع طقطقة فقراته ، تنفس هواء قليلا ، وسال عرقه بغزارة ، علق :

هناك يريدون الشمس ، أكثر مما نريد .

صور شهداء على الحيطان ، شعارات : عاشت فلسطين عربية ، وتحت ذلك وبخط مائل : لاتبول هنا و . . .

كل « أسمنت » رمادية ، رطوبة ثقيلة ، وعتمة على الرغم من الشمس الشرسة . نظر إلى الناحية الغربية من المخيم لا أشجار زيتون ولاحقول خضرة !

فكر أن يسأل أحدا عن بيت أبي أحمد ، والده ، لكنه خجل من الفكرة ، كيف يسأل الناس عن بيتهم ؟ ماذا سيقولون لو عرفوه ؟ سيتهمونه بقلة الوفاء ، والنسيان والتعالي ؟!

وضع الحقيبتين وجلس على التراب ، قرأ ورقة النعي على جدار البيت المقابل بعد أن شدته ملامح وجه المنعي : الشاب محمد ال . .

تذكر أنه هو محمد فوراني ، صديقه القديم ، لاعب كرة القدم المدهش ، لقد كانوا ينادونه : ستيف ، لأنه يشبه ممثلا أمريكيا اسمه ستيف كوشران .

محمد فوراني مات في حادثة سير على طريق بغداد الشام ، وهو عائد من الكويت . هكذا يقول النعي ، وآل الفقيد و . . .

عاد إلى واقعه وتساءل : أين بيت أبي أحمد الذي حمل زوجته وابنه وهرب من فلسطين إلى لبنان وسورية ، وسكن في مخيم اليرموك قرب دمشق ، وتعذب حتى ملك بيتا ودكانا صغيرا ، وأنجب ابنا آخر في المنفى هو الشهيد محمود ؟ أين بيت أبي أحمد الذي كتب لابنه الدكتور في باريس راجيا إياه أن يعود ، لأن أمه قد تموت بعد أن تغرب ابن لها واستشهد الآخر ؟أين بيت أبي أحمد الذي كظم حزنه ، والذي قد يقتله القهر والانتظار ؟ أين الزيتون وظلاله والخس وأكواب الشاي وعمر ومحمد وابتسامات البنات والسماء الفسيحة وصوت القطار ؟

حمل الحقيبتين ومشى قليلا ، فرأى شجيرات رمادية ساكنة تماما ، مائلة حتى لتكاد أغصانها تلامس الأرض ، وصلها ، ودار حولها ثم سأل نفسه : أهذه الشجيرات هي كل ما بقي ؟! ثم تذكر كلام كلود الفرنسية التي قالت له ذات يوم : سأذهب معك لنعيش هناك في المخيم ، نجلس تحت الزيتون ، ونأكل الخس ، وننام بين جداول المياه ، أحمد أنت تطبخ جيدا وتحب جيدا ، وتحلم جيدا وأنا أريدك ، أنتم شعب مجنون ، وأنا مجنونة بكم .

تابع دورانه حول الشجيرات ثم تساءل : أين راح الشباب الذين أرادوا أن يكونوا ممثلين ولاعبي كرة قدم ، وشعراء ، وأساتذة ؟ شد جذعه فهبط الوجع إلى عظام الفخذين والأعصاب والشرايين ، ثم انتشر في المنكبين وصعد الى العنق والرأس .

اقترب أولاد صغار ، أخذوا يرددون :

« رن رن ياجرس
حوّل واركب عالفرس »

أخذ يردد معهم وهو يمسك الأغصان المائلة ويستنهضها مع جسده إلى أعلى . □

حماة واحدة :



الزائر : أصحيح أنك تزوجت شقيقة زوجتك المرحومة ؟

المتزوج : نعم ، لقد ماتت زوجتي ، فتزوجت شقيقتها ، ثم ماتت الثانية ، فتزوجت الشقيقة الثالثة .

الزائر : ولماذا لم تختر إلا تلك الشقيقات ؟

المتزوج : لكي لا يكون لي إلا حماة واحدة .

الأذن جسر الهمسات والضوضاء

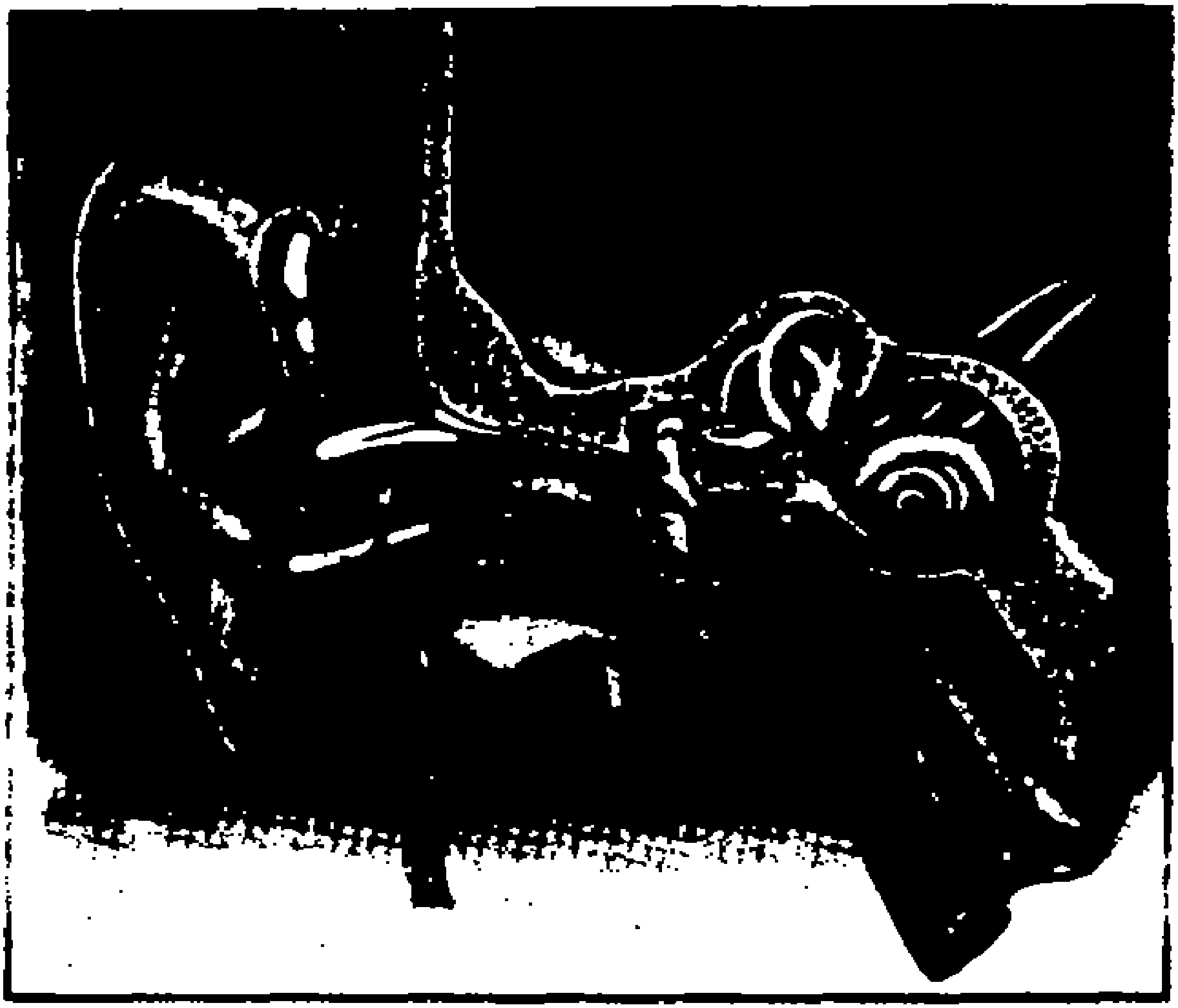
بقلم : الدكتور محمد الكبرا

الهمس ، الضوضاء ، اللغة أداة التواصل والتفاهم بين الكائنات الحية ، الموسيقا بإيقاعاتها ، الأصوات العالية ، الرعد ، كل هذه مفردات متنوعة للصوت ، تنتقل من مصدرها الخارجي عن طريق الأذن إلى مخ الإنسان الذي يترجمها إلى رموز ودلالات تساعده على الفهم . فما مكونات ووظائف الأذن التي قال عنها الشاعر : « والأذن تعشق قبل العين أحيانا » ؟

إن البحث في الآلية التي ينتقل فيها الصوت خلال الأذن ، يفرض التعرض لبعض الصفات الفيزيائية الأساسية للصوت ، حتى نتمكن من معرفة الأذن ودقة تكوينها ووظائفها . الصوت بالنسبة لنا إحساس ، أو ظاهرة وظيفية في جهاز السمع ، أما بالنسبة للفيزيائي فإن الصوت صورة من صور الطاقة ، تتمثل بشكل ضغط ، له مصدر ووسط ينتقل فيه بشكل موجي أو اهتزازي ، وله شدة وسرعة ، حسب الوسط الناقل . ومصادر الصوت كثيرة ، وهذه المصادر لديها القدرة على تحويل الطاقة الحركية المطبقة عليها إلى طاقة اهتزازية مميزة ، حسب نوعية مصدر الصوت . على سبيل المثال فإن ضغط الهواء على الحبال الصوتية يؤدي إلى اهتزازها ، وهذا الاهتزاز يحتاج إلى وسط كي ينتقل فيه ، فالصوت لا ينتقل في فراغ .

انتشار الصوت :

إذا قذفنا حجرا في بركة ماء ، نلاحظ تموج سطح الماء بشكل موجات دائرية متسعة من المركز إلى المحيط ، والصوت ينتشر بهذه الآلية نفسها . إن المسافة بين قمة موجة وقمة موجة أخرى يعبر عن طول الموجة لهذا الاهتزاز . وفي كل موجة منطقة انضغاط من جزيئات الوسط الناقل ومنطقة من التخلخل . إذا رمينا حجرا في بركة أكبر من الحجر الأول ، فسوف نشاهد أن ارتفاع الموجة عن سطح الماء يصبح أكبر من المرة السابقة . إن ارتفاع الموجة يعبر عن الشدة ، وتسمى سعة الموجة . وكنتيجة لذلك كلما كانت سعة الموجة كبيرة كانت شدة الصوت كبيرة . هذه الشدة أو الطاقة الصوتية تظهر بشكل ضغط ، ويحسب مقداره بالدينة (Dyne) على السنتيمتر المربع الواحد .



● مقطع لأقسام الأذن المختلفة .

هل ينتقل الصوت بسرعة واحدة في كل الأوساط ؟ إن ذلك يعتمد على مرونة الوسط الناقل وكثافته ، وبالتالي فلن تكون السرعة واحدة في كل الأوساط .

إن التواتر أو الاهتزاز أو الذبذبة ذات معنى واحد ، وتعني مقدار اهتزاز الجسم المصدر للصوت في الثانية الواحدة . ويطلق على وحدتها هيرتز (HZ) ، ولتواتر ألف هيرتز سوف يكون طول الموجة ٠,٣٤ م ، لأن سرعة الصوت = (التواتر × طول الموجة) . فاهتزازات حنجرة الطفل مثلاً تختلف عن اهتزازات حنجرة الرجل وذبذبتها ، وتختلف كذلك عن اهتزاز حنجرة المرأة بعامة .

الصيوان يجسم السمع :

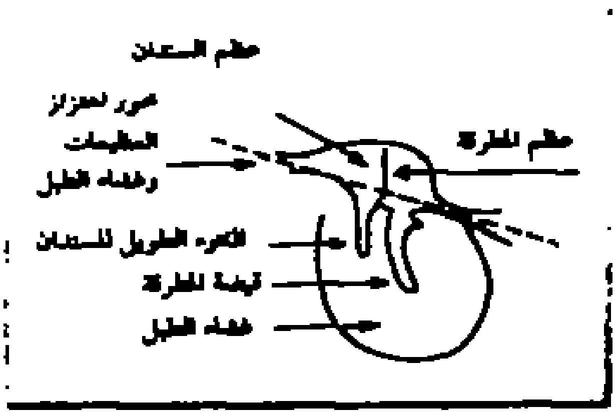
كما أن العينين تقدمان رؤية مجسمة ، كذلك فإن صيوان الأذن يجعل السمع مجسماً . فنحن نحتاج لأن نحدد مصدر الصوت . لكن كيف ؟ ليكن مصدر الصوت عن يمين الشخص . فالصوت سوف يصل إلى الأذن اليمنى قبل الأذن اليسرى ، بفارق زمني بسيط جداً ، وباختلاف بسيط في شدة الصوت ، حيث يحتاج

الصوت ليصل إلى الأذن اليسرى أن يلف زاوية ، ليقطع مسافة أطول . هذا الفارق الصغير يحسه الصيوان ، ويدركه الدماغ ، فنعرف مصدر الصوت . لكن إذا كان الصوت قادما من الأمام أو الخلف ، فكيف نحدد موقعه ؟

لقد وجد أن للصيوان دورا في ذلك أيضا . لنجرب أن نحرك مجموعة من المفاتيح أمام أو خلف شخص مغمض العينين ، فسيحدد جهة الصوت ، أما إذا قلب الصيوان للأسفل فسوف يخطيء في تقدير مكان الصوت بمقدار ٩٠ درجة ، أو يتوقع مكان المصدر توقعا ، كذلك يفيد الصيوان في تركيز الأمواج الصوتية وتوجيهها نحو مجرى السمع الظاهر ، وبخاصة ذات التواترات العالية . ولكن ما مجرى السمع الظاهر ؟ وما أهميته ؟

مزمار مسدود :

مجرى السمع الظاهر قناة غضروفية في قسمها الخارجي ، وعظمية من الداخل ، غير مستقيمة في اتجاهها ، وهذا يفيد لحماية غشاء الطبل . طول المجرى ٢,٥ - ٣ سم ، قطره ٧-٩ مم .



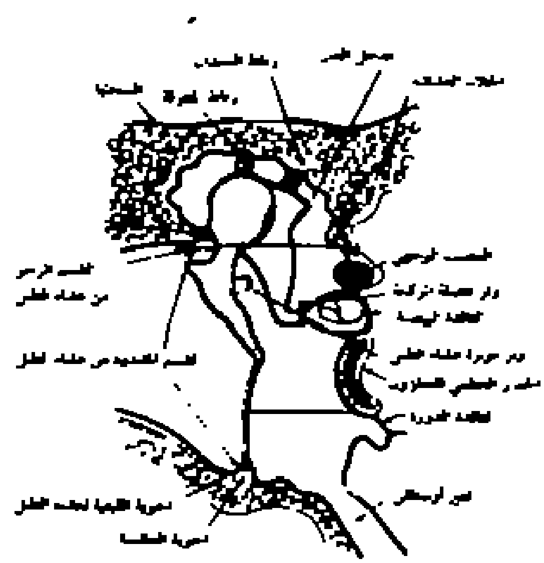
● مقطع جانبي لغشاء الطبل والعظيمات ومحور لاهتزازها .

يعمل المجرى كمزمار أو مرنان مسدود ، وينطبق عليه ما ينطبق على المزامير المسدودة الطرف . نحن نعلم بتجربتنا أن ضغطا بقوة معينة هو أفضل ما يكون لعمل آلة موسيقية ما . على سبيل المثال عندما تعزف على مزمار مسدود ، فإننا ننفخ بقوة معينة لكي يعطي المزمار أشد الأصوات ، ولو أنقصنا القوة أو زدناها لقلت شدة الصوت الناجمة عنه .

تسمى ظاهرة حدوث الصوت الأشد « الرنين » أو « التجاوب » . وفي المجرى فإن الأصوات التي تحدث الرنين هي الأصوات التي يبلغ طول موجاتها أربعة أضعاف طول مجرى السمع (حسب قانون المزامير) . ويكون تواتر هذه الأصوات بحدود ٢٠٠٠ - ٤٠٠٠ هرتز ، وهي التواترات التي يستعملها الإنسان في كلامه . إن هذا الرنين يؤمن زيادة في الشدة الصوتية على غشاء الطبل بمقدار ٨ - ١٠ D.B.وهذه الزيادة هي الأولى في سلسلة النقل والتقوية للطاقة الصوتية التي تقوم بها الأذن .

غشاء الطبل :

إن غشاء الطبل رقيق جدا ، وسماكته عُشْر مليمتر ، مما يجعله شديد الحساسية . ويتركب من ثلاث طبقات : طبقة خارجية مشابهة لتركيب بشرة الجلد ، وطبقة داخلية تشبه مخاطية الأذن الوسطى ، وطبقة متوسطة ليفية . ووضع الألياف في الطبقة الأخيرة بالشكل الدائري والطولاني يجعل الغشاءمشدودا ، مما يزيد حساسيته واستقباله للاهتزازات الصوتية ، ولقد ذكرنا سابقا أن قوة مقدارها جزء من خمسة ملايين جزء من الغرام قادرة على هز غشاء الطبل الذي يهتز بسعة مقدارها عشر قطر ذرة الهيدروجين ، إذن فإن تغيرات الضغط الصوتية التي تقع على غشاء الطبل تتحول إلى اهتزاز بدقة متناهية .



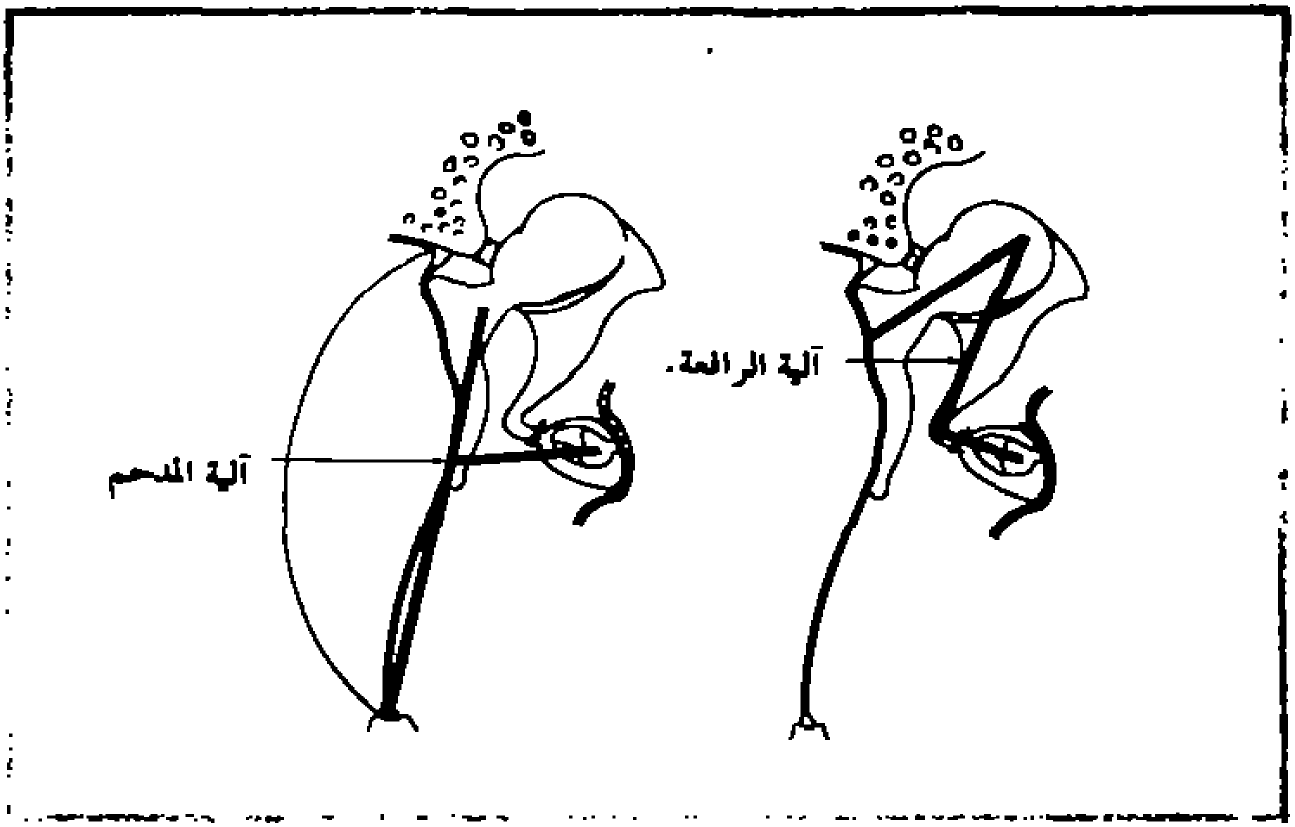
● مقطع لغشاء الطبل ، والأذن الوسطى وما يجاورها .

شكله مخروطي ، وقمته لداخل الأذن الوسطى ، ومائل على الجدار السفلي لمجرى الظاهر بزاوية مقدارها ٥٥ درجة . إن الشكل المخروطي ، والوضع المائل للغشاء ، يعطيانه مساحة أكبر في منطقة ضيقة . ويبلغ قطره ٩ مم ، ومساحته ٨٠ ـ ٩٠ مم^{٢} .

كيف يهتز غشاء الطبل ؟ يهتز كصفيحة قائمة محمولة في قسمها العلوي على محور أمامي خلفي ، يمر من قسمه العلوي ، فحركته واهتزازه يشبهان التأرجح ، وهذا النوع من الحركة مفيد في استقبال الغشاء للأصوات الضعيفة جدا على الأخص . إن المساحة الكلية المهتزة من غشاء الطبل تبلغ ٥٥مم^{٢} ، وعندما يكون الصوت ضعيفاً يهتز قسمه السفلي. ولغشاء الطبل وظائف سمعية أخرى ، فهو حاجز واق لمكونات الأذن الوسطى الدقيقة ، كما يؤمن مسافة سمعية ميتة ، حيث إن الصوت داخل الأذن الوسطى ينكسر ، ويتبدد بسبب جدرانها غير المنتظمة ، وبسبب وجود أجواف مرتبطة بها كالخلايا الغشائية . هذه المسافة الميتة ضرورية ، حتى لاتؤثر الأصوات داخل الأذن الوسطى على صفاء السمع . كما أن غشاء الطبل يعمل على حماية النافذة المدورة ، ويمنع وصول الاهتزازات الصوتية إلى النافذة المدورة والبيضية في وقت واحد . ولو حدث ذلك ستبقى سوائل الأذن الباطنية ساكنة أو ضعيفة الحركة ، وهذا يؤثر سلبيا بشكل كبير على وظيفة السمع .

الأذن الوسطى ، صندوق الطبل :

الأذن الوسطى تجويف صغير غير منتظم ، يبلغ حجمه ٢ سم^{٣} . طوله الأمامي الخلفي ، والعلوي السفلي ١٥ مم ، وعرضه من الأعلى ٦ مم ، ومن الأسفل ٤مم . تتصل الأذن الوسطى أو (صندوق الطبل) في الأمام مع نفير (اوستاش) الذي ينفتح على البلعوم الأنفي ، وفي الخلف تتصل مع الخلايا الخشائية . في الوحشي يسدها غشاء الطبل ، وفي الأنسي (أي في الداخل) يحدها الجدار العظمي للحلزون الذي توجد به النافذة البيضية التي تسدها الركابة ، والنافذة المدورة التي يسدها غشاء رقيق . السلسلة العظمية داخل الأذن تتألف من المطرقة والسندان والركابة . المطرقة عظم صغير ، طوله يتراوح بين ٨ ـ ٩ مم ، له رأس وعنق وقبضة تلتصق على غشاء الطبل . السندان يتمفصل مع المطرقة ، ويتألف من جسم ونتوء صغير يمتد بشكل أفقي للخلف ، ونتوء طويل يمتد للأسفل موازيا لقبضة المطرقة ويتمفصل مع الركابة . الركابة تتألف من قاعدة وسويقتين ، القاعدة بيضوية ، مساحتها ٣,٢ مم^{٢} . في الأذن الوسطى عضلتان ، الأولى تسمى موتدة غشاء الطبل ، وترتكز على قبضة المطرقة ، والثانية تسمى عضلة الركابة ، وترتكز على عظم الركابة .



● إن آلية الرافعة والمدحم في الأذن الوسطى تشتركان لزيادة الشدة الصوتية .

إن هذا التركيب الدقيق للأذن الوسطى يخدم في أمور كثيرة سنهتم بما يخص السمع منها .

مضخمة وناقلة للصوت :

لماذا هذا التركيب للأذن الوسطى ، وما حكمته ؟ كيف تنقل الأصوات ولماذا تقويها ؟ لنفترض أن إنسانا يسبح تحت الماء ، ونناديناه بمكبر للصوت ، فإنه لن يسمعنا ، أو يكاد . بينما لو صدمنا حجرين أحدهما بالآخر تحت سطح الماء فإنه سوف يسمع صوت الصدم بوضوح . كيف تفسر ذلك ؟ إن الطاقة الصوتية في الحالة الأولى تضيع ، حيث ينعكس ٩٩٪ منها على سطح الماء ، بينما في الحالة الثانية تنتشر الطاقة الصوتية داخل الماء بسهولة فيسمعها السابح . يتضح لنا من هذا المثال أن سطح الماء يشكل حاجزا أو عائقا لدخول الاهتزازات الصوتية للماء ، وهذا هو الحاصل دوما عندما تدخل الاهتزازات الصوتية من الهواء للماء . تسمى هذه الظاهرة المعاوقة الصوتية . إن الشيء نفسه يحدث في الأذن ، حيث تدخل الاهتزازات الصوتية من الهواء إلى سوائل الأذن الباطنة ، فتضيع معظم الطاقة الصوتية . فماذا تفعل الأذن الوسطى لتفادي ذلك ؟ إنها تقوم بعمل التقوية للصوت بطاقة تعادل الطاقة التي خسرها الصوت عند دخوله الأذن الباطنة . ويتم ذلك بآليتين : آلية الرافعة الميكانيكية للعظميات السمعية ، والفرق في المساحة بين غشاء الطبل والنافذة البيضية .

١ ـ آلية الرافعة للعظميات : عند اهتزاز غشاء الطبل فإن المطرقة والسندان يهتزان كوحدة مشتركة ، ومحور الاهتزاز خط أمامي خلفي يمر أسفل عنق المطرقة ، ويمتد على طول النتوء الصغير للسندان . وبسبب الفرق في الطول بين قبضة المطرقة والنتوء الطويل للسندان اللذين

يهتزان أسفل محور الاهتزاز تحدث آلية الرافعة .

٢ ـ تأثير فرق المساحة : ذكرنا أن مجمل المساحة المهتزة من غشاء الطبل ٥٥ مم² وأن مساحة قاعدة الركابة ٣,٢ مم² . لنلاحظ أن الاهتزاز الصوتي في مساحة ٥٥ مم² سوف يتجمع في مساحة ٣,٢ مم² . إن ذلك سوف يؤدي إلى تقوية الصوت بمقدار النسبة الموجودة بين المساحتين ، أي بمقدار (١٧) مرة . ويكون مجموع التقوية الصوتية : ١,٣×١٧=٢٢ مرة ، وهذه التقوية مقدارها ٣٠ ديسي بل D.B. . هذه التقوية للصوت تعادل المقاومة أو المعاوقة الصوتية لدخول الصوت إلى الأذن الباطنة : تنقل قاعدة الركابة هذه الطاقات الصوتية للأذن الباطنة بحركتها إلى داخل النافذة البيضية ، وإلى خارجها بحركة مدحم عادية في حال الأصوات العادية .

لقد لوحظ أن الضغط المنقول بين غشاء الطبل والركابة كبير ، ويتراوح بين تواتر ٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ ، لذلك فإن الرنين الطبيعي وفعالية الأذن الخارجية والوسطى كبيرة في مجال تواتر كلام الإنسان .

جهاز حماية للأذن :

كما ذكرنا فإن الصوت شكل من أشكال الطاقة يظهر بشكل ضغط ، وقد يزداد هذا الضغط كثيرا في حال الأصوات العالية إلى درجة لاتتحملها الأذن ، ولدرجة تشكيل الخطر على مكونات الأذن الباطنة الحساسة . فماذا تفعل الأذن حيال الأصوات الشديدة ؟

إن عضلتي صندوق الطبل تعملان معا لدرء هذا الخطر ، ففي حال الصوت العالي فإن موترة غشاء الطبل تسحب قبضة المطرقة للداخل ، وبذلك تشد وتوتر الغشاء ، مما يقلل اهتزاز غشاء الطبل والعظيمات ، فتقلل من شدة الصوت . أما عضلة الركابة فإنها تسحب القسم الأمامي من قاعدة الركابة للخارج ، وتبدل محور اهتزازها ، فيصبح على المحور الطويل لها ، وهذا يقلل من الطاقة الصوتية الداخلة للأذن الباطنة . هذا العمل العضلي يحدث بشكل انعكاس عصبي ، وهذا ما نشعر به عندما نتعرض لصوت عال ، حيث تتقلص عضلتا الأذن الوسطى فنشعر بألم في الأذن . هذا الانعكاس يبدأ عندما تصبح شدة الصوت بحدود ٧٠ ـ ٩٠ ديسي بل فوق عتبة السمع ، وأقل من ذلك عندما يكون الصوت بشكل ضجيج . إن عمل عضلات صندوق الطبل يحمي الحلزون الحاوي على التركيبات العصبية الحساسة التي قد تتأثر بالشدة الصوتية العالية . وكلما زادت شدة الصوت زادت شدة المنعكس ،وهو أكثر فعالية للأصوات ذات التواتر المنخفض ، حيث إنها تؤذي الأذن الباطنة أكثر من غيرها . لكن في حال الأصوات العالية جدا (انفجار قوي) لاتستطيع هذه العضلات أن تقدم الحماية في الوقت المناسب ، لأن منعكس تقلص العضلة ينتقل بسيالة عصبية ويحتاج إلى زمن قدره (١٠ ـ ٥٠ ملي/ ثانية) حتى يحدث . إن هذا الزمن كاف للإضرار بالتركيبات الحساسة في الحلزون .

وهناك وظائف أخرى لعضلات الأذن الوسطى ، وهي زيادة الوظيفة السمعية للتواترات الصوتية المنخفضة والمتوسطة بشكل خاص . كذلك تقوم هذه العضلات بتخفيض الأصوات ذات التواترات المنخفضة والمشوشة التي قد تؤثر على وظيفة السمع ، وهذه تنشأ أثناء الكلام أو المضغ ، وتقلص عضلات الوجه وحركة الجسم .

إن دقة أجهزة الأذن وحساسيتها وأهميتها التي تتأكد من خلال وظائفها للإنسان تدفعنا للتأمل العميق في دقة الصانع الأكبر للكون وعظمته . وما أحرانا في تدبر قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) . « سورة القمر آية ٤٩ . » □

واحة العربي

□ هل تعلم ؟

● بعد تحرير فرنسا من الاحتلال النازي ، سأل الجنرال ديغول أحد ضيوفه : هل تعلم ماذا أفعل عندما أود أن أعرف بماذا تفكر فرنسا ؟ فلما بانت علامات الحيرة والتردد على وجه الزائر ، أجاب ديغول : أسأل نفسي .



● ديغول

□ في الصميم

● الفرق بين الجزار والجراح هو أن الجزار يقتل أولاً ثم يقطع

(تريستان برنار)

● إذا كان الأطباء يعطون المرضى مادة المورفين فغالباً مايفعلون ذلك ليتاح لهم « أي الأطباء » أن يناموا .

(د . اندريه سوبيران)

● من حسن حظ الأطباء أن الشمس تضيء انتصاراتهم ، والتراب يخفي أخطاءهم .

(نيكوليس)

● لكل طبيب مرضه المفضل .

(هنري فيلدنغ)

من القلب

موز وملح وقطار

● صعد أحدهم إلى القطار ، وكان يحمل كيساً من الموز . وما أن سار القطار حتى فتح كيس الموز وأخرج ورقة فيها بعض الملح ثم قشر الموزة الأولى وغمسها في الملح ورماها من النافذة ، وكذلك فعل في الموزة الثانية والموزة الثالثة والرابعة والخامسة .

وعندما قشر السادسة وأراد غمسها بالملح ، أمسك الراكب الذي يجلس أمامه بيده وقال له : قل لي ، لماذا تقشر الموز ثم تغمسه بالملح ثم تلقيه من النافذة ؟

- وهل تريدني أن أجيبك بصراحة ؟

- نعم ، أريد الحقيقة وبكل صراحة .

- حسناً . أنا لاأحب الموز مع الملح .

□ قاموس الظرفاء

الشباب : فترة من الكفاح في سبيل الوصول إلى الشيخوخة .

الضمير : جزء منك يؤلمك عندما تكون سائر أجزاء جسمك في سعادة تامة .

الفضيحة : هي الشيء الذي يجب أن يكون قذراً حتى يكون جيداً .

□□ صحكاب عربه

□ سكر

● قا حدث بن محمد
سمعت محمد بن مسلم
بعو يكلمه حا ى مجلس
ع كه لحص فانتبه
عبد الله عن عبد
عمه وف له حا
سبب هذ لسجد
يجعل الله مثلك

□ من

● عن ى لقاسم لحب
ها كتب بعض لناس كتب
من طس بذ كتب
طوس فعل له في لك
فصا لأ عمص
مابعدها
فعل ى عمص حر حد
لاتلد له حسبا مر

□ بصف بحاح

● لقى لوعط حسمه لمعب
على لكرسى ها لرحبه
لو حالب ما لمصلى
من حب لأعب مساعد
لعمر
فساله حبه هل
يحجب في ضعهم
فصا لوعظ بصف
بحر فلقد حجب ى ف
لمه بعو مساعد

نامن لعم ى لسحا	عس وحسم وسا
ماطاب لى ى سوكم	سو وعس وسا
فهوكم لس مها	سو وكاف وسا
وحطكم كل سو	مسم ل حا
سى ى هساكم	سس سا وحا
س لى ى بلاى	صا وسا و
سم لكل عمر	كاف وسو و
ول كعب سدكم	سا وسس وطا
هل عندكم بحو سبح	لام وحا وطا
وحسه من صاكم	عس وطا وفا
سا كم للأمسان	وو وحسم وها
سس وسا وعس	فسها و وسا

□ كا سكاسر





داعية الوحدة العربية

بقلم : شريف الراس

كانت مبادرة جميلة ومنصفة من القيادة السياسية التونسية الحالية عندما أصدرت قراراً رسمياً بإعادة الاعتبار إلى المجاهد العربي الكبير الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، عليه رحمة الله ، والتعريف به على أنه مؤسس الحركة الوطنية للجهاد في سبيل استقلال تونس . فمن هو عبد العزيز الثعالبي ؟

إنه رجل عربي من تونس ، ولد سنة ١٨٧٤ ، وسافر في رحلة طويلة مليئة بالأشواك والعذاب ، واستمرت حتى عام ١٩٤٤ ، وتوفي في تونس أيضا . وكانت رحلته الطويلة الشاقة بحثا عن كنز أجمل من الشمس . كان يسافر في ذلك الزمن الصعب ، المخنوق بكوابيس الاحتلال الفرنسي والايطالي والبريطاني ، بحثا عن حبيبة اسمها : الوحدة العربية ، حيث العروبة والإسلام يشكلان مفهوما واحدا ، كما هو معروف عن أهلنا في أقطار المغرب جميعا .

المعاهدة المشئومة

وفي سنة ١٨٨١ ، عندما بلغ الطفل سن السابعة ، وقّع «باي تونس» المعاهدة الشهيرة التي تمنح الفرنسيين مايريده المستعمر المحتل ، فقامت ثورات شعبية مسلحة كثيرة ، نال منها الفرنسيون أشد الأذى ، غير أن الذي كان يخيفهم ويقض مضاجعهم شاب ملتح ، من خريجي معهد الزيتونة الديني ، على الرغم من أنه لم يكن يحمل بندقية أو خنجرا ، بل كان يحمل بيده قلما ، أي قلم !!

سئل ذلك الشاب يومذاك : ماذا تعمل يا عبد العزيز ؟

فأجاب : صحفيا ، عندما أنهيت دراستي في جامع الزيتونة أصدرت جريدة ، فأغلقها الحاكم العام الفرنسي بعد أيام ، فعدت وأصدرت جريدة ثانية ، فأغلقوها أيضا .

هذا «الصحفي» الشاب الفقير ، ذو النظارة الطبية ، كان يخيف الحاكم العام الفرنسي ، المعربد بقواته العسكرية ، وأجهزة الفتك والقمع الرهيبة التي تحت تصرفه ، لقد كان يخاف من كلام عبدالعزيز الثعالبي ، لأن هذا البطل الوطني النبيل كان يعرف كيف ينبه



● عبد العزيز الثعالبي

الشعب إلى ألاعيب المستعمر، ويفضح مؤامراته، وهو يدعو إلى مقاومة هذا المحتل الأجنبي، وطرده من البلاد، وهو يوقظ الناس إلى حقهم في الحياة الحرة، «فتونس للتونسيين»، ونحن شعب حي، وأحفاد أجداد عظام، منا النبي العربي العظيم، وعمر، وعلي، وسعد، وخالد، وصلاح الدين، فكيف نرضى بأن نكون عبيدا ؟!».

ولذلك كان من الطبيعي أن يغلق الفرنسيون جريدته، غير أن هذا الرجل الصلب العنيد، المصرّ على إصدار جريدة ثالثة، فلجأهم من باب أكثر خطرا وإقلاقا، جاءهم من باب الخطابة.

الخطيب المفوّه

كان الرجل ذو الطربوش الأحمر واللحية العطرة يقف في أكبر ساحة بتونس، ليلقي الخطابات الوطنية الحماسية الرائعة، والناس الكثيرون الذين غصت بهم الساحة الواسعة يكبّرون ويصفقون ويهتفون: «يحيا الوطن»، والنساء يزغردن في شرفات المنازل، والأطفال يقدمون باقات الورد للخطيب العظيم. والرجال يقولون: ماأحسن بلاغة هذا الرجل !! وما أجمل كلامه الذي يثير النخوة والحمية في القلب، ويزيد الوعي والمعرفة في الفكر !! سبحان الذي وهبه هذه القدرة العجيبة على الخطابة البليغة. إن عبدالعزيز الثعالبي يستطيع أن يستمر في الخطابة ست ساعات، لايتعب، ولايزل لسانه، بل يظل يحدث الناس بأجمل الكلام: «ياقوم، ياقوم، كنتم خير أمة أخرجت للناس، ياقوم، ياقوم، أنتم أهل الحضارة ورواد التقدم والحرية، ياقوم، ياقوم ...».

وأهل تونس يهللون ويكبرون، ويهتفون

بحياة الوطن ، وتعلو أصواتهم بعبارات التحية للخطيب المبدع ، والثناء عليه ، وبعضهم يلوح له بنسخة من الجريدة . فالشيخ عبدالعزيز قد نفذ قراره ، وأصدر جريدة ثالثة ، متحديا عساكر الأجنبي المستعمر الذين كان يسميهم «البشعين» ، داعيا إلى طردهم من البلاد ، وتحرير الوطن من سيطرتهم ، وتحقيق الاستقلال . والجريدة تتسع انتشارا ، يوما بعد يوم ، ورسائل الإعجاب تصل إليه من مدن تونس جميعها ، ومن المغرب والجزائر وليبيا . وأصدقاؤه يخبرونه همسا بأن عين الحاكم العام قد احمرت عليه ، وأنه يزداد غضبا عليه ، وعلى جريدته وخطاباته ، وأنه لابد أن يبطش به .

النفي من وطن إلى وطن

وذات مساء ، وبينما كان الثعالبي يؤكد لبعض أصدقائه: «إننا في تونس لسنا شعبا منعزلا ، بل نحن جزء من أمة كبيرة ، أمة عظيمة» ، داهم جنود الاحتلال البشعون الرجل وأصدقاءه ، في مكتب الجريدة ، وصادروا كل ما فيها ، وأغلقوها ، واعتقلوا الثعالبي وأبلغوه قرار الحاكم العام بنفيه إلى خارج وطنه ، إلى مصر .

ضحك الثعالبي وهو يقول : لو أن هذا الحاكم الأجنبي الأبله قرأ التاريخ ، وعرف من نحن ، لما قرر إبعادي إلى مصر ، فهو يظن أنه يقهرني إذ يبعدني عن وطني ، مع أن مصر مثل تونس ، وطني .

كان ذلك في عام ١٩٠١ ، أي عندما بلغ الثعالبي سن السابعة والعشرين ، كان شابا شجاعاً عنيداً ، لايمكن أن يصبر على «الإبعاد» ، فها هو يعود متخفيا ، بعد أقل من سنة ، إلى تونس ، ويقول لأصدقائه في المخبأ :

أتدرون ما اكتشفت في مصر ؟ اكتشفت أننا لسنا وحدنا الذين نعاني مما نحن فيه ، فعندنا في تونس ظلم متجسد بالاستعمار الفرنسي ، وعندنا في مصر ظلم مماثل ، متجسد بالاستعمار البريطاني ، وفي القاهرة ، وفي أروقة الجامع الأزهر ، لقيت إخوانا عربا ، من سائر أقطار وطننا الكبير ، ومن أحاديثهم صرت واثقا كل الثقة ، من صحة نظريتي التي كنت أحدثكم عنها قبل سفري .

يا إخواني : نحن العرب أمة واحدة ، العرب كل العرب أعني ، لا أبناء المغرب العربي حسب .

والواقع أن «رحلة» الثعالبي الثانية لم تحدث إلا بعد ذلك بعشر سنوات ، أى في سنة ١٩١١ ، عندما بدأ العدوان الايطالي الهمجي على ليبيا ، وهب أهلها لمقاومة الغزو في معارك ضارية ، فقام الثعالبي بجمع المعونات والأموال والأسلحة من تونس ، ويرسلها إلى المجاهدين في ليبيا ، ويواصل طلب التبرعات ، والناس يقدمون له أكثر مما يطلب . كان يقول لهم : إذا تمكن أبناء شعبنا في ليبيا من أن يحققوا استقلال بلدهم ، فهذا سيؤدي إلى تحقيق استقلالنا هنا في تونس ، لأن حرية أي قطر من وطننا الكبير هي دعم للنضال من أجل تحرير أقطار وطننا الأخرى ، وهذا شيء يدركه الأجانب جيدا .

إلى باريس

وفي سنة ١٩١٩ كانت رحلة الثعالبي الثالثة ، فقد سافر إلى باريس هذه المرة . وعندها كانوا يسألونه : ماذا أخذت معك إلى باريس ؟

كان يجيب : أخذت معي كتابا عنوانه «تونس الشهيدة» ، كتبته باللغة الفرنسية ، حتى يفهمه الناس هناك . أردت أن يفهم أهل أوربا

قصتنا ، مأساتنا ، الظلم المريع الذي ينزل بنا ، لقد قالوا : إنهم - بعد أن انتهت الحرب العالمية - يريدون عقد مؤتمر دولي رفيع ، يقررون فيه إحقاق الحق في كل مكان ، حتى يعم السلام في كل مكان ، فقلت لنفسي : إذن أحمل «تونس الشهيدة» ، وأسافر إليهم .

سؤال : ومإذا جلبت معك من المؤتمر ؟

جواب : جلبت هذه القيود الحديدية التي تكبل يدي .

قال الراوي : في عام ١٩١٩ أعيد الثعالبي من مؤتمر الصلح بباريس إلى تونس معتقلا مكبلا بالحديد ، وزج به في السجن .

حزب الثعالبي وأهدافه

قال الراوي : وأسس الشيخ عبدالعزيز الثعالبي حزبا وهو في سجنه بتونس ، وسمع الناس بمبادىء هذا الحزب ، فأعجبتهم كثيرا ، وأعلنوا إيمانهم بها . وكان من جملة المبادىء أن «العرب أمة واحدة ولابد أن تتوحد» .

كان ذلك في عام ١٩٢٠ ، وأهل تونس يطالبون بالإفراج عن قائدهم الوطني العظيم ، ويزداد تعلقهم به يوما بعد يوم ، فينتسبون إلى حزبه أفواجا أفواجا ، فكان رد المحتلين نفي الثعالبي من تونس ، وإبعاده عنها . كان ذلك في عام ١٩٢٣ . كان ميناء تونس يغص بالناس المودعين الغاضبين ، وفي النفوس اقتناع أكيد بأن الشيخ الثعالبي الذي يلوح لهم بيده فوق ظهر السفينة المغادرة ، سوف يعود ثانية ، ويقود الحركة الوطنية ، ولكن السفينة التي مضت بعيدا رست به في ميناء الاسكندرية بمصر ، ثم سافر الرجل - الشعلة - إلى فلسطين وسورية ولبنان والعراق والحجاز والخليج العربي واليمن .

ويسألون الرصافي أن يحدثهم عن الشيخ الثعالبي ، فيقول : إنه أعظم خطيب عرفته أمتنا العربية . ويسألون الشيخ عزالدين القسام أن يحدثهم عن الشيخ الثعالبي فيقول : إنه بطل عربي عظيم ، شارك معنا في الثورة المسلحة .

ويسألون عنه أهل دمشق فيقولون : الثعالبي ربط حركة التحرر الوطني في أقطار المغرب العربي بحركة التحرر الوطني فى أقطار المشرق العربي .

ويسألون عنه أهل بيروت فيقولون : إنه طاقة فكرية رائعة ، وأن ذهنه الوقاد منارة وطنية ، سواء في مقالاته أو خطاباته أو أحاديثه الشيقة المفيدة .

ويسألون عنه أهل القدس ، فيقولون : الثعالبي دلنا على طريق قويم ، كفيل بالتصدي للمخططات الصهيونية وإفشالها ، وكم نصحنا بأن ننشىء في القدس جامعة إسلامية على غرار الجامع الأزهر بمصر !!

ويسألون عنه أهل القاهرة ، فيقولون : الثعالبي - حسب علمنا - أول من نادى بتوحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج .

ويسألون عنه أهل تونس ، فيقولون : غاب عنا الثعالبي في رحلته الأخيرة ثلاث عشرة سنة ، حتى عاد إلينا على الرغم من أنف المستعمرين ، في عام ١٩٣٦ ، عاد إلينا ليدعو إلى توحيد أقطار المغرب كخطوة لتوحيد المغرب كله مع بقية الأقطار العربية ، فكان جواب المستعمرين أن أرسلوا إليه من أطلق عليه النار غدرا .

س : وهل اغتالوه ؟

ج : نجا من الموت بأعجوبة ، وقتل بعض الذين كانوا حوله .

قال الراوي ، في سنة ١٩٤٤ توفي هذا المجاهد العربي الكبير في فراشه بتونس ، عليه رحمة الله . □

أرقام

بقلم : محمود المرافي

هل يفضلونها "عربية" ؟

خلال السنوات الأخيرة أصبح الاقتصاد الحر هو السائد في معظم الأقطار العربية ، بعد أن واجه انحسارا في الستينيات وجزء من السبعينيات . وخلال هذه السنوات تزايد دور « الرأسمالي الفرد » ، وأصبح السؤال عن حركة الأموال غير مقصور على ما تنفقه الحكومات أو تستثمره ، أصبح السؤال - على سبيل المثال - أين يستثمر الأفراد أموالهم ؟ في السوق المحلية أم الدولية ؟ وإذا اجتازت لموالهم الحدود : ألى سوق عربي أم سوق عالمي ؟

وربما كان الحديث عن تصدير الأموال إلى الدول الصناعية المتقدمة غير جديد ، فالجديد أن نسأل عن الدائرة العربية ، وإلى أي حد كانت جاذبة لرأس المال العربي ؟

السؤال له مبرره على ضوء قوانين تشجيع الاستثمار ، والضمانات التي تتزايد عاما بعد عام في الأقطار العربية ، بما فيها الأقطار التي أخذت بنظام الاقتصاد الموجه .

والسؤال له مبرره والظروف الدولية على ما نعلم : مخاطر متزايدة ، وفوائد وأرباح متناقصة ، وحصار على فرص الاستثمار ، وتقلب في أسعار العملات بما يقلل القيمة الحقيقية للأموال العربية في الخارج .

لا نحتاج لتكرار الحديث عن الهجرة التي حدثت في أسواق المال خلال أكتوبر ١٩٨٧ ، وما أسفرت عنه من خسائر . ولا نحتاج للحديث طويلا عن قرارات سياسية بخصوص الاستثمارات العربية في الخارج ، يكفي أن نذكر واقعتين :

الأولى ، في يناير ١٩٨٦ ، حين قرر الرئيس الأمريكي تجميد الأموال الليبية في المصارف الأمريكية ، وسريان ذلك على فروع لندن ، وعجز ليبيا عن سحب أموالها ، ولجوئها للقضاء الذي حكم لصالحها في النهاية .

الواقعة الثانية ، قصة مساهمة الكويت في « البريتش بتروليوم » ، وقرار لجنة الاحتكارات بتخفيض الحصة بنسبة (٥٥٪) ، مما اضطر الجانب الكويتي لبيع جزء من أسهمه .

المشاكل التي تصادف رأس المال العربي في الخارج لا تحتاج إذن إلى بيان . وعلى الجانب الآخر فإن الإغراءات - بالقوانين - للاستثمار في الوطن العربي لا تحتاج إلى « شرح » ، والسؤال : إلى أي حد انعكس ذلك على حركة المستثمرين الأفراد الذين لا يخضعون لقرار سياسي بالتواصل أو بالقطيعة ؟

مفاجأة الأرقام

طبقا لبيانات المؤسسة العربية لضمان الاستثمار فإن استثمارات الأفراد العرب التي

توجهت إلى أقطار عربية لم تتجاوز (٢٢٨) مليون دولار عام ١٩٨٧ . معنى ذلك :

١ - أن الاستثمار في ذلك العام قد تراجع عن سابقه الذي بلغ (٣٦١) مليون دولار .

٢ - أن العامين (المنخفض في الاستثمار أو المرتفع) لا يمثلان غير نسبة ضئيلة من الاستثمارات العربية في الخارج التي بلغت كمجموع (٤٠٠) مليار دولار عام (١٩٨٣) ، و (٣٥٠) مليارا عام (١٩٨٨) ، وذلك طبقا لما ورد في التقرير الاستراتيجي العربي لعام ٨٩ (الصادر عن مؤسسة (الأهرام) .

وبمزيد من التحليل نجد أن مجالات التجارة والمقاولات والمال والمصارف هي الأكثر جذبا ، حيث احتلت وحدها (٤٠٪) من الاستثمارات المهاجرة للأفراد في ذلك العام . واحتلت الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية المكان الثاني (٣٠،٥٪) ثم جاءت الصناعة التي سجلت تراجعا لتحتل (٢١،٣٪) .

الملفت للنظر - وعلى عكس ما هو شائع - أن السياحة والعقارات لم تحتل غير (٧،٩٪) من الاستثمارات العربية للأفراد الموجهة لأقطار عربية في عام ١٩٨٧ .

من أين ، وإلى أين ؟

تسجل الأرقام - طبقا للتقرير الاستراتيجي - أن المملكة العربية السعودية كانت الأولى في تصدير الأموال إلى المنطقة العربية في ذلك العام ، فاحتل السعوديون وحدهم (٣٠٪) من الاستثمار الجديد خلال العام ، وجاءت الشركات العربية المشتركة في المكان الثاني (١٧٪) وهي شركات قد تكون بعض أموالها حكومية - ثم جاءت مصر في المكان الثالث ، فقد قام الرأسماليون المصريون بتصدير (٢٧) مليون دولار ، بنسبة (١١،٨٪) من جملة استثمارات الأفراد التي عبرت الحدود « العربية - العربية » ، بعدها جاءت الكويت (٩،٢٪) ، ثم كل من سلطنة عمان وسوريا (حوالي ٥٪) .

أما في ما يتعلق بحالة الاستقبال ، فإن السودان كانت هي الأولى ، والسبب مشروعات زراعية تبنتها الشركة العربية للاستثمار الزراعي ، بعدها وبنسب تكاد تتساوى (وهي ١٨،٣٪) جاءت الأردن ، ثم البحرين ، ثم مصر ، ثم الإمارات ، ثم المملكة المغربية .

خلال هذه المرحلة : احتلت دول مجلس التعاون نصف الاستثمار الكلي ، لكنها وجهت أيضا نصف رؤوس أموالها التي تحركت عربيا خلال العام إلى داخل المنطقة نفسها : منطقة دول مجلس التعاون عينها . وبما يعكس تزايد التفاعل الاقتصادي بين دول المجموعة .

هذه الدلالات الواضحة

انتهت مرحلة الأرقام ، وبقيت الدلالات ، أو بقي السؤال : لماذا لا تتوجه الأموال العربية إلى السوق العربية ، على الرغم من مخاطر الخارج (عالميا) ، وإغراءات الداخل (عربيا) ؟ لماذا يحجم أصحاب الأعمال عن استثمار أموالهم داخل الوطن العربي بالقدر الكافي ؟ ولماذا يؤثرون قطاعات التجارة والمال والخدمات ؟

والجواب ليس صعبا ، فالقوانين والتعهد بعدم التأميم أو التعرض للمخاطر السياسية ، هذان العنصران لا يكفيان لجذب رأس المال ، فهما لا يخلقان فرصا للاستثمار أو يزيدان فرص الربح .

المعوقات تكمن في طبيعة المشكلة الاقتصادية في معظم الأقطار العربية المستقبلة لرأس المال ، فتدهور العملات ، وارتفاع نسبة التضخم ، يصنعان حالة من عدم الاستقرار والعجز عن التنبؤ والتخطيط . □



شعر : صالح هواري

أغنية

ونحن العصافير نحفر أحلامنا في الشجر
زوارق لريح ، تبحر في الصحو أو في المطر
نسافر والأغنيات جوازاتنا للسفر
لماذا ونحن عرائس هذا الزمان الأغر
نظل نغني ، نغني ، ويلقى علينا الحجر ؟

* * * *

لنا كل يوم على شاطيء الواد عرس وعيد
عشقنا الغنا ، فتعلمت الأرض منا النشيد
نغني لأنا نغني ، نطير لأنا نريد
عيون البنادق دوما علينا تصب الوعيد
تهدم أعشاشنا لنعمرها من جديد

عاشقان

اثنان فوق المقعد الخشبي يشتعلان في لغة السكون
النار تمشي في اليدين وفي العيون تلوب أجنحة العيون
إن مرَّ بينهما نسيم يختنق
والماء من لمس الأصابع يحترق
هي في كتاب الورد ترسم عشها اللهبيّ
وهو يهيم في الصفحات منها ويأتلق
خبر من الأسرار يخفق بين قلبيهما ليخترقان أعمدة الزمان
طار التمني بي فصاح بي المكان :
صفر القطار وأنت أول من رآه العاشقان




آلاف من الشلالات





كراتشي..

استطلاع : محمود عبد الوهاب

تصـــوير : طــــالب الحسيني



• كان الوقت ضحى . .

هبطنا كراتشي ضيفين على مدينة ذات عشرة ملايين نسمة . تزدحم بهم وتضيق . ووسط شوارعها الضيقة ، وقراها المغرقة في الفقر والإهمال ، كانت جولتنا .

وطوال تجوالنا كان يلح على ذاكرتنا تاريخها الطويل . فهنا عاصمة السند (وبلاد تركب الأفيال) ، وهنا واحدة من مناطق الحضارات القديمة . ووسط ذكرى التاريخ كانت وجوه الناس تحيط بنا فرحة . من إقليمهم وبأصوات الفقراء وصلت إلى الحكم رئيسة الوزراء ، ابنة مدينتهم وقبائلهم • .

لكل مدينة من المدن شخصية خاصة بها ، وتتكون ملامحها عبر مسيرة التاريخ على الطرقات والجدران والمنازل ، ليضيف كل يوم إليها ويمنحها مرور الزمن طبيعة خاصة بها ، تتأكد يوما بعد يوم .

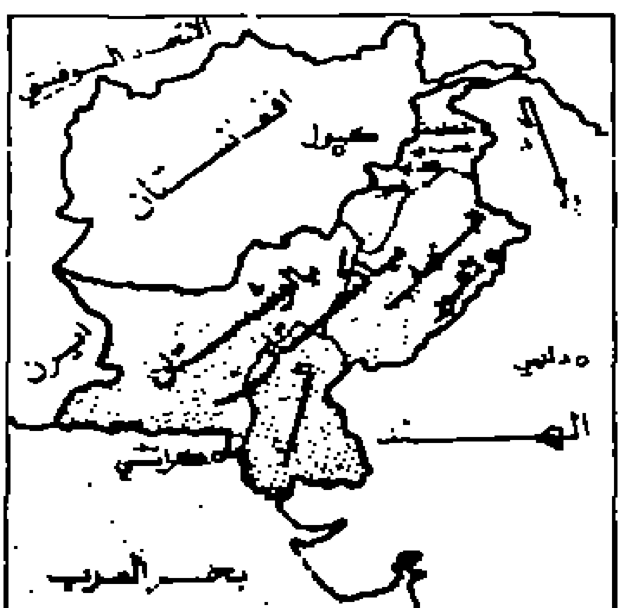
هكذا هي كراتشي . مر عليها تاريخ طويل عريق ، واكتسبت منه كل العراقة وكل أمراض القدم .

تزدحم بالبشر لا تخطئه عين : الفقر تقفز ملامحه في السلوك اليومي للناس ، سائقو سيارات الأجرة ، الحمالون ، المتسولون ، الباعة الجائلون .

كانت في الزمن القديم عاصمة امبراطوريات كبرى ، وحضارات زاهرة ، كانت بموقعها ميناء ومرسى للسفن القادمة من الجهة المقابلة حيث شط العرب والتجارة العربية الرائجة ، مما جعلها منذ القدم مهبطاً للهجرات السكانية من البشر القادمين إلى الازدهار والتجارة ، وأضواء العواصم ، وبعد أن تأسست دولة باكستان عام ١٩٤٧ ، ظلت كراتشي عاصمة للدولة ، حتى انتقال العاصمة بعد ذلك إلى « إسلام آباد » في أوائل الستينات ، وبدأت أضواء المدينة تخفت . ولكن بقيت منها أضواء التاريخ وفنارة الميناء .

عاصمة السند

تعبير شائع في الأدبيات العربية ، وفي كل التراث العربي ، في ألف ليلة وليلة ، وفي رحلات السندباد ، وفي رحلات ابن بطوطة ، وفي كل قصص الرحلة والبحارة العرب ، وهو تعبير : بلاد الهند والسند ، بلاد تركب الأفيال ، . وفي كل القصص القديمة كانت ترتبط بلاد السند والهند ذهنيا بالبحر والعجائب



● خريطة باكستان ، موضح عليها أقاليمها المختلفة والقوميات المتوزعة في كل إقليم .



والجواهر والأفيال . على الساحل الغربي لشبه القارة الهندية تقع كراتشي ، وهي بموقعها هذا مواجهة تماما لسلطنة عمان ، وتمثل مع شاطىء عمان نقطتي انفراج الخليج العربي على المحيط الهندي .

وقد بدأ التجار المسلمون بالهبوط إلى ساحل كراتشي للتجارة ، مع بداية العام الهجري الثامن ، وظلت رحلات المسلمين منتظمة ، حتى تعرضت أعمالهم التجارية للنهب والقرصنة من قبل السكان المحليين . ولحماية التجارة الإسلامية قام القائد الإسلامي محمد بن القاسم ، عام ١١٢هـ ، بالسفر بنفسه الى شاطىء بلاد السند ، لتأمين التجارة الإسلامية ، واستقر هناك مع قواته ، وأسس قرية صغيرة عن الميناء ، لاتبعد عن كراتشي أكثر من ٢٠ كيلومترا ، ومازال هذا الموقع قائما حتى اليوم ، وهو ميناء محمد بن القاسم ، على ساحل كراتشي حاليا . منذ ذلك التاريخ بدأ الوجود الإسلامي في بلاد السند ، وتغلغل منها في كل المنطقة . وبدأ عصر الحكم العربي الإسلامي لهذه المنطقة من اسيا .

تاريخ وحضارات

ولقد شهدت كراتشي ، كجزء مما يعرف بإقليم السند ، حضارات كثيرة ، أقيمت على ضفاف بحر العرب ، وداخل إقليم السند ، ومازالت أراضيها تحفل بكثير من الآثار التاريخية .

فبعد فترة الحكم الإسلامي الأول الذي بدأ على يد محمد بن القاسم ، خضع إقليم السند للدولة الغزنوية (٣٥١هـ - ٩٦٢م) ، وامتدت فتوحات الغزنويين من السند إلى كل الهند ، وامتدت الدولة زهاء ثلاثة قرون ، ازدهرت فيها التجارة مع العرب ، عبر بحر العرب ، حيث كان خليفة المسلمين في بغداد (الخليفة القادر)



قد منح محمود الغزنوي ، مؤسس الدولة ، لقب « يمين الدولة » ، وحافظ على علاقة طيبة معه ، فاستمرت التجارة ، واطردت إلى الحد الذي بلغت فيه مايربو على ٢٠ ألف رحلة سنويا ، سواء بالزوارق أو بالمراكب بين كراتشي وميناء محمد بن القاسم والموانىء العربية المختلفة . وقد



● الشارع الرئيسي في كراتشي : أنماط عمارة متباينة . البيت الخشبي القائم يعود تاريخه الى أكثر من مائتي عام .

أرخ العلامة العربي الفذ أبو الريحان البيروني هذه المرحلة في دراسته للهند ومنطقة السند وحضارتها ودياناتها وفلسفتها ، إذ كان قد صحب محمود الغزنوي في فتحه للهند ، وقضى هناك أربعين عاماً .

على مسيرة ساعة بالسيارة ، بعد كراتشي ، باتجاه الشرق في عمق إقليم السند ، تقع مدينة « تاتا » ، وهي مدينة كانت مركزاً لامبراطوريات المغول الذين أنهوا حكم الغزنويين ، وأقاموا امبراطورية استمرت ثلاثة قرون .

في « تاتا » أشهر معلمين تاريخيين إسلاميين من بقايا عصر المغول ، الأول هو مسجد « شاه



● الصلاة الجماعية على ضفاف النهر . كل ملابس أهل كراتشي تغسل هنا ، وبعد الغسيل تجفف تحت الشمس

جيهان » . الامبراطور الشهير في تاريخ الامبراطورية المغولية . بنى المسجد الكبير صورة طبق الأصل من المسجد الأقصى ، مستخدماً أنواعاً من الحجارة الحمراء ، والرخام . ومنمنمات الزينة التي مازالت تزهو بـقية حتى اليوم . وأمام بوابات المسجد تمتد حديقة منسقة ، تتوسطها نافورة مياه . وقد صمم المسجد بحيث يردد صدى الصوت بوضوح شديد ، حيث لم يكن في ذلك الوقت مكبرات للصوت . وكان حرص الملك أن يكون المسجد كبيراً ، وفي الوقت نفسه يسمع كل المصلين القرآن وما يقوله الخطيب . ولو وقفت في أي ركن من المسجد ورفعت صوتك لسمعك من بداخله وخارجه . تحفة في العمارة أتمها الامبراطور في ثلاث سنوات فقط ، حيث بدىء العمل بالمسجد عام (١٠٥٤هـ / ١٦٤٤م) ، وانتهى عام



(١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م) . ويتسع المسجد خمسة آلاف مصلٍ .

والامبراطور شاه جيهان هذا هو نفسه الذي بنى لزوجته الأثر الشهير المعروف بـ «تاج محل» ، وهو يلقب في التاريخ المغولي بالامبراطور المعماري .

في محاذاة المسجد تقع مقبرة الأباطرة . وهي مقبرة عظيمة ، مازالت بقاياها قائمة حتى اليوم ، وهي تضم مقابر أباطرة امبراطورية المغول من بابر حتى أورنك زيب ، آخر الأباطرة العظام الذي بدأت بعده الامبراطورية في التفتت . وقد شهدت «تتا» ازدهاراً هائلاً في عصر الحكم المغولي . وكما تذكر المصادر التاريخية فقد كان في «تتا» في نهاية القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ٤٠ ألف زورق ومركب تعمل في قطاع التجارة البحرية . وكان هناك ٤٠ ألفاً من مسجل قسائم «الخفية» والأثواب في المدينة ، وحرفيون من كل المهن ذوو مستوى عال ومهارة فائقة ، قدر تعدادهم ٢٠ ألف حرفي ، وأصحاب حوانيت وتجار حبوب وصرافون ، يقدر عددهم بـ ٦٠ ألفاً ، وكان يتم تصدير كميات كبيرة من المصنوعات اليدوية السندية . بالإضافة الى ازدهار الزراعة في أراضي منطقة السند الخصبة ، وربيعها الواسع

قرى مهملة

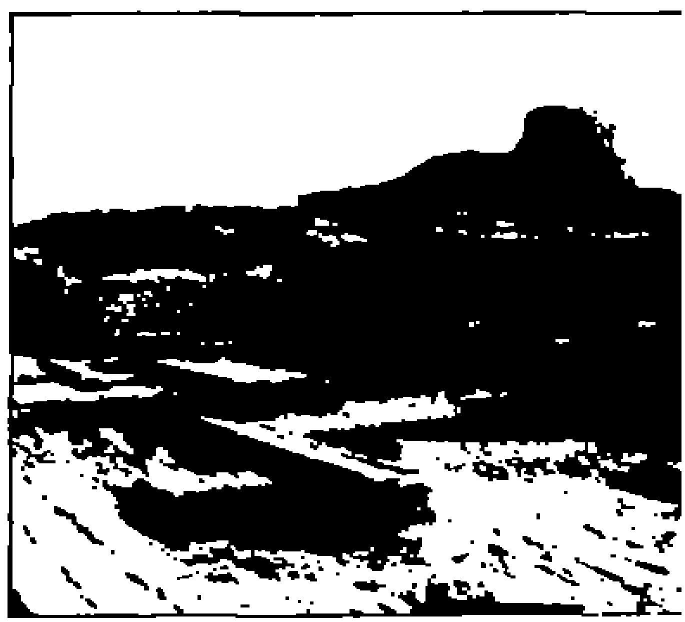
استأنفنا رحلتنا بعد مغادرة «تتا» باتجاه الشرق قاطعين قلب الريف في منطقة السند . الطرق بالغة الضيق ، غير ممهدة ، والسيارة تتقافز بنا . على جانبي الطريق الحقول الواسعة ، وتتجمع المساكن الريفية في دائرة صغيرة عند نهاية مساحة من الحقول ، تصغر هذه المساحة أو تكبر حسب مساحة القرية . والبيوت بالغة الفقر ، والطرقات في القرية مزدحمة بشكل يفوق التصور ، فلا يمكن السير دون أن تصطدم بالمارة ، وتفسح لنفسك طريقاً بالدفع بالمناكب . الإهمال والقذارة واضحان لكل عين . الذباب يحوم في الجو ، يرسل طنيناً حول معروضات الباعة الجالسين في الطرقات . صور بنازير بوتو على الحافلات التي تشبه علب «السردين» ، وعلى جدران المقاهي الشعبية ، وفوق جدران البيوت ، فالسند هو إقليم عائلة بوتو ، وبأصوات أهل السند وصلت بنازير الى الحكومة .

الريف والحياة في القرية لها شكل مختلف تماما عن المدينة . وتحتل القرى حالات خاصة تختلف كليا عن المدينة .

النشاط الأغلب للسكان في ريف منطقة السند هو الزراعة ، بالإضافة الى الصيد وبعض صناعة المنسوجات . ويستأثر الريف والقطاع الزراعي بعدد كبير من السكان يعملون مزارعين وأجراء .

ومازالت القبيلة حتى اليوم هي المسيطر الرئيسي على الريف . والتقاليد القبلية لها سيطرة وقوة أكثر من أي شيء آخر عداها .

ففي القرية السندية تتركز عائلات بأكملها ، ويعين أكبر أعضائها الذكور رئيسا للقرية . وعلى الرغم من التغيرات الكثيرة التي حاولت الحكومة إدخالها الى القرية فإن شكلها الاجتماعي لم يزل ، سادة من عائلة واحدة تتوارث الأرض ، وزراع مستأجرون من عائلات عديدة ، أدنى في الدرجة الاجتماعية . وأكثر مايكون تأثير العادات القبلية وضوحا في تقسيم الأراضي ، فعلى الرغم من أن تعاليم الإسلام تنص على أن للإناث البنات حصة من ميراث



● بقايا مدينة « موهنجودارو » تعود الى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

الأب ، فإن التقاليد تقضي بأن الإرث يذهب للأبناء الذكور فقط . وبالمثل فإن الأم الأرملة التي تستحق الربع لا تحصل على نصيبها من إرث زوجها . وتفسير ذلك أن العادات القبلية ترفض انتقال الثروة المتمثلة في الأراضي الى عائلة أخرى من خلال زوج الأخت أو الأم إذا تزوجت بعد وفاة الأب . ولذلك فإن زواج زوجة الأخ المتوفي حالة واسعة الانتشار في الريف كله .

ويحكي لنا حاجي ابراهيم عزيز ، وهو إمام أحد المساجد ، عن واقعة حدثت له في إحدى القرى في إقليم السند . كان سيد القرية هو فاضل شاه ، (ولقب شاه يطلق في باكستان على السادة الأشراف) ، ولم يكن لفاضل شاه سوى ابنة واحدة ، وكان لايفتأ يُعرب عن قلقه لعدم وجود ابن له ، يرث مكانته كسيد للقرية . وكان خلال لقاءاته بأهل القرية في المسجد يؤكد للفلاحين ـ بحضور محدثنا حاجي ابراهيم ـ أن الابن وحده هو الذي يمكنه أن يرث المكانة الاجتماعية والسيادة ، فهو من صلب أشراف ينتهون بنسبهم الى النبي عليه الصلاة والسلام !!

يستطرد محدثنا في سرد روايته فيقول : وظل فاضل شاه يمهد على مسمع أهل القرية لزواجه الثاني الذي بدأ يعد له العدة ، لعله يرزق بذكر ، وفجأة صدر قانون الأسرة في عام ١٩٥٨ الذي جعل الزواج الثاني صعبا إلا في ظروف غير عادية ، يترك تقديرها لممثل الحكومة المحلي في القرية . ولما كان الممثل المحلي للحكومة على غير وفاق مع فاضل شاه ، فإن خطط الزواج قد فشلت ، وبعد فترة جاء فاضل شاه الى المسجد ليقوم في أهل القرية ويحدثهم بأنه (اكتشف !!) من خلال أبحاثه الدينية بأن زوج البنت يمكن بسهولة أن يحل محل الابن ، وأنه سوف يبحث عن زوج لابنته يكون جديرا بالمكانة الاجتماعية ورئاسة القرية بالابنة والثروة في وقت واحد !

الدين في القرية غير الدين في المدينة ،



● مسجد الطوبة أكبر مساجد كراتشي وأجملها ،
والحديقة أمام المسجد جعلته مكانا جميلا .



والمؤسسة الدينية (المسجد) تلعب دورا ، لكن هذا الدور ومكانة الدين نفسها تدخل ضمن إطار العادات القبلية .

جلسنا في مقهى صغير للراحة . سائقنا كان قد عمل فترة في منطقة الخليج ، واثناء عودته لبلاده أدى الفريضة المقدسة ، ولذلك فهو يقدم نفسه بلقب الحاج قبل ذكر اسمه ، ويفعل هذا اللقب مفعول السحر . عندما دخلنا المقهى كان واضحا أننا غرباء ، قدم نفسه لصاحب المقهى « حاجي اكرم » ، فقام رواد المقهى القلائل واقبلوا يسلمون عليه ، ولم يجلس منهم أحد حتى جلس هو .

في أحاديث مع عامة الناس الفقراء سألت أحدهم عن الخطايا الكبرى كما يعرفها من الدين فقال : « غش الجيران ، سرقة محصول الغير ، النظر الى امرأة شخص آخر ، عدم احترام الكبير ، وفي آخر القائمة ، أي من المكروهات ، قال الشيخ العجوز ... وارتداء الملابس السوداء !! » .

وتختلط أحاديث العامة عن الامور الدينية بخليط من التراث والأسطورة وعادات القبيلة . وهي كلها مفاهيم تتفق مع كونها ذات وظيفة لحماية المجتمع القائم على فكرة القبلية ، والسادة والأشراف .

ماقبل الميلاد

وصلت الى « موهنجو دارو » ، عاصمة إقليم السند قبل الميلاد ، ومازالت بقايا المدينة باقية الى يومنا هذا ، ولم يتم الكشف عنها إلا في أوائل هذا القرن . وتعد « موهنجو دارو » اكتشافا أثريا مهما ، حيث قدم هذا الاكتشاف للتاريخ لأول مرة شكل حضارة السند وتفاصيل عنها ، وهي التي يعود تاريخها الى أكثر من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، فهي حضارة تماثل حضارات السومريين في العراق والفراعنة في مصر . تقع بقايا المدينة التاريخية على مسافة ٣٥٠ كيلومترا شرق

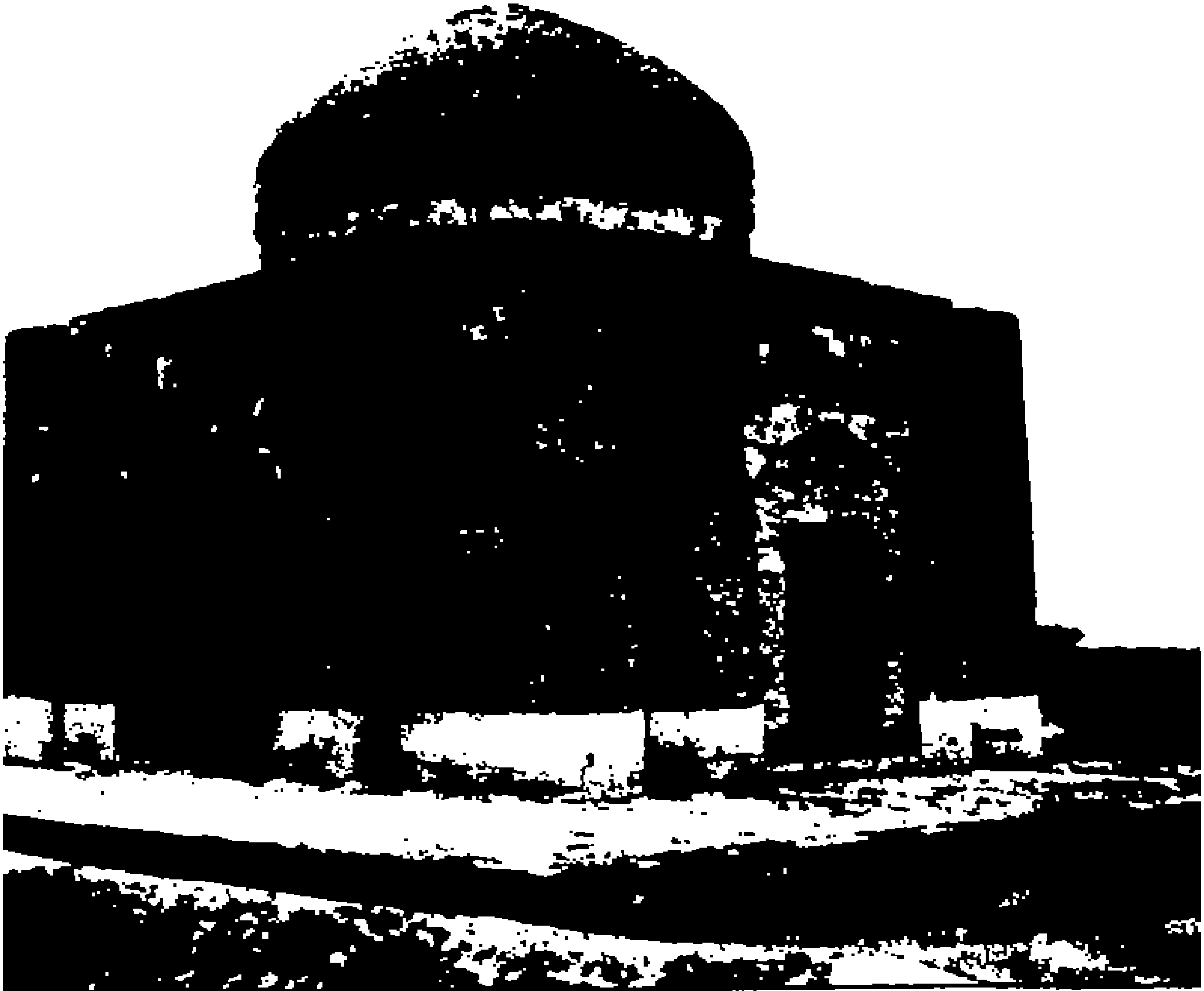
كراتشي . عند بوابة الدخول مخطط خريطة قديمة ، توضح مسار السكان الأوائل لهذه المنطقة ، حيث بدؤوا رحلتهم من نقطة تعرف حاليا بشط العرب ، وسارت سفنهم عبر الخليج العربي الى المحيط الهندي ، ثم رست عند



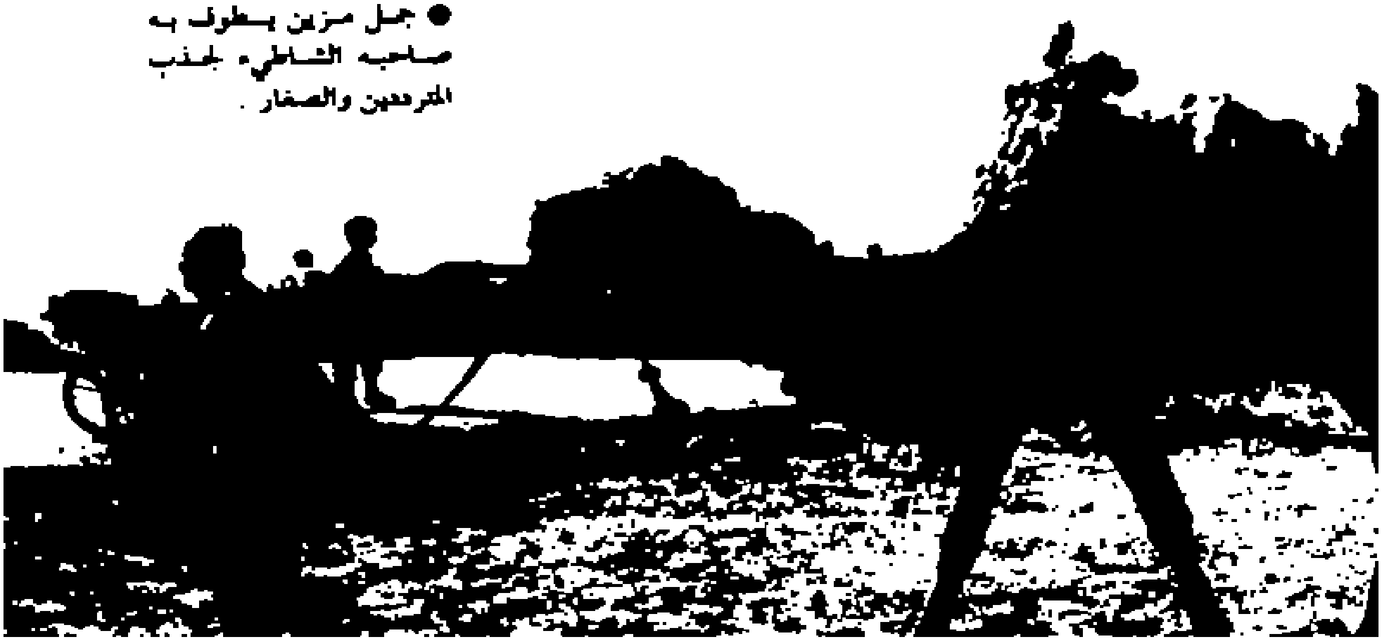
● شارع في قرية من قرى السند . الزحام والإهمال والفقر ، والباعة الجائلون والطرق غير الممهدة

الساحل الشرقي للهند ، ومنه انطلقوا في الداخل حيث أسسوا هذه المدينة .

وتتمتع المدينة بأول نظام صرف صحي عرفه التاريخ ، وكذلك أول نظام لتغذية البيوت بمياه الشرب ، وداخل المدينة حمام للسباحة !! وفي بقايا الآثار والمخطوطات توجد موازين ودلائل تشير الى أنهم استخدموا نظاما عشريا للأوزان والمقاييس . وفي داخل المدينة مدارس مختلفة ، فهناك مدارس لصغار السن ، ويتضح ذلك من شكل المقاعد الحجرية الصغيرة ، ومدارس



● جمل مزين يطوف به صاحبه الشاطىء لجذب المترددين والصغار .



● مقبرة الأباطرة المغول العظام في مدينة تاتا ، أثر لحضارة عظيمة ازدهرت فترة طويلة في منطقة السند .



للصبية ، ثم للشباب ، وفي رسوماتهم تسير النساء عاريات الصدور ، حتى زوجات الملك ، ورسومات لآلات زراعية متقدمة ، مثل الشادوف الذي يستخدم حتى الآن في الري من الآبار ، وبعض الالات كالمذراة والفأس ، وفي اللوحات الجدارية تسجيل لرحلاتهم البحرية التجارية مع السومريين .

ويؤكد كثير من الباحثين بأن سكان مدينة « موهنجو دارو » هم من السومريين الذين هاجروا تحت ظروف غير معروفة ، وأسسوا حضارة لهم في منطقة السند ، ظلت قائمة مزدهرة حتى غزو الاسكندر المقدوني للهند وانهيارها وخضوعها لمرحلة استعمار جديدة ، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك .

● كراتشي عاصمة السند

على شاطيء بحر العرب

شأن كل المدن المطلة على البحار ، فإن نزهة سكان كراتشي على الشاطيء الرملي التي تخرج إليه العائلات لتقضي يومها ، حيث يسبح الرجال ، ولاتسبح النساء الا بثيابهن كاملة ، ويركبون الجمال ، ويأكلون السمك ، وبعضهم يستأجر زورقا صغيرا يمخر به عباب بحر العرب ، يصطادون سمكا ثم يشوونه على سطح المركب ، ويتناولون الغداء ثم يعودون ، أما الأقل مقدرة فيكتفي بالجلوس على الرمال ومشاهدة البحر أو التسلي بالألعاب التي يقدمها الجائلون : ألعاب للقرود ، ألعاب ورقص للأفاعي على المزمار ، باعة يبيعون الفيشار (الذرة المنفوشة) ، أو رؤوس الفجل المغموسة بالفلفل « الشطة » ، أو شرائح المانجو ، أو قطعا من ثمار جوز الهند .

في شوارع المدينة

شوارع كراتشي تمنحك إحساسا بالقدم ، فالمباني قديمة ، والشوارع مزدحمة ، ومازال هناك بعض المباني من أيام الاحتلال البريطاني ، تركنا الشوارع الرئيسية ، ودخلنا الأحياء الأكثر فقرا :

مجموعة من البيوت الصغيرة والأخصاص ، والشوارع الضيقة ، وكل عدد من الشوارع تتوسطها ساحة كبيرة ، تستخدم كمكان جماعي لنشر الملابس (هكذا في الطريق) ، وعلى ضفة النهر توجد أكبر مغسلة يمكن أن تراها عيناك ، أسرة متنامية يقارب عددها خمسين فردا ، إخوة وأبناء عمومة وأبناء خؤولة ، يحتكرون غسيل ملابس كل سكان كراتشي ، أو على وجه الدقة ٩٠٪ منهم .

يذهب أحد الأفراد الأسرة بالغسيل الى هذا المجمع في الصباح ، وهناك نظام ، إما أن تسلمه مجففا أو غير مجفف ، وتبدأ العائلة

الغسالة في العمل ، يتراكم لديها الغسيل ، فتبدأ الوحدة الأولى بغمر الملابس بالماء ، ثم تنقلها الى من تليها ، فتدعكها بالصابون ، وترسلها الى من تليها ، فتبدأ مرحلة ضرب الغسيل بالأرض الاسمنتية مرات عديدة ، ثم تنقله الى من يليها ، فتغمره في ماء نظيف ، ثم ترسله الى آخر وحدة ، فتقوم بالعصر ثم بالتجفيف .

تتم كل هذه العمليات على شاطيء النهر . أحواض في الأرض من الأسمنت ، ارتفاع الحوض لايتجاوز ٥٠ سم . وهي أحواض متجاورة ، بحيث يسهل نقل الثياب من وحدة في [illegible] حوض الى آخر . وتحتل هذه المغسلة [illegible] حبال الثياب مساحة طويلة بامتداد [illegible] شاطيء نهر السند الغربي .

شوارع الفقر [illegible] المتلاصقة هي أفضل مناخ لاشتعال الخلافات العرقية . وواحد من هذه الخلافات حدث في ليلة أمضيت كراتشي كلها أثناء وجودنا بها . محل صغير أقرب ميكون لكشك ، في حي من أكثر الأحياء فقراً ، اعتاد عسكري « الدرك » أن يحصل من صاحب المحل على أتاوة . فالمحل يبيع أشرطة الفيديو وأصناف البقالة . وفي الليلة الموعودة رفض صاحب المحل دفع الأتاوة ، لأن الشرطي ضاعفها . ومع الخلاف ضرب الشرطي صاحب المحل ، والتهبت الحارة . فالشرطي من البنجاب ، وهو حتى إن كان يمثل الحكومة إلا أنه لا يحق له أن يضرب الناس وقامت معركة امتدت الى جيران الشارع نفسه ، بين فريقين ، وجمع الشرطي على أبناء قبيلته ، دون أن يتسبب أحدهم في بدء النزاع الذي أسفر عن حرق محل ومقتل شخص وإصابة سبعة أشخاص !

نزاع دائم

ويمثل أهل السند القومية الثانية من حيث العدد في باكستان التي تتوزعها قوميات أربع ، هي : البنجاب ، والسند ، والباختون ، والبلوش . وأهل البنجاب هم الأكثر حظوة وسيطرة ونفوذا ومالا . وبين القوميات الأربع قدر من عدم التوافق وعدم التجانس ، بل تصل الى حد عدم رد السلام على أهل القوميات الأخرى . ويتضح عدم التوافق أكثر كلما توغلت في الريف ، بعيدا عن الحضر ، وعلى الرغم من ذلك فإن المدن الحضرية تحفل بتوترات عرقية ونار ساخنة تحت الجلد ، تنتظر المناسبة لإطلاقها .

ولعل المناسبة الصحية الوحيدة في السنوات القليلة الماضية كانت هي الذهاب الى صناديق الاقتراع ، حيث اكتسحت بنازير بوتو - التي مازالت والدتها تعيش في كراتشي - أصوات أهل السند ، وفور نجاحها علقت صورها وصور والدها « ذو الفقار علي بوتو » واجهات المحلات ، وأضافوا الى اسمه لقب الشهيد !!

وفي الريف كان البسطاء من رواد المقاهي عندما تشير الى صورة « ذو الفقار » يقولون بوقار : الشهيد ، ثم يقرؤون الفاتحة . والى اليوم مازالت أرملة « بوتو » تعيش في منزل الأسرة الذي خصص منه جزء ليكون مقرا لحزب الشعب . واحتفظت أرملته بجزء لها تعيش فيه . وأثناء وجودنا هناك حلت ذكرى وفاة « ذو الفقار علي بوتو » ، وصوت اليوم والتلفاز يذيع القرآن الكريم ، وبرنامجا تسجيليا عن حياته منذ كان طفلا صغيرا ، وصوراً له في المحافل الدولية ، وفي لقاءات له بأبناء باكستان فيلم طويل استغرق ساعتين ونصف ساعة ، لم يذكر المعلق اسمه دون ذكر لقب الشهيد ، وفي المساء ألقت ابنته خطابا رسميا للأمة ، ثم ذهبت الى الحزب لإقامة حفل تأبين لذكراه ، كل ذلك والتلفاز يبث على الهواء الاحتفال بذكرى الشهيد !!

كان لموقع كراتشي تأثير بالغ ومهم على تاريخها وحضارتها ، ومازال الى اليوم يتضح للمدقق والمتأمل لما خلف السطح والظاهر ، فكراتشي بموقعها كمنفذ بحري مهم على الشاطيء الغربي ، جعل منها بوابة لكثير من القادمين الى



● رقص الأفاعي والثعابين والعزف على المزمار ، في الشارع أو على الشاطيء ، أو في القرى البعيدة . عديد من البشر يمتهنون هذه المهنة الخطرة .



● سوق الأقمشة الرئيسية سوق مسقوف ، تباع فيه المنسوجات الباكستانية الشهيرة .

شبه القارة الهندية ، وكان موقعها على مقربة من الجزء الجنوبي لأفغانستان وإيران سببا في تأثرها بكل الدويلات التي قامت هنا ، ومطمعاً لكل الغزاة الحالمين بالتوسع الى داخل الهند ، إلا أن التأثير الأكبر ظل لحركة السفن المحملة بالتجارة ذهابا وعودة ، حركة وانتقالا بين المرافىء والمواني المختلفة ، وقد كان لخصوبة أراضي منطقة السند ، وتنوع طبيعتها دور في ازدهار حركة التجارة ، فمنطقة السند ، بالاضافة الى الزراعة ، غنية بالموارد الطبيعية ، واشهرها الرخام والنحاس الذى يتفنن أهل المنطقة في صياغته وتشكيله ، وكان تأثير الفترة المغولية على الحضارة العامة لمنطقة السند أكثر مايكون وضوحا في الثقافة العامة والذوق ، ففي مصانع الرخام والنحاس يتفنن الصناع في تشكيل الخامين الى تحف فنية رائعة : تماثيل جميلة . نماذج بيوت وقصور تتجلى فيها روعة الأعمدة التي يشتهر بها الطراز الفريد للعمارة المغولية . بالإضافة الى نماذج فنارات ومناضد وشطرنج وأطباق ومصابيح ، بينما يتفنن الصناع في تشكيل النحاس وطليه بألوان زاهية فريدة ، أو نقش زهور ومنمنمات على الصواني وأواني الزهر



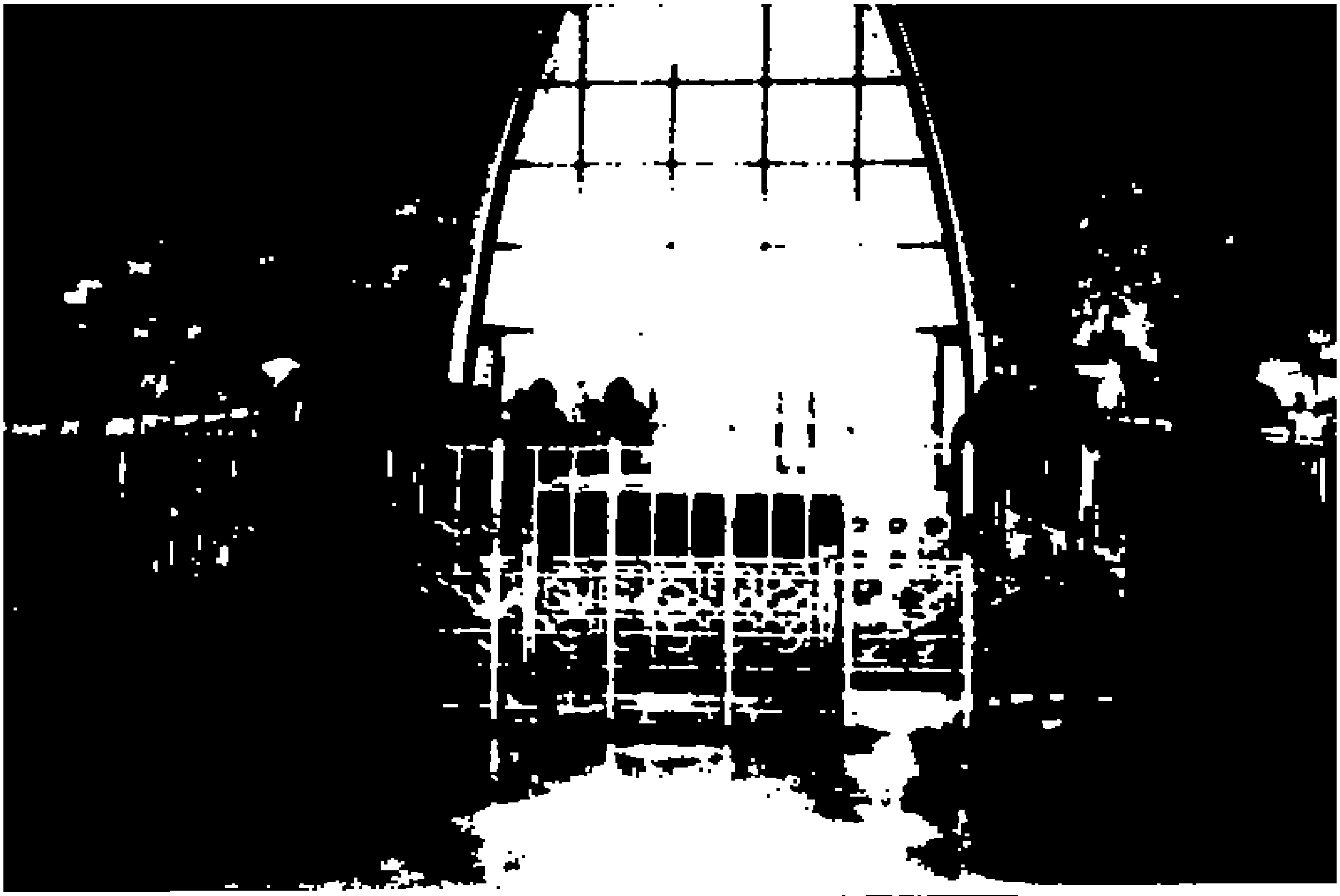
والقدور التي تستخدم للزينة ، وهي كنهب تشكيلات متأثرة بالتراث الجمالي المنتشر في نمط العمارة والبناء والزخرفة للعصر المغولي . ويرتبط بتأثيرات تلك الفترة النقش والزخرفة على الحرير ، سواء كان ثياباً أو إيشاربات نسائية . . وأكثر النقوش شيوعاً الطاووس وعقود الزهر .

وتتضح تأثيرات التيارات الأجنبية في الثقافة العامة في منطقة السند في مثال آخر ، وهو صناعة السجاد ، حيث تأثرت هذه الصناعة بنموذجين شهيرين في هذه الصناعة ، ونعني بهما نموذج السجاد الأفغاني ، ونموذج السجاد الإيراني . ويقدم الصناع الباكستانيون نموذجا هو مزج بين النموذجين ، سواء من خلط بين المنمنمات أو الألوان عبر اختلاف استخدامهما في كلا النموذجين ، الى الحد الذي أصبح معروفا لدى خبراء السجاد نيكستاني فور رؤيتهم للقطعة .

وقد تأثرت منطقة السند بتنوع طبيعتها ، ووجود الغابات والجبال ، فازدهرت أعمال الصيد وهواية الجدود والغزلان ، كما كثر عدد الشيوخ الذين يهوون الصيد ورحلات الجبال . وقد كان من الممكن هذه التأثيرات المختلفة الكامنة في التراث الاجتماعي أن تتفاعل وتسهم في الإضافة الى (الشخصية الباكستانية) ، ولكن المؤكد والحقيقي أن الإرث القبلي ، والأسطورة ، والدين ، مازالت هي العوامل التي تشكل الشخصية والثقافة العامة أو تمنع تطورها . ولأن هذه العوامل الثلاثة ليست ثابتة ، بل متغيرة ـ حسب الفهم العام ، تتغير بتغير الإقليم وتراثه ، فإنه للأسف لايمكن القول بأن هناك (شخصية باكستانية) ، بقدر ماهناك شخصيات ، فأبناء لاهور ، عاصمة البنجاب ، غير أبناء كراتشي ، عاصمة السند ، ومفهوم الدين في قرى لاهور غير مفهوم الدين ووظيفته في قرى السند ، وعديد من الاختلافات التي لم تساعد على تطور ونمو حقيقيين . وفي الوقت نفسه جعلت اقتراب اثنين من إقليمين مختلفين أقرب مايكون الى اصطدام ناقلتي ألغام وسط بحر من العيلة والتراث المختلف والخلافات الكامنة تحت السطح .

أولياء الله

من أهم معالم كراتشي مسجد النوبة ، وضريح محمد علي جناح ، وهما معلمان يحرص أي زائر لكراتشي على زيارتهما . فوق ربوة صغيرة تحيط بها الحدائق من كل جانب يقع ضريح محمد علي جناح ، وكأنه يطل على كراتشي ، حتى بعد وفاته . الضريح تحفة معمارية ، القبر من الرخام ، نقشت عليه آيات





● الصورة العليا لضريح محمد علي جناح ، حيث تحول الى مزار للزوار وطالبي حاجات يطوفون بالضريح . الى اليسار صناعة السجاد التي تأثرت بجيرانها وتراثها الفني . فابتكرت أشكالا يتميز بها السجاد الباكستاني .

من القرآن الكريم ، وعبارات التوحيد . داخل الضريح زوار لا ينقطعون . يأتون للزيارة (والبركة) أو يصطحبون مريضا يطلبون له الشفاء ، وعلى الرغم من أن محمد علي جناح كان رجل سياسة ، ولم ينكر ذلك في حياته ، ولم يدع أنه من رجال الدين ، إلا أن العامة حولوا ضريحه في كراتشي ، وضريح الشاعر محمد إقبال في لاهور ، الى مزارين دينيين . وإذا كان الشاعر محمد إقبال لا يخفي نزعاته الدينية ، فإن محمد علي جناح ، ومن واقع النصوص التاريخية ، يقول نصا في خطاب علني له أمام الجمعية التأسيسية لباكستان في أغسطس ١٩٤٧ :

« وإذا ما أردنا أن نجعل هذه الدولة الباكستانية العظيمة سعيدة ومزدهرة ، فإننا يجب أن نركز كلية على رفاهية الشعب فقط ، وبخاصة الجماهير والفقراء ، وإذا ما عملتم في تعاون ، ودفنتم خلافاتكم ، فمن المحتم أن تصيبوا النجاح ، ولابد أن نبدأ العمل بهذه الروح ، وبمرور الوقت فإن كل الحزازات بين الأغلبية والأقلية ، وبين الهندوس والمسلمين ، ستختفي ، إنكم أحرار ، أحرار في الذهاب الى معابدكم ، وأحرار في الذهاب الى مساجدكم ، أو الى أي مكان آخر للعبادة في دولة باكستان ، بمقدوركم الانتماء الى أي ديانة أو طائفة أو عقيدة . هذا شيء لاعلاقة له بأمور الدولة !! » .

هكذا كان يفكر محمد علي جناح ، وهكذا حكم باكستان سنوات قليلة قبل وفاته ، لم تسمح له بأن يرسخ ويكرس فكرة العمل من أجل رفاهية الجموع والفقراء ، وفكرة الحرية العقائدية ، وأنها لاتشكل علاقة بأمور الدولة ، ولكن الإعلام ورجال الدين حولوا الرجل لدى العامة في النهاية الى ولي من أولياء الله الصالحين ، يزار ضريحه ، ويستجاب الدعاء فيه ، ويتبرك الناس به ، ويتخذون منه وسيلة الى الله لقبول دعائهم ، عملا بقوله تعالى : « وابتغوا إليه الوسيلة » ، وهذه الوسيلة قد تكون صلاة أو عملا صالحا أو السؤال بحق الصالحين من العباد !!

على مقربة من الضريح يقع مسجد التوبة ، وهو يتسع لخمسة آلاف مصل ، بنيان أبيض ، صحنه شديد الاتساع ، بدون أعمدة ، على الجدران من الداخل آيات قرآنية مكتوبة بخط جميل ، ومنبر قصير لايزيد ارتفاعه عن سبع درجات ، وحول المسجد حديقة واسعة ، تضفي على البنيان جمالا ورونقا .

بلاد تركب الأفيال وبلاد تركب الصعب

في طريقنا الى المطار كان مذياع سيارة الأجرة يذيع إعادة خطاب نازير بوتو في ذكرى رحيل والدها . استدرجني سائق سيارة الأجرة الى الحديث ، قال بحماس من ينهي موضوعا معلقا : انا أعرف الله وأخافه وأعبده وأعمل بأوامره ، ولكنني أعطي صوتي لمن يأتي إلي بالغذاء والمأوى والعلاج ، وليس لمن يعلمني كيف أصلي أو كيف أصوم ، فقد علمني شيخ في المسجد وأعطيته احترامي وحبي .

وعندما خرجت السيارة الى الشوارع الواسعة حرك السائق مؤشر المذياع ليستقر به على موجة تبث موسيقا هادئة ، وعلق قائلا : لقد سمعت كلامها هذا بالأمس ، والأمس أصبح ماضينا، ونحن الفقراء لانقف كثيرا عند الماضي ، لشوقنا الى تحسن أوضاعنا في المستقبل .

وأدركت أن السائق البسيط ، على الرغم من تبسيطه لأشياء كثيرة ، قد وضع النقط فوق الحروف ، فالتحدي هو : كيف تصبح الحياة وتتطور في بلاد السند ، البلاد التي تركب الأفيال .

هل تستطيع أن تركب بدلا منها الصعب ، لتتطور الحياة ويختفي الفقر ، وتتحقق الرفاهية للجماهير والفقراء ؟ هذا هو الحلم بالأيام الزاهرة . □



طيــور تخطــفُ الجواهــر والحُــليّ

بقلم : الدكتور محمد رشاد الطوبي*

---

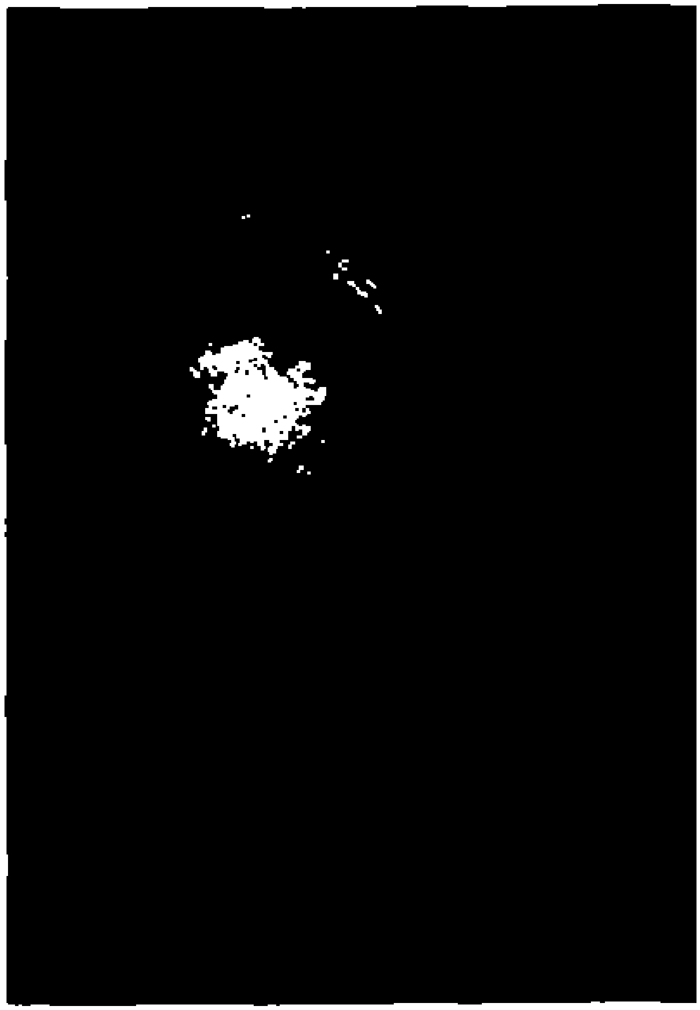
* استاذ علم الحيوان بكلية العلوم جامعة القاهرة ـ وعضو مجمع اللغة العربية .

إذا هبطت أمامك حدأة من السماء ، وخطفت قطعة من اللحم ، أو فرخاً صغيراً من أفراخ الدجاج ، تأكله ، فهذا أمر طبيعي ، أما إذا تسلل طائر إلى حجرتك ، وخطف منها ساعتك الذهبية أو خاتمك الماسي فهذا هو العجب العجاب .





● كومة من الأدوات المنزلية البراقة اختطفها « الطائر العرش الرمادي » من داخل المنازل .



● تتمتع الذكور في « الطيور المعرشة » بريش ملون جذاب .

الواقع أن خطف بعض الطيور الصغيرة الملونة مثل تلك المجوهرات أو الأدوات البراقة من المنازل ليس حديث خرافة ، بل هو من الوقائع الحقيقية التي تم إثباتها بالأدلة القاطعة . فهناك مجموعة خاصة من الطيور لجأت إلى تلك العادة الشاذة . وهي خطف كل مايقع عليه بصرها من الأدوات الصغيرة البراقة .

قد تكون بعض تلك الأدوات لا قيمة لها على الإطلاق ، ومنها على سبيل المثال « لعبة أطفال » أو فرشة أسنان » أو مشط أو ملعقة لامعة أو مقص أظافر أو مطواة أو كوب من الزجاج أو الألمنيوم أو ابريق قهوة » ، أو غيرها من الأدوات المنزلية الصغيرة التي يستطيع الطائر حملها ، كما أنها قد تكون أيضا من المعادن النفيسة التي يعتز بها أصحابها ويحرصون عليها ، ومنها مثلا « عقد من اللؤلؤ » ، أو سوار ذهبي ، أو خاتم ، أو قرط ماسي ، أو غيرها من أدوات الزينة عند السيدات .

النظارات المخطوفة

إن تلك « الطيور الخطافة » لا تعيش إلا في استراليا وغانا الجديدة ، ولا توجد على الإطلاق في غيرهما من بلدان العالم . وقد بدأ التعرف على تلك العادة السيئة التي تمارسها تلك الطيور عند نهاية القرن الماضي ، حيث وقعت أول حادثة من هذا النوع . وهي تتلخص في أن أحد سكان استراليا كان يعيش في منطقة نائية من غرب استراليا ، في حوض « نهر الاورد » ، وكانت المنطقة التي يسكنها تكاد تكون خالية من السكان ، لأنها توجد في منطقة منعزلة تماما . وقد وضع هذا الرجل نظارته الطبية فوق منضدة في شرفة المنزل ، ثم ترك الشرفة وذهب إلى الداخل ليستبدل بالكتاب الذي كان يقرأ فيه كتاباً آخر ، ولم يبق في الداخل سوى ثوان معدودة ، ولما عاد إلى الشرفة مرة أخرى لم يجد النظارة الطبية ، بل إنها اختفت تماما كما لو كانت الأرض قد انشقت وابتلعتها .

وفي حادثة مماثلة كان هناك شخص آخر ، اعتاد وضع عينه الزجاجية أثناء الليل على الطاولة الصغيرة المجاورة للفراش ، وفي صباح أحد الأيام كما كانت عادته في كل صباح مد يده ليأخذها من مكانها ، ويضعها في محجر عينه أثناء النهار ، ولكنه لم يجد لها أي أثر على الإطلاق . وقد عثر عليها فيما بعد في أحد الأعشاش القريبة من المنزل ، وهو عش واحد من تلك « الطيور الخطافة » .

وفي حادثة ثالثة كانت إحدى السيدات تضع عقدها اللؤلؤي الغالي الثمن على مائدة الزينة ، وكانت تلك المائدة قريبة من النافذة ، وفي الصباح الباكر ، وكانت ماتزال تتمطى في الفراش . شاهدت طائرا صغيرا يدخل من النافذة ، ويهبط بسرعة خاطفة على العقد ويحمله معه إلى الخارج ، حيث اختفى إلى الأبد . وقد أخذ علماء الطيور بعد ذلك يحذرون الموظفين من وضع المجوهرات أو المصنوعات الذهبية أو الأحجار الكريمة مكشوفة داخل حجرة النوم ، بل يجب وضعها في علب كبيرة ، وقاية لها من تلك الطيور الخاطفة ، فهي في أغلب الأحوال لا تأخذ معها إلا كل ما خف حمله وغلا ثمنه .

كما أصبح بعد ذلك من المألوف في استراليا خروج فرق من الكشافة والجوالة في أيام الآحاد والعطلات الرسمية إلى الخلاء ، بحثا عن أعشاش تلك الطيور والتنقيب عن محتوياتها عن مثل تلك المجوهرات . ولم تكن جهودهم تذهب عبثا ، بل كانوا يكتشفون في كثير من الحالات بالعثور على بعض تلك النفائس في محتوياتها عن الجنيهات الذهبية . وذلك في وقت كانت فيه مثل تلك الجنيهات وسيلة للتعامل بين الناس . وليست تلك الأوراق المطبوعة المستخدمة في الوقت الحاضر .



الطيور المعرشة

بدأ بعد ذلك علماء الطيور والباحثون في طبائعها أو سلوكياتها البحث عن سر تلك الظاهرة التي ليس لها مثيل بين مختلف الطيور الأخرى ، حيث ثبتت المشاهدات العديدة المتكررة حدوث مثل تلك السرقات الصغيرة ، وأخذوا في متابعتها دون كلل . ووضح لهم فيما بعد أن تلك الطيور لها هواية خاصة ، هي جمع كل ما هو براق أو لامع من مختلف الأدوات المنزلية أو المجوهرات . وخصوصا من المنازل الموجودة في الخلاء ، بالقرب من أعشاشها ، لأنها تجمع تلك الأشياء وتفرشها على الأرض في مواجهة العش الذي تعيش فيه . ويعيش داخل هذا العش عادة زوج من الطيور (ذكر وأنثى) . ويصبح كل ما تجمع من تلك الأدوات من مقتنياتهم الخاصة ، تزهوان باستلاكها ، وتعظم كلما زادت حصيلة تلك المسروقات عند مدخل العش .

ويطلق العلماء حاليا على تلك الطيور اسم « الطيور المعرشة » Bower birds ، وذلك لأن كل واحد منها يبني لنفسه عريشا خاصا ، يلجأ إليه ويعيش فيه ، وتطلق كلمة « العريش » في معاجم اللغة على كل ما يستظل به ، أو بناء لتنمو فوقه النباتات المتسلقة ، ومنه « عريش الكرم » ، وهو المعروف عند عامة الناس باسم « تكعيبة العنب » . وقد ترتفع بعض تلك العُرُش التي تبنى من القش والألياف إلى ما يقرب من ثلاثة أمتار في بعض الأنواع .

« والطيور المعرشة [illegible] في [illegible] ، وخصوصا الذكور ، حيث إن لكل منها فوق رأسه عرفا قابلا للانتصاب ، [illegible] له فوق جسمه غطاء من الريش [illegible] جذاب ، وله بريق ولمعان ، وذلك بخلاف الأنثى التي ليس لها مثل هذا الريش الملون ، وتبدو [illegible] مغطاة بعباءة بين



● تقف الأنثى في سكون شامل لمراقبة جميع « الاستعراضات الغزلية » التي يقوم بها الذكر .

تلك الطيور ، ولايشذ عن تلك القاعدة سوى نوع واحد فقط ، فيه الذكر والأنثى متشابهان ، ولا يختلف أحدهما عن الآخر في لونهما المعتم، ويطلقون على هذا النوع اسم « البستاني الأغبر » ، وذلك لأنه يزرع أمام عشه حديقة من الطحالب ، ثم ينثر فوقها أزهارا مختلفة الأشكال والألوان ، يقطفها من النباتات البرية ، ومن البساتين المجاورة ، كما ينثر أيضا بعض الفواكه الموسمية الطازجة ذات الألوان الزاهية ، مما يعطي الممشى الممتد أمام العش مظهر بستان حقيقي .

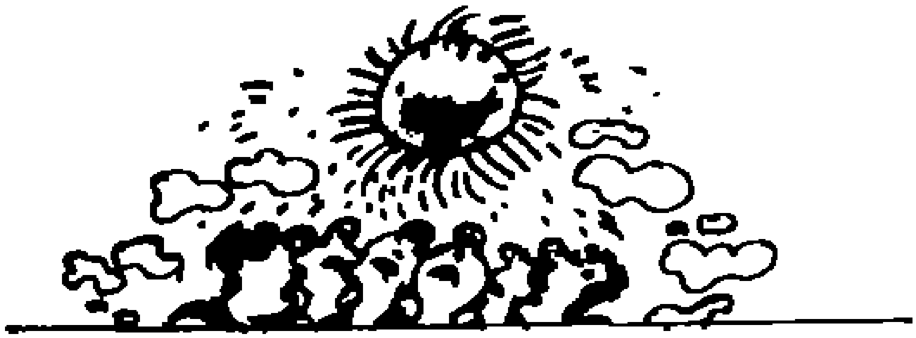
وهناك أيضا أنواع أخرى من « الطيور المعرشة » لاتزرع مثل تلك الحدائق الصغيرة أمام أعشاشها ، بل تستعيض عن ذلك باختطاف الأدوات المنزلية البراقة وأدوات الزينة والقواقع والأصداف البحرية اللامعة بوضعها في مواجهة العش ، كما ذكرنا من قبل . ومن الأنواع التي تجمع مثل تلك الأدوات البراقة ما يعرف باسم « الطائر المعرش الرمادي الكبير » ، فهو كبير الحجم ، رمادي اللون ، ولا يتوانى عن اقتحام المنازل من النوافذ المفتوحة متى لمح بداخلها ما يلفت النظر من الأدوات التي يحتاج إليها لزركشة الممشى المواجه لمدخل عشه .

وتنتمي « الطيور المعرشة » إلى « رتبة العصفوريات » ، وهي مجموعة من الطيور كبيرة ، تضم بين جنباتها آلاف الأنواع من العصافير والسنونو والعندليب وأبي فصادة والكناري وعصافير الجنة والغربان وغيرها ، وهي تنشط جميعها في فصل الربيع نشاطا واسع النطاق ، وتبدأ في بناء أعشاشها استعدادا للتكاثر .

وقد وجد بعد عديد من الدراسات المتعلقة بسلوك الطيور أن الأنثى من تلك الطيور تقف ساكنة أمام العش ، ويقف الذكر في مواجهتها ، حيث يقوم بعدة استعراضات غزلية . لفت نظرها ، ويستمر في متابعة تلك الاستعراضات ، وهي ساكنة مبهورة بتحركاته البطيئة أحيانا ، والعنيفة في أحيان أخرى ، حتى تقتنع تماما بأنه جدير بحبها ورضاها . ويكون في وجود تلك المماشي المفروشة بالورود والرياحين ، أو المغطاة بالأدوات اللامعة البراقة ، ما يضفي على المكان بأسره كل روعة وجمال .

ويتم بعد ذلك التزاوج بين الذكور والإناث ، ثم تبدأ الأنثى وضع البيض داخل العش ، وتستمر فترة الحضانة بعض الوقت ، وهو يختلف باختلاف النوع ، ثم تخرج الأفراخ الصغيرة بعد فقس البيض وهي عارية تماما دون ريش ، ولا تستطيع إطعام نفسها بنفسها ، بل تعتمد في ذلك على الطيور الكبيرة التي ترعاها ، وتدفع عنها كل اعتداء ، كما أنها تحضر لها الطعام يوميا من خارج العش .

ولله في خلقه شئون . □



الأوزون

درع الحياة الواقي :

نقصه خطر وزيادته خطر

بقلم : الدكتور أسعد الاسطواني

عجيب أمر الأوزون ! إن التوازن الدقيق الذي يفرضه هذا العنصر من أجل بقاء الإنسان يكتسب أهمية قصوى بمنظور مستقبل الكرة الأرضية . فعند انعدام الأوزون في الجزء الأعلى من الغلاف الجوي ترشح الإشعاعات ما فوق البنفسجية ، لتصبح الحياة كلها مهددة بشكل مريع ، ولكن إذا ازدادت عرضا كثافة الأوزون في الجزء الأسفل من الغلاف الجوي فإن النتائج الحيوية والبيئية لهذه الزيادة لن تكون أقل خطرا .

قبل سنوات لم يكن أحد يهتم بهذا الدرع الواقي الجاثم على بعد عشرات الكيلومترات فوق رؤوسنا ، والذي يحمي الأرض من عدوان الإشعاعات مافوق البنفسجية . ويؤكد الكثيرون اليوم بأن هذا الدرع أصبح مليئا بالثقوب ، ومتصدعا من بعض جهاته . وهكذا تحرك العلماء والصناعيون وبدءوا يدقون ناقوس الخطر ، ويتجندون لمجابهته . وكان ذلك أضعف الإيمان : فإذا انعدمت هذه الطبقة الغريبة ، فمن الطبيعي أن لانوجد هنا لنتكلم عنها .

وعلى الرغم من أن الأوزون يشكل نسبة

ضئيلة في الجو ، لاتتجاوز واحدا من المليون من محتواه الكامل ، وأقل بما لايقاس من مقدار الآزوت والأكسجين ، فإنه يقوم بدور لايمكن التعويض عنه ، وذلك بامتصاصه القسم الأعظم من طيف الاشعاعات مافوق البنفسجية التي تعمل على إفساد المادة الحية وانحلالها . ومن هنا فإن تضاؤل الأوزون التدريجي أضحى مثيرا للقلق البالغ : فلقد تناقص بنسبة ٢,٥٪ في الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٧٩ و١٩٨٥ في جميع المنطقة الكائنة بين خطي العرض ٥٣ شمالا و٥٣ جنوبا .

وإنه لمشهد مأساوي عندما نرى الاثار المدمرة لهذه الإشعاعات ، فالسرطانات الجلدية تزداد مع انخفاض الدفاعات المناعية عند الإنسان ، بل نشاهد نتائج أكثر خطورة من أجل البقاء ، إذ يتعطل نمو النباتات ، وتموت الجسيمات المتناهية في الصغر التي تقوم بتركيب المواد البروتينية ، تلك النبات الأساسية المحددة للخلايا التي تمنح جسم الانسان القدرة والحياة .

المتهم الرئيس لنقص الأوزون :

تشير أصابع الاتهام إلى أن المسؤول الأول لانخفاض نسبة الأوزون في الغلاف الجوي العلوي هو مادة الكلوروفلورو كاربون Chloro Fluoro Carbon ، وقدتم تصنيع هذه المادة في عدة استعمالات : فهي تستعمل بنسبة ٣٠٪ - من خلال بعض المواد الأشنية أو الطحالب في - تجهيز جزء من أثاث البيوت ، وبنسبة ٣٠٪ في التبريد والتجميد ، ونسبة ٣٠٪ أيضا في الاسطوانات أوالعبوات الرذاذية ، بينما لاتصل نسبتها في المواد الحالية المخصصة في الالكترونيات إلى أكثر من ١٠٪ .

وتتكون أسرة الكلوروفلورو كاربونات من ١٥ فردا ليست كلها متساوية في الخطورة ، لكن أكثرها استخداما رقم ١١ و ١٢ إذ يبلغ مقدارهما ٨٠٠,٠٠٠ من أصل مليون من الأطنان . وهما وإن كانا الأرخص ثمنا إلا أنهما الأكثر ضررا بالنسبة للأوزون . ولذلك اجتمع ممثلو ٢٧ بلدا في مدينة مونتريال في كندا ، في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧ ، وقرروا تجميد إنتاج الكلوروفلورو كاربون عند المقدار الذي كان عليه في عام ١٩٨٦ ، وذلك حتى عام ١٩٩٣ ، وتخفيض إنتاجه بنسبة ٢٠٪ بدءا من عام ١٩٩٣ ، وبنسبة ٥٠٪ بدءا من عام ١٩٩٨ .

ولاجدال في أن استعمال هذه المواد في الاسطوانات الرذاذية (الغازية السائلة) ليست ضرورية في الحياة اليومية ، حتى لو كانت عملية جدا ، وكان عدم اشتعالها يشكل ميزة أمنية هائلة عند صنعها وتخزينها واستعمالها . وإذا كانت الاشنيات مريحة جدا فانه من الممكن التعويض عنها في حشو المقاعد والأسرة والوسادات بمواد أخرى

وبالمقابل فإن التبريد أمر أساسي للحفاظ على عدد من المنتوجات الغذائية والصيدلانية ، وبخاصة في بلدان العالم الثالث التي توجد كلها تقريبا في المنطقة الاستوائية ، أو بالقرب منها ، تلك البلدان التي يجب عليها العناية بغذائها وبصحتها إذا أرادت لنفسها أن تتطور . ويجب أن لاننسى بأن تحسين صحة البيئة والصحة العامة ، وبالتالي إطالة عمر الإنسان ، والسعي إلى التقدم في جميع النواحي التي هي من خصائص العالم المتقدم ، لم يكن ممكنا لولا هذه السلسلة الطويلة من التبريد . وأخيرا فإن المواد الحالة ضرورية أيضا من أجل صنع أدق أنواع الالكترونيات ، وعلى الأخص العسكرية منها .

وبالإضافة إلى عدم اشتعالها فإن إحدى المزايا الأساسية للكلوروفلورو كاربونات هي ديمومتها . وهذا ما جعل منها ندا وعدوا للأوزون ، فراحت تسعى لتهديمه . وهكذا

وبسبب ثباتها الهائل فإن ذرات الكلوروفلورو كاربون تصل بدون تغيير أو تبديل خلال ١٠ أعوام إلى ١٥ عاما إلى الطبقات العليا من الجو، حيث تحدث تفاعلات كيماوية معقدة جدا بفعل الاشعاعات الشمسية، تتفكك في أثنائها ذرات هذه المادة، محررة جميع مكوناتها، فيمتزج بعضها مع عناصر أخرى، لتتولد مادة جديدة، هي مونو أوكسيد الكلور، سوف تكون قادرة على هدم ذرات الأوزون.

الوجه الآخر من العملة :

ويظل هذا المشهد ناقصا إذا لم نواجه أيضا ما يجري في الطبقات السفلى من الجو. فإذا كان ٩٠٪ من ذرات الأوزون تهنأ بالعيش في أعالي الجو، على علو يتراوح ما بين ١٢ إلى ٤٠ كيلومترا فإن ما تبقى منها في الأسفل ينتشر ضمن شريط لايتجاوز مداه ٨ إلى ١٧ كيلومترا، حسب خط العرض، حيث يقوم هذا «الأكسجين الرفيع» بدور أساسي يتناساه البعض، من أجل سلامة البيئة على وجه الكرة الأرضية.

وبالتأكيد فإن الأوزون يقوم بدور آخر، فعندما تمتص ذرات الأوزون الأشعة مافوق البنفسجية، فإنها تسخن أيضا، وتنقل حرارتها إلى الطبقات الجوية السفلى، حيث تتبدل ساحات الضغط الجوي. فتعدل الحركة في اعالي الجو، مما قد يؤثر ويسهم في إعادة توزيع المناخ فوق سطح الكرة الأرضية.

وهكذا، وبخلاف مانراه على بعد عشرات الكيلومترات إلى الأعلى، ازداد مقدار الأوزون في الطبقات السفلى من الجو، منذ بداية القرن العشرين بتأثيرات متبادلة بين التلوث الصناعي وزيادة أعداد البشر ونشاطاتهم اليومية. ويتنبأ الاختصاصيون، بمعدل الوتيرة التي تسير عليها الامور حاليا، أن يتضاعف مقدار الأوزون في الطبقة الجوية السفلى، والذي بلغ مقدار ٤٠



إلى ٦٠ جزءا من المليار ، أي نصف المقدار الأعظم المقبول المحدد بـ ١٢٠ جزءا من المليار .

وفي المدى الطويل فإن ازدياد نسبة الأوزون في الطبقات السفلية من الجو إذا ما أضيف إلى زيادة نسبة غاز الفحم (والتي ازدادت منذ بدء الثورة الصناعية الى ٢٥٪ بسبب الاستخدام المستمر المتنامي لمختلف المحروقات كالفحم الحجري والنفط والغاز الطبيعي) سوف يسهم بحجز الإشعاعات ما فوق البنفسجية الصادرة عن الأرض . فيؤدي إلى تسخين التربة والجو المحيط ، وإلى ارتفاع الحرارة الاجمالية على وجه البسيطة .

ولقد اتفق جميع الخبراء على التأكيد بأن ازدياد معدل غاز الفحم في الجو إلى ضعف ما كان عليه في عام ١٨٥٠ ، أي في بدايات الثورة الصناعية في الغرب ، قد يرفع بمقدار ٤ درجات الحرارة الوسطية للأرض أيضا . ولسوف تتوزع هذه الزيادة بشكل غير متكافىء في أرجائها المختلفة ، فإذا لم يكن هذا التوزيع واضحا في المناطق الاستوائية فإنه قد أخذ وضعا مؤثرا في المناطق الشمالية . وفي المدى القصير ، سوف يسهم ارتفاع درجة الحرارة هذا في تقليص مساحات شاسعة من الأراضي التي تتعرض للثلوج ، وإلى زوال جزء قد يكون مهما من الرف الجليدي في القطب الشمالي .

ماذا يعني كل ذلك ؟ إنه يعني ، وبكل بساطة ، اتساع المحيطات ، وارتفاع مستويات البحور . وقد يكون الأمر طفيفا ، ولكنه كاف لتبديل مواقع الكتل الهوائية التي تنظم المطر والمناخ في الأرجاء المختلفة من الأرض ، ولتقوم بالتالي بتبديل المناطق والرقع للإنتاج الزراعي والموارد المائية .

ولسوف تتأثر النباتات مرة أخرى بهذه الزيادات المنافية للطبيعة . ولقد بينت بعض الدراسات الحديثة بأن مضاعفة الأوزون سوف تنقص بمقدار ٢٠٪ إلى ٣٠٪ من مردود إنتاج الحبوب . وإذا لم يظهر حتى الان أي برهان تجريبي لإيجاد علاقة سببية بين هذين الحادثين ، فإن زيادة مقدار الاوزون قد أقحمت إلى جانب الأمطار الحمضية كسبب عامل في إفناء بعض الغابات الأوربية خلال الأعوام الأخيرة .

ويقتضي الأمر منا التذكير بهذه الأخطار بشكل مستمر ، وما تشمل من تهديد وقلق بالنسبة لمستقبل البشرية . فإذا لم نكن واثقين من حدوث الأسوأ فاننا سوف نرتعد خوفا إذا لم نستعد منذ الان لمجابهته . لقد علمتنا دروس التاريخ أن نتوجس من الحرب ، وكان الحق بجانبنا ، لأن ذلك كان هو الأسوأ . ولكن التدهور السريع للبيئة سوف يظل عدونا الرئيس في زمن السلم . □

البنزين والزمارة :



● اشترى أحد أثرياء الحرب الريفيين سيارة جميلة ، وركب عائدا إلى بلدته فرحا مسرورا . وقبل الوصول توقفت السيارة ، فنزل السائق وأخذ يفحص الآلة ، وأخيرا قال متكدرا : إن البنزين قد نفد يا سيدي .

الحق عليك يا خيي فإنك ظللت من حين ركوبنا وانت تزمر بدون انقطاع .

وجهاً لوجه





د. مازن المبارك   د. احمد قدور

- اللغة تاريخ فكري للأمة يصل بين أجيالها.
- ينبغي للتعليم في كل مراحله أن يكون بالعربية.
- نقل ثمرات التقدم العلمي والفكري لا يستتبع تبني اللغات التي كتب بها، وإلا تخلت معظم الشعوب عن لغاتها الأصلية.
- يمكن الاستعانة بالمصطلحات الأجنبية مؤقتاً حتى يتم إيجاد بدائل عربية لها.

الدكتور مازن المبارك واحد من الأساتذة الذين أسهموا في تطوير التعليم والثقافة على أسس متينة . وهو ممّن جمع بين التراث والمعاصرة في منهجه اللغويّ الذي يستند أساسا إلى وعي لغويّ قوميّ . وتجديد واع . يرفض كلّ المحاولات الرامية إلى اقتلاع جذورنا الثقافية . وقد نشأ الدكتور المبارك في دمشق . وهو من مواليد عام ١٩٣٠م . ولا شك في أنّ البيئة العلمية التي عايشها في مطلع حياته قد أثّرت في توجيه خطاه القادمة . ويأتي في مقدّمة ذلك أهل بيته . وكلّهم يشتغلون بالعلم . جدّه هو محمّد المبارك . وأبوه هو عبد القادر المبارك . وإخوته عرف الدارسون والقرّاء آثارهم . وكان في تلك البيئة أيضا رجال كثر . وانبثق بين ظهرانيهم أول مجمع للغة العربية . هو المجمع العلمي العربي بدمشق .

وجوانب الدكتور المبارك متعدّدة . فهو باحث . كتب أكثر من خمسة عشر كتاباً في اللغة والأدب والثقافة ما بين تأليف وتحقيق . وهو أستاذ تخرّجت أجيال كثيرة على يديه في مراحل التعليم الأوليّ والجامعيّ وفي الدراسات العليا . وهو محاضر بارز . وعضو مشارك في الندوات الجماهيرية والمؤتمرات العلمية .

يحاوره في هذا اللقاء الدكتور أحمد محمد قدّور . وهو باحث متخصص في اللغة . وكاتب له بحوث ومقالات متعدّدة منشورة في الدوريات العربية .

● بدأتم منذ عام ١٩٦٣م بالدعوة إلى وعي لغويّ . على أساس أنّ من مبادىء وعي الأمة لنفسها أن تعي لغتها . والسؤال الآن : ما الأسس التي قامت عليها دعوتكم ؟ وما الذي طرأ عليها من تغيّر ونحن في أواخر الثمانينات . أي بعد مرور ربع قرن من الزمان ؟

إنّ الوعي اللغويّ يعني إدراك أنّ اللغة ليست مجرد رموز تستعمل للتفاهم بين ابناء المجتمع الواحد . ولكنّها تاريخ فكريّ للأمة . يصل بين أجيالها ماضياً وحاضراً ومستقبلاً . ومنظار يحدّد كل مفهوم تعارفت الأمة عليه . فمن خلال ألفاظها . لا ألفاظ غيرها . يدرك أبناء الأمة ما حولهم من حقائق الحياة والكون . وبها يعبّرون عن أفكار أمتهم . وعلى هذا تكون اللغة الوجه

الآخر ، أو الصورة الناطقة ، للفكر الذي يخصّ الأمة . وإني أرى ، من جهة أخرى ، أنّ الوعي السياسي والقومي عند الأمة لا يبلغ مداه الأبعد ما لم يقترن بوعي لغوي سليم . وقد كشفت أحداث السنوات الأخيرة في المنطقة العربية أنّ اللغة هي العامل الأساسي في الوحدة ، ولذلك اتجه أصحاب الدعوات الإقليمية ، وما يزالون ، إلى التهوين من أهمية اللغة ، سعياً إلى التقاطع والانزواء وقوقعة المجتمعات الضيقة . ولن يؤدي هذا إلا إلى تفكيك وحدة الأمة ، والإكثار من كياناتها المتجزئة ، وإنشاء أجيال بلا هوية قومية .

فالوعي اللغويّ يستند إلى أنّ اللغة هي وسيلة للتواصل التاريخي والفكري ، ومنظار مستقبلي ، يضمن السلامة للأجيال الصاعدة ، وهي أيضاً أساس للوحدة السياسية ، تدفع إليها ، ثم تحافظ عليها. ولست أرى ـ رداً على الشق الآخر من سؤالك ـ تغيراً طارئاً على الأسس التي ذكرتها ، وكلّ ما يمكن أن يكون من جديد على الوعي اللغويّ هو أنّ ما مضى على الدعوة إلى الوعي اللغويّ أثبت صدقها في التوجه ، وأثرها في أجيال الأمة . وهذا ما يجعل إيماننا يزداد بضرورة العمل على تعميق العملية التربوية والتعليمية ، لكي تعمل اللغة عملها في التوحيد ثقافة وسياسة .

العربية والتعليم العالي

● برز بُعَيْد الاتصال بالثقافات الأجنبية الاهتمام بقضية التعريب ، لاستيعاب علوم العصر وفنونه وآدابه ، وتطويع لغتنا للمعطيات الحديثة . ولا شكّ في أنّ الجهود المتواصلة ، منذ أكثر من نصف قرن ، قد رسّخت وجود العربية الفصحى لغةً حيّة ومتطورة في مختلف الميادين ، لكنّ أسئلة ما تزال تطرح على هذا النحو مثلاً : هل اللغة العربية قادرة على أن تكون لغة التعليم في مراحل التعليم العالي واختصاصاته كافة ؟ وهل تصلح اللغة العربية للتأليف العلمي ، ولا سيّما في العلوم المتطوّرة أو المبتكرة حديثاً ؟ وهل في العربية من المصطلحات ما يكفي لسدّ حاجة البحث العلمي والتأليف فيه على نحو ما رأينا من تطوّر العلوم ؟

ـ لست أشكّ في أنّ العربية يجب أن تكون لغة التعليم في مراحله كلّها . وهي لغة قادرة على التعبير في العلوم المختلفة . كانت كذلك في الماضي حين عبّر بها العلماء ، وألفوا بها ، في الفلسفة والطبّ والفلك والكيمياء والرياضيات وغيرها ، ولم نجد أحداً يماري أو يجادل في استجابة العربية لأدقّ ما أرادوا التعبير عنه من المعاني في تلك العلوم ، وغيرها من سائر المعارف .

ثم تغيّرت الحال في هذا العصر ، فقد سَبَقَنا غيرُنا في ميادين العلوم ومناحٍ أخرى من الثقافة ، وبدأنا نأخذ عنهم ، لإنهاض أنفسنا ، مما كنا نعاني من توقف وتقهقر . لكنّ نقل العلم بأفكاره وحقائقه شيء ، ونقله بلغته شيء آخر ! فالأجانب الذين نقلوا عنا في الماضي الزاهر ، إنما نقلوا علومنا ، ولم ينقلوا لغتنا بالضرورة ، والأمم المعاصرة اليوم أيضاً تتناقل العلوم والثقافات ، ولا تتناقل اللغات . وفي تجارب كثيرة معاصرة نجد ما يثبت ذلك ، ففي تجارب الاتحاد السوفيتي واليابان ، وحتى « إسرائيل » ذلك الكيان المختلق ، ما يدل على أنّ نقل ثمرات التقدّم العلميّ والفكريّ لا يتطلّب المحافظة على اللغة التي تتضمن تلك الثمرات ، كي يكون النقل صحيحاً . إذ أنّ هذا يعني تخلّي معظم شعوب العالم عن لغاتها الأصلية ، حتى يصحّ استمدادها العلم والحضارة !

ثمّ إنّ إبقاء العلوم باللغات الأجنبية التي كُتبت بها يعني أنّ فئة قليلة من العرب اطلعت على ما جاء عن الفرنسيين ، وقلّة قليلة أخرى عرفت ما كتبه الإنكليز ، وآخرين اطلعوا على ما ألفه الألمان ، وهكذا تعرف كلّ طائفة ما كُتب من العلم باللغة التي أتقنوها ، فلا هم جميعاً عرفوا كلّ ما كُتب ، ولا جمهور المتعلمين عرفوا شيئاً عن ذلك . هذا إضافة الى نشوء ما يدعى بمراكز القوى العلمية ، إذ يكون للثقافة الإنكليزية نفوذ هنا مثلاً ، على حين يكون للألمان نفوذ مماثل هناك ، وهكذا . ويختلف الأمر حين تنقل العلم إلى العربية ، عن طريق أساتذة أتقنوا اللغتين موضوع الترجمة ، ومارسوا اختصاصهم بكفاءة ، لأننا ننقل - أو نستطيع النقل إن شئنا - من علوم الأمم كافة إلى الناطقين بلغتنا كافة ، فتكثر النوافذ ، وتعمّ الفوائد .

المصطلحات الأجنبية مؤقتاً

أما المصطلحات فلا يصحّ أن تكون عائقاً ، أو تتخذ حجّة في وجه التعريب ، ونقل العلوم من لغاتها الأصلية ، إذ لا يضير العربية اليوم أن يستخدم العلماء مرحلياً المصطلحات الأجنبية بلغاتها ، على أن يجتهد المؤلفون في وضع أدقّ ما يقابلها في العربية ، أو شرحها وتحليل مدلولها في هوامش البحوث ، إلى أن تؤدي الجهود الناشطة أكلها في إيجاد المصطلحات الدقيقة والموحدة . أما أن يتوقف التعريب بحجّة أنّ المصطلحات غير دقيقة ، أو غير موحدة ، فأمر لا يخدم إلا أعداء العرب والعربية ، فالجهود الفردية والتنسيق الجماعي الممكن هما السبيل إلى الاستقرار في توليد المصطلحات .

الجامعات والبحث العلمي

● وجدت من خلال حديثك السابق أنّ هناك سؤالا يمكن أن يطرح حول دور الجامعات العربية في التعريب ، وفيما يتطلبه البحث العلمي بعامة . علما بأن هذه الجامعات ما تزال تعاني من فقدان التوازن بين التعليم ، بوصفه عملاً تربوياً ، هدفه إعداد الكفاءات البشرية لعملية التنمية والتقدم الحضاري من جهة ، والبحث العلمي الذي يعمل على ابراز الإبداعات ، بعيداً عن القيود التي ترهق العمل التعليمي من جهة أخرى . والسؤال هو : ما مدى وفاء الجامعات بمتطلبات البحث العلمي عموماً ؟ وما السبل التي تنهض بالبحث العلمي ، في ضوء انحصار بعض الجامعات على تخريج حملة الشهادات ، ممن يصلحون للوظائف ؟

- مرت أكثر الجامعات العربية بمرحلة كان الهدف فيها تهيئة المتعلمين الذين تحتاج إليهم الدولة في إدارة وزاراتها ومؤسساتها بعامة ، ومؤسساتها التربوية بخاصة ، فكانت الجامعات تحقّق ذلك الهدف ، وتلبي تلك الحاجة . ثم زادت الحاجة كماً ، وتنوعت كيفاً ، فقامت الجامعات بإنشاء العديد من الكليات والمعاهد الجديدة ، سدّا لتلك الحاجة ، فنشأت كلّيات ومعاهد للزراعة والصناعة والإعلام والصحافة وغيرها ، أمّا البحث العلمي فقد كان يقوم في نطاق تلك الجامعات حيناً ، ومنفصلاً عنها حيناً آخر ، وكان من ذلك ظهور مراكز للدراسات والبحوث العلمية المختلفة . ولكنّ الحقيقة أنّه ما زالت مشكلة المزج بين رسالة التعليم ورسالة البحث العلمي قائمة في كثير من الجامعات العربية . ومن الجدير بالذكر أن بعض الجامعات حاولت التغلب على المشكلة بوضع نظام يتيح

للأستاذ الجامعي أن يفرغ مدة قصيرة ، لا تتجاوز سنة واحدة ، تكون خالصة للبحث العلمي في بلد الجامعة أو في مكان آخر . لكنّ هذا النظام ـ كما أعلم ـ لم يحط النتيجة المرجوة منه . والأفضل في رأيي هو ما جرت عليه جامعات أخرى من تأسيس مراكز مخصّصة للبحث العلمي ، بعيداً عن العمل التعليمي المرهق .

توظيف اللسانيات

● يطرح بعض المفكرين والدارسين في إطار ما يعرف بقضية التراث والمعاصرة أفكاراً تتصل بتوظيف اللسانيات Linguistique في دراستنا اللغوية ، وقد سبق هذا اختلاف الدارسين عندنا حول مناهج الدراسة اللغوية ، لا سيّما ما اتصل بالوصفية والمعيارية . فما رأيكم بداية بتوظيف المعطيات اللسانية الوافدة ؟ وهل تتوقعون منافسة يمكن أن تكون بين فقه اللغة واللسانيات المترجمة ؟

ـ أنت تعرف بأنني لا أنظر إلى التراث والمعاصرة ، أو القديم والحديث ، تلك النظرة الحادّة التي تقبل هذا وترفض ذاك . فلا مجال عندي لإجلال القديم لقدمه ، أو لاحتقار الحديث لتأخر زمانه ، فكلّ قديم كان حديثاً في عصره ، وكلّ حديث يغدو قديماً حين يتجاوزه الزمن . وعلى هذا فأنا أنظر في الدراسات القديمة والحديثة مستوضحاً الحقائق والمناهج والنتائج ، وأدع ما سوى ذلك من الأسماء والمصطلحات .

وأظنّ أنني لا أستطيع في هذا المجال الحكم الدقيق على الذين كتبوا في الدراسات اللغوية عندنا ، لأنهم ليسوا على رأي واحد أو منهج واحد ، فهم كثيرو الاختلاف ، متعددو المذاهب ، بل لعل لكل واحد منهم مذهباً في الدرس يخالف غيره فيه . وإنّ أغرب ما في الأمر حقّاً هو أنّ عدداً من الدارسين الشباب ، لا سيّما الوافدين من الجامعات الأجنبية ، يصرّون على البداية من درجة الصفر ، تجاهلاً لجهود من سبقهم أو ما زال يعاصرهم . ولعلّك تذكر إصراري على الإشارة إلى جميع السابقين من الدارسين وإن كان الباحث يخالفهم ولا يأخذ بشيء من آرائهم ، لأنّ هذا قاعدة من قواعد البحث الصحيح .

ومهما يكن من أمر فإنني أرى أنّ من عدّة الباحث أن يكون متقناً للغة التي يدرس ويكفينا في هذا الصدد ، للحكم على ما يكتبه بعض الدارسين المبشرين بالحداثة أن ننظر في أسلوب درسهم واستعمالهم للدلالات ، وليس هذا الشرط شرطاً تعجيزياً ، هدفه إحباط المواهب الشابة ، إنّما هو شرط بديهي ، إذ كيف يتسنى للمرء أن يصدّق من يزعم أنه سيأتي بنظرية رياضية ، وأنت تراه يخطيء في تعداد الأرقام وعمليات الجمع والطرح ؟ ! كذلك أرى أنّ من عدّة الباحث أن يكون عارفاً بالمناهج الدراسية ، قديمها وحديثها ، حتى يأمن الزلل والخلط بين هذا المنهج وذاك . وهناك أيضاً ضرورة إدراك الباحث للغاية التي يرمي إليها في بحثه .

أما من حيث قيام منافسة بين فقه اللغة أو علوم العربية من جهة ، واللسانيات من جهة أخرى ، فأنا أنظر إلى الأمر من زاويتين : الأولى : الإفادة من اللسانيات ، وهو أمر وارد ومشروع في جميع ما عرفنا من دراسات لغوية عربية ، قديمة وحديثة ، على أن تكون الخطا مدروسة ، كيلا نوقع الضيم على لغتنا ، كما فعل عدد من الدارسين . ومن الجدير بالذكر ههنا أنّ الإفادة من الجديد لا تعني عندي ضرورة تطويع اللغة للانقياد للمعطيات الأجنبية بأي شكل من

الأشكال ، فهناك خصائص ذاتية ، تجعل هذه اللغة مختلفة عن تلك ، وكل محاولة للقسر أو التعميم تبقى مرفوضة . والزاوية الثانية هي اللسانيات ، من حيث الاختصاص المعرفي ، وهذا أمر يمكن قبوله على أساس الإضافة والزيادة ، لا على أساس إحلال هذا محل ذاك ، فاختصاص اللسانيات الذي نراه يدرّس في أقسام اللغات الأجنبية يشمل الأصوات والصرف والقواعد والدلالة ، ضمن بحث نظري معمّق ، لا يسعى إلى فرض القواعد وتعليمها ، بل يسعى إلى وصف الحقائق وتحليلها . وهذا مقبول إن أحسنا البناء على شاكلته ، وتفاصيل هذا الأمر تطول .

الفصحى والعاميات

● في سياق الجدل الذي ما يزال يدور حول الفصحى والعاميات طرح بعض الأساتذة فكرة : حتمية العناية بالعربية الفصحى ، لكنّ أصواتاً من طرف آخر تُسمع حول المحافظة على تراث العاميات في الحياة والدرس العلمي . والسؤال الآن : ما الأسس التي تقوم عليها فكرة العناية الحتمية بالعربية الفصحى ؟ وما رأيكم في هذا الشكل الجديد من مناصرة العاميات عن طريق إدخالها في البحث العلمي ، تحت ستار الحياد الأكاديمي ؟

- اسمح لي بتوضيح لعله فاتني حين أجبتك عن السؤال السابق ، وهو أن التراث ليس على سوية واحدة ، فمن التراث ما يستمد قيمته من مجرد كونه تراثاً ، ومنه ما يستمد قيمته من كونه تراثاً أولاً ، ومن كونه ما زال حيا فعالاً ، يفيد الوارثين في حياتهم الحاضرة والمقبلة . ولا منازعة في الإفادة من التراث الحيّ ، أما التراث الآخر فحسبه أن يعامل معاملة الآثار التي تحفظ في المتاحف .

وإحياء التراث ينبغي أن يكون ضابطه المصلحة العامة للأمة ، فما وافقها أحييناه ، وما لم يتفق معها جمّدناه . وواضح أنّ الفصحى بالمعنى التاريخي تراث ، ولكنه تراث حيّ فعّال ، ولذلك وجب أن نعمل على تطويرها والمحافظة على كيانها . أما العاميات فليست كذلك ، لأنها أولاً عاميات شعوب وأقطار ومدن وقرى وأحياء ، وهي نتاج مرحلة من مراحل الضعف والتجزئة والتخلف . فأيّها أولى بالإحياء والتطوير الفصحى الواحدة الموحدة ، أم العاميات التي لا تكاد تُحصى كثرةً والتي تفرّق ولا تجمّع ؟ ثم إننا في عصر تطلع وحدوي ، والفصحى وحدها هي التي تصلنا بتراثنا الديني والفكري والثقافي ، وهي وحدها التي تجمع بين شعوبنا على اختلاف الأقطار وكثرة الحدود . فلا مناص من العناية بالفصحى إذا صدقنا في توجهنا وأدركنا من أثرها ما رأينا .

أما ما يتصل بالحياد العلمي ، وما أشبه ذلك ، فأنا أعلم أنّ الأمم تسخر العلوم على اختلاف أنواعها لمصلحة شعوبها وتحقيق غاياتها . فإذا كانت غاية العرب اليوم تحقيق وحدتهم ، فكيف يصحّ في الأفهام أن يتخذوا من موضوع العاميات وسيلة للتفريق والتمزيق ، على حين أنّ أمامهم لغة واحدة وموحِّدة ، هي الفصحى التي وعت أعظم تراث عرفه الناس . ومهما قيل تستراً على غايات لم تعد مجهولة ، من ضرورة الحياد في البحث العلمي حتى تكون نتائجه صحيحة ، فإنّ هذا ليس المعيار الوحيد الذي تقاس به الأمور ، لأنّ النفع والضرر أهمّ من ذلك المعيار وأبقى . فإحياء دراسات العاميات في بعض الجامعات العربية ، أو السعي إلى إحياء

العاملات لدى جهات أخرى ، ليس بالأمر الخفيّ الذي يتطلّب كشفاً ، بل هو موجة معلنة ، لها دعاتها وأنصارها ، ولها إمكانات تفوق ما تنفقه بعض الدول على أهمّ مجالاتها .

المعجم والموسوعات

● استكمالاً لما ورد حول العناية بالعربية الفصحى نريد أن نعرف رأيكم حول المعجم العربي المنشود ، وهو المعجم الذي ما زال حلماً . كما نودّ أن تذكروا لنا شيئاً حول الموسوعات التي تؤلف هنا وهناك ، لا سيّما وأنت تشارك في معظمها .

ـ حديث المعجم المنشود حديث ذو شجون ، فقد تتابعت على اقتراحه السنون ، وتكاثرت الشروط والمناقشات ، ولقد صدقت حين وصفته بأنّه حلم ، فهو كذلك ، لكنّه حلم وأمل مشروع ، لأنّ ما قيل حوله وما كتب يؤكدان ضرورة تحقيقه ، خدمة لأبناء هذه اللغة الذين يتوقون دوماً إلى تحقيق ما عرفوه من منجزات الحضارة لدى الأجانب . ومن حقّهم أن يكون للغتهم معجم على غرار ما رأوا في المعاجم الأجنبية . ولكنّ دون تحقيق هذا المعجم صعوبات جمّة ، لعلّ أهمّها ضعف التنسيق بين الجهات القادرة على إنجازه . هذا مع توافر الإمكانات المادية والعناصر البشرية الجديرة بالنهوض به . أمّا إذا قصدت أن أبدي لك رأيي في خطّة هذا المعجم فلن تظفر بجديد ، لأنّ عشرات البحوث والمقالات أتت على معظم ما يمكن أن يكون عليه المعجم المنشود من مادة وتبويب وإخراج ، وما سوى ذلك .

ولا شك في أن هذا العصر قد شهد حركة تأليف معجمية واسعة ، لكنّ الحاجة ما زالت تدعو إلى إنجاز معاجم جديدة ، لأنّ اللغة في تطوّر مستمّر ، وتطوّرها يتناول المعاني الجديدة والألفاظ المستحدثة ، وهي معانٍ وألفاظ متجدّدة متكاثرة ، لا تقف عند حدّ ، ولا تنتهي عند زمان معيّن . ولقد كان الاتجاه إلى تأليف الموسوعات الشاملة واحداً من اتجاهات التأليف المعجمي في هذا العصر . ولا شكّ في أنّ المحاولات الأولى في هذا الصدد كانت رائدة ، لكنّها لم تتتابع على ما ينبغي ، فكان الانقطاع الذي شهده هذا الاتجاه . وفي سبيل تلافي هذا الانقطاع أسس مشروع « الموسوعة العربية » في دمشق ، وهي موسوعة شاملة لكلّ العلوم . وسوف أتحدث عنها وعن مشروع آخر هو معجم « العماد » الموسوعي ، نزولاً عند رغبتك ، علماً بأنّ هناك مشروعات أخرى ، تتبناها بعض الأقطار الشقيقة في هذا المجال أو غيره من مجالات الثقافة .

وتهدف « الموسوعة العربية » إلى توفير مرجع علمي عربي ، يتناول جميع جوانب المعرفة ، ويضع بين يدي القارىء العربي المعارف الإنسانية ، ويعرفه بقضايا العصر وعلومه ، ويوثّق صلته بتراثه وماضيه ، ويلبّي الحاجة الثقافية للمجتمع العربي . وتضم هذه الموسوعة أقساماً : الحضارة العربية ، والآداب واللغات ، والعلوم الإنسانية ، والعلوم البحتة ، والعلوم الطبّية ، والعلوم القانونية والاقتصادية ، والتربية والفنون . ويعمل في هذه الموسوعة عدد كبير من المحرّرين والخبراء ، وقد رصدت لها إمكانيات جيدة . وهناك اتجاه آخر ، يجمع بين المعجمية والموسوعية ، ويمثّله معجم « العماد » في اللغة والعلوم والفنون والاعلام ، وهو معجم موسوعي ، يُؤلَّف الآن في دمشق ، على طريقة المعاجم العربية في ترتيبه ، ويختلف عن الموسوعة في إيجاز تعريفاته وبحوثه . ولا شكّ في أنّ كلاّ من هذه الاتجاهات المعجمية يلبّي جانباً من حاجة القارىء العربي ، وهي حاجة متجددة ، لا تلبّيها إلا معاجم دائمة التطوّر والتجديد . □

أفكار القرون

(في فكرنا العربي قضايا وموضوعات تعيش بعد أصحابها ، من هذه القضايا والأفكار تختار العربي في كل عدد موضوعا يصل بين الماضي والحاضر ، وبين الأمس والغد) .



هل نؤلف أو نترجم؟

ما هي حاجة الأقطار العربية اليوم؟

أحمد لطفي السيد *
١٨٧٢ - ١٩٦٣

الترجمة هي الطريق الطبيعي لنقل العلوم الى بلادنا ، وهي الطريق الذي سلكته كل مدنية من المدنيات الماضية ، سواء في ذلك الرومان والعرب وأوربا في نهضتها الحديثة . الترجمة عندي ضرورية في هذا العصر الى حد أني لا أظن أنه تصح المعارضة بينها وبين التأليف . إنما يكون التأليف بنقد المذاهب الموجودة في العلوم المختلفة ، وبيان الفاسد والصحيح منها ، والزيادة على النظريات المعروفة بنظريات جديدة ، واكتشاف ما كان من قبل مجهولا . وهذا النوع من التأليف ليس موجودا في بلادنا ، بل الموجود منه هو مختصرات دراسية للطلبة في المدارس . وهذا ضروري في هذا الوقت . ولا أشك في أنكم تسألونني عن التأليف على المعنى الأول ، ذلك التأليف الذي يقوم به العلماء الذين يزيدون على الموجود من النظريات العلمية ، ويفتحون ببحوثهم آفاقا جديدة للرقي العلمي من بعدهم . لسنا وحدنا ، من أجل تخلفنا في العلوم المختلفة ، بحاجة الى الترجمة ، بل الواقع أنك لا تجد مؤلفا قيما في الأدب أو في العلم يظهر في أية أمة إلا ويترجم باللغات

* مجلة الهلال العدد الثالث للمجلد ٣٣ عام ١٩٢٤ .

الأخرى . وإذا كانت هذه هي حال الأمم التي نتعلم منها كل شيء فكيف بنا وقد وقفت الحركة العلمية في بلادنا منذ زمان طويل ؟ ولهذه المناسبة أؤكد لك أن الحاجة أشد ما تكون مساسا الآن ، الى أن تشرع الحكومة بإنشاء دار ترجمة ، تقوم بنقل أمهات الكتب في العلوم المختلفة الى اللغة العربية .

- أيهما أولى بالتقديم الآداب أم العلوم ؟

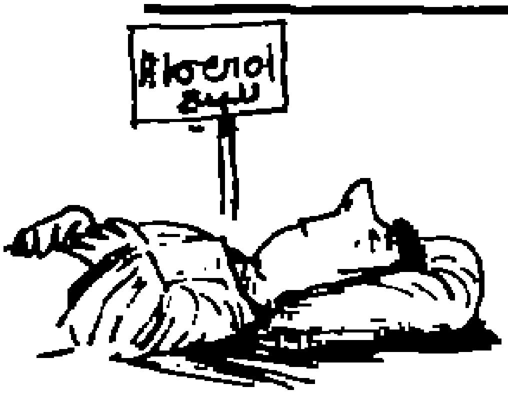
● الواقع ان الحركة الأدبية تتقدم الحركة العلمية دائما . كذلك كانت سنة الأولين . فإن الآداب اليونانية قد تقدمت العلم اليوناني . والآداب العربية تقدمت العلم العربي . والنهضة الحديثة في أوربا بدأت بالآداب ثم ثنت بالعلوم . فلسنا إذن مختارين في أن نبدأ بأيهما شئنا .

وأهم ما ننتفع به من الآداب الأوربية هو أنماط الكتابة وطرائق ترتيب الفكر . فترجموا من أي لغة شئتم ، فما ترجمتموه سيأخذ الطابع العربي بعد ذلك أيا كان مصدره . لكل أمة أدب خاص يأتلف وتقاليدها القومية واعتقاداتها الدينية وعاداتها وأخلاقها ومركزها الجغرافي . أما في العلوم فإن المستوى العلمي في الأمم الراقية التي يحسن الأخذ عنها يكاد يكون واحدا . فليس التمييز في الأخذ عن الألمانية أو عن الفرنسية أو عن الانجليزية مهما في ذاته ، بل المهم هو الابتداء منذ اليوم ، لأن كل يوم من أيام التأخير في الابتداء يؤخر في النتيجة لا أياما فقط ، بل سنوات طوالا .

وربما كنت أميل ، فيما يتعلق بالفلسفة ، الى ترجمة اليونانيين ، وعلى الخصوص ارسطوطاليس ، حتى لا تقع رجة عنيفة بين براهجنا العلمية وبين عقائدنا القومية . وأما في الآداب فترجمة المعاصرين أجدى . وأما في العلوم فخير لنا أن ننقل الى بلادنا أحدث الكتب .

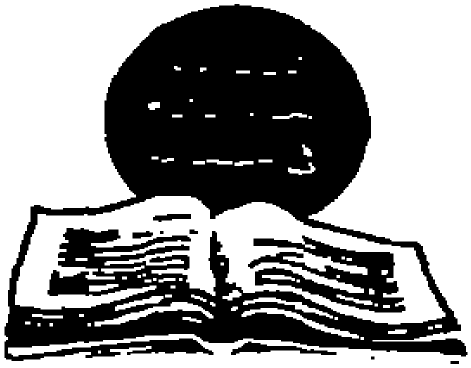
وأظن أن حاجتنا أشد مساسا الى ترجمة دائرة معارف عامة ، كدائرة المعارف الكبرى الفرنسية أو الانجليزية ، فنضيف إليها ما ينقصها مما هو خاص بنا . ولا شك في أن سفرا كهذا سيكون جليل الأثر جدا في المعاهد العلمية التي لا تعلم فيها اللغات الأجنبية ، بل مثل هذا الكتاب يمكن اعتباره بحق في حالتنا الحاضرة المرقاة الأولى الى البحث العلمي المفيد . ويعزني أن أصرح بأن محاولة مثل هذا النقل تفوق طوق الواحد ، وطوق الجماعة الحرة ، بل لابد من مداخلة الحكومة ، فهي وحدها القادرة على مثل ذلك . لقد كانت الحكومة فيما مضى تعلم النشء ليصلحوا لإدارة الحكومة فقط . وعندي أن الوقت قد حان لتعليم العلم للعلم . وهذا الغرض لا يتحقق إلا بإنشاء جامعة يكون التعليم فيها حرا من القيود ، وتكون إدارتها موكولة الى أساتذتها الذين يجب أن يكون جلهم من كبار الأساتذة . □

أغرب الوصايا :



● أوصت أرملة في فينا أن تذهب جوقة من الموسيقيين مرة في السنة الى قبرها في مثل يوم وفاتها ، فتعزف على القبر أنغاما شجية ساعة من الزمن .

● وأوصى أديب أن تباع جثته بعد موته ، وأن تسدد بثمنها بعض ديونه .



الليل .. الرحم

مجموعة قصصية من تأليف : محمد روميش

بقلم : حسين عيد

«إن الكتاب الذين تناولوا القرية المصرية في أعمالهم الإبداعية كثيرون ، لكن قليلا منهم من غاص إلى أعماقها بصدق ، ملتحما بترابها وطينها ، متقبلا كل مافيها بوله ، حتى قبلته القرية عاشقا متيما لها ، فأسبغت عليه نعمتها ، وفتحت له مكنوز أسرارها .

من هذا النوع النادر من الكتاب ، كان محمد روميش في مجموعته القصصية «الليل .. الرحم»

شاد محمد روميش بناء القصص الفني في هذه المجموعة على محورين أساسيين ، أولهما التجسيد المرئي أو الحضور القوي لأبعاد المكان الخارجية في القرية بأدق تفاصيله . ساعده على تحقيق هذا التجسيم عدد من العوامل هي : الوحدة الفنية المتكاملة لقصص المجموعة ، والاستفادة من تقنيات الفن السينمائي في تقديم زوايا الرؤية والاعتماد على الصورة ، وتوظيف لغة بسيطة ، سلسة ، ذات قاموس هائل مستوحى من مفردات البيئة ، ومن خبرات معيشية واسعة بالقرية ، مع فهم واع لطبيعة المكان ، واستيعاب كامل لطقوسه وشعائره وعاداته وموروثه الشعبي .

وسأتناول كلا من هذه العوامل بشيء من التفصيل .

الوحدة الفنية لقصص المجموعة :

جاء اختيار الكاتب لقصصه السبع التي كونت المجموعة اختيارا موفقا ، لأنها شكلت فيما بينها وحدة فنية ، تكاملت فيما بينها ، لتبعث

الحيوية في حياة قرية بعينها ، هي قرية «تلبانة» ، وتشهد أركانها المختلفة ببساطة متناهية . إنها بساطة الفنان التي تظهر عمله عفويا تلقائيا ، لكنها تخفي وراءها جهدا شديدا .

١ تعدد زوايا الرؤية :

استفاد محمد روميش من تقنيات الفن السينمائي في خلق حضور قوي أو تجسيد مرئي لأبعاد المكان ، من خلال استخدامه لتعدد زوايا الرؤية،وفن المونتاج أو القطع،والانتقال الزماني والمكاني ، في تقديم مشاهد متتالية ، تعتمد المشهد وحدة للبناء ، وإن جاوره أحيانا بصوت الراوي التقليدي معقبا أو معلقا على الأحداث . والأمثلة عديدة ، سأعرض لبعض منها من قصة «النشيد من الأفق الغربي» :

تبدأ القصة بمشهد افتتاحي لحقل «الوسية» في الظهيرة من خلال لقطة بعيدة : «ثم توارى الجحيم . . كانت تصبه الشمس ، فتصنع الحقل ، حقل «الوسية» الواسع ، فرنا كبيرا ، يشوي مابه من ناس . ومن بعيد ، من حيث تلتقي السماء بحقل القطن ، أقبلت نسمات تجفف العرق ، تعانق رؤوس الشجيرات ، تموج اللوزات المتفتحة بلونها الأبيض الشاهي ، فيبدو القطن بحرا كبيرا صاخبا ، يغطي الزبد صفحة مائه . . .»

هذه اللقطة البعيدة «تبقي على العلاقة بين الناس ومايحيط بهم» ، وهي تصور من مسافة كبيرة ، و «تستخدم أيضا كإطار مكاني لتحديد اللقطات الأكبر ، وهي لهذا السبب تسمى أحيانا (اللقطات المؤسسة)» ، وهي هنا تؤسس لعلاقة أساسية ، تسود غالبية قصص المجموعة ، وهي اضطرار الفلاحين للعمل كأجراء في حقل «الوسية» من أجل لقمة العيش ، وهي لقطة موحية ، فهي تمثل حقل «الوسية» وكأنه فرن يشوي مابه من ناس ، حتى غدا قطعة من الجحيم (جحيم الاستغلال البشري) من ناحية ، لكنها من ناحية أخرى تبرز من طيات هذا الجحيم محصول القطن ، وقد تحول بشكل جمالي ، إلى بحر صاخب يغطي الزبد ماءه .

يلي ذلك قطع ، وانتقال إلى مشهد آخر ، عبارة عن لقطة كبيرة لوجه بطلة القصة «ست أبوها» :

«وابتسمت ست أبوها ، وهي تتخفف من الخرق التي تلفها فوق رأسها وحول رقبتها عازلة أشعة الشمس من أن تحيل وجهها التفاحي البشوش ، قطعة فحم» .

إن اللقطة الكبيرة التي «تضخم حجم الشيء مئات المرات ، فإنها تميل إلى رفع أهمية الأشياء ، وتوحي في الغالب بمغزى رمزي» . والمغزى هنا سيتضح فيها بعد ، لأن «ست أبوها» تحافظ على وجهها من أجل حبيبها «ابراهيم» ، وعندما تفقده بعد ذلك فإنها لاتهتم في نهاية القصة بالحفاظ عليه ، فتحرقه الشمس . كما أن ظهور وجهها « التفاحي البشوش» يوحي بالإقبال على الحياة والتطلع المتفائل إلى المستقبل .

قطع ليتسع المشهد ، ويظهر ابراهيم داخل «الكادر» في لقطة متوسطة :

«وأطال ابراهيم تأمل ست أبوها ، وأسقط في قلبه ، ملاحة البنية ، ووقف بعينيه على خديها المتوردين .

«ست أبوها مش للغيط ياأولاد» .

هذه اللقطة الثنائية بدت «كطريقة لتوكيد سيطرة شخص على آخر» فأظهرت مشاعر ابراهيم تجاه «ست أبوها» ، مما يقوده للانتقال تلقائيا ليحث نفسه معجبا بفتاته ، وبأنها لم تخلق لشقاء «الغيط» ، وتكون هذه اللقطة أيضا تمهيدا للانتقال مباشرة إلى الحلم .

قطع ، مونتاج مكاني ، أي الانتقال من المكان الحالي إلى مكان آخر : «رآها بكرت في داره ، كنستها وجزءا من الحارة ، ملأت

«البلاص» من الترعة ، ورجعت في يدها حزمة حبابحر ، أخضر معطر ، تقربه إلى أنفه .
- قوم ياابراهيم الشمس علو الدنيا .
- ياشيخه سيبيني شوية .
- وحياة سيدي ذي النون م اسيبك»

هذا المشهد الحلم يتداعى منطقيا عن تطلعه إلى حبيبته «ست أبوها» ، فيراها في بيت الزوجية المرغوب تباشر مهامها المنزلية وتداعبه .

لكن الواقع يعود قاسيا ، يلح ، ليقطع الحلم ، بمشهد آخر للقطة قريبة : «واعترضت ساق ابراهيم شجرتا قطن ، تشابكت فروعهما ، شق طريقه وسط الأغصان المتشابكة ، أحس اللسع ونقط دم صغيرة قانية متجمعة على ركبته ، مسح الدم بقطعة قطن دسها خلسة في عبه ..»

هذه المشاهد المتتابعة ، ذات اللقطات المتنوعة ، لجزء من صفحة البداية ، لقصة «النشيد من الأفق الغربي» ، تصور بشكل مقنع حضورا مجسما لجزء من واقع القرية مستفيدا من تقنيات الفن السينمائي .

توظيف لغة بسيطة

اللغة هي أداة الكاتب المبدع في مجال الأدب الذي يعتبر «الوسيلة لتوصيل التجارب ، والتجارب نفسها لاتحدث على صورة ألفاظ ، وتجارب المؤلف يجب أن تترجم إلى الألفاظ التي هي رمز لها ، لكي يستطيع القارىء أن يحيل هذه الرموز بدوره إلى تجارب ، وفي كلا الحالين لابد من تخيل تلك التجارب» .

لغة قصص محمد روميش لاتميل إلى التأنق اللغوي ، بل هي لغة بسيطة ، سلسة ، تفيء انتباه الكاتب لقريته ولناسها البسطاء ، فكان منطقيا أن ينعكس هذا الانتباه في استخدامه لغة حياتهم اليومية مضمخة بقدرات فنية ، لتتنامى داخل وجداناته معبرة عن عالم القرية . فجاءت مفرداته دقيقة ، واضحة ، مركزة ، مشحونة ، موجزة تملك في تتابعها ثراء امتداد غيطان الريف ، وتستلهم جماليات نحتها من أرض واقع القرية .

دراسة اللغة في هذه المجموعة تحتاج إلى بحث كامل ، لكنني سأكتفي بإلقاء بعض الأضواء الكاشفة على بعض ملامحها :

«الشمس هناك على مدد الشوف كحفرة مملوءة بالأوالح المتوهجة ، وهي لقربها ، تستطيع - كما يقول عم زناتي - أن تخطفها بيدك .. أبو قردان عائد ليقضي ليلة فوق أشجار الجميز العجوز حول قريتنا ، جماعات ، جماعات ، كأثواب القماش الذبلان تحملها الرياح .. في الحقل ، خرج الناموس ..»

انظر لهذا الافتتاح القوي المتفجر باسم «الشمس» لقصة «الليلة الجاية» ثم الوقوف عندها مستدركا هناك «وكأنها ليست أي شمس ولكنها شمس محددة في موقع معين» . ثم التوقف ثانية ، منبها موقظا حواس القارىء ، ليستطرد منميا ، ايقاعا متصاعدا على «مدد الشوف»

انظر لهذا التتابع الموسيقى المتنامي بجرسه الهادىء النابع من نبت القرية . إنه لم يقل : «على مدد البصر» أو «على امتداد النظر» ، بل نقلنا مباشرة إلى جو القرية ليكتمل (إحياء) المعنى بتشبيه مستمد من البيئة ، حين بدت الشمس «كحفرة مملوءة بالأوالح المتوهجة» ، ثم يضيف إلى هذا التشبيه تشبيها آخر ، يؤكد قربها الشديد أو هو يبالغ في تقريبها - كعادة أهل الريف - بأنك يمكن أن تخطفها بيدك . وانظر أيضا لاختيار لفظ (تخطفها) لأنها شيء تتمنى جميعا لو تملكه أو تقتنصه بمعنى أصح . ثم يضع الكاتب نقطتين ، يتريث خلالهما بصر القارىء قليلا ، للانتقال إلى ملمح آخر داخل إطار الصورة نفسه عن أبي قردان .

ويجب أن يلاحظ القارىء أن كل تشبيهات محمد روميش ، نابعة من البيئة القروية ،

كمشهد أبي قردان الذي شبهه بأثواب القماش «الدبلان» التي تحملها الرياح ، ولايفوتك تكرار كلمة جماعات التي تعطي إيقاعا حركيا ، كحركة أجنحة الطيور خلال طيرانها . هذا الملمح نفسه نجده عندما تتذكر إحدى الشخصيات بيوت عائلة (السوالم) «التي سمع من أبيه أنها قامت كالنبات الشيطاني» .

هنا تشبيه يوحي بعدم شرعية بيوت عائلة (السوالم) ، وأن ثراءها قام على غير حق ، وأنها احتلت مكانتها في القرية دون استحقاق أو عرق ، تماما كالنبات «الشيطاني» الذي يبزغ فجأة دون مبررات ، دون أن يضع أحد بذرته أو يمهد له الأرض ، وأيضا - ربما - يحتل مكانا غير مناسب .

ويكون منطقيا أيضا مع كاتب هذا دأبه ان يكون حوار شخصياته بمفرداتها الحية نفسها ، وإن أعمل فيه قدراته الفنية من تكثيف وتركيز ، ليأتي معبرا عنها ، باعثا فيها دفقات حياة نضرة متتالية .



● غلاف الكتاب

وأورد هنا نموذجا واحدا من كثير ، حين يتحاور عجوزان في قصة «النشيد من الأفق الغربي» ، وهما «عواد» رفيق ابراهيم في أزمة عماته في الغربة ، و «ست أبوها» الصابرة التي لم تتزوج بعد موت عشيق صباها .

- «تب ريحي نفسك شوية» .

- يلواد ياعواد الراحة بعد لقا الله» .

حوار موجز حي مؤثر ، ولاتنس جملة : «يلواد ياعواد» وهي تخاطبه على الرغم من أنه عجوز ، عجوز لكنها إحدى لازمات أهالي الريف التي ترادف أنها من اكتشافاتهم (الذكية) فجاء وقعها بليغا ، أي كأنه كشف ، تلفت نظره إلى أهميته ، مظهرة في الوقت نفسه ضآلة العجوز عواد إزاء خبراتها العميقة بالحياة .

فهم واع لطبيعة المكان

لعل حياة الكاتب العريضة بقرية «تلبانة» ، وما اكتسبه من خبرات عميقة بالحياة فيها ، إضافة إلى انتمائه وحبه العميق لها ، كانا وراء استيعابه الكامل لطبيعة المكان بكل مايكتنفه من عادات وطقوس وشعائر وموروث شعبي . وهو ماكفل له - أو كان عاملا مهما - بعث المكان حيا في ثنايا قصصه ، وكان سندا أساسيا في إبراز الرؤية التي تبلورها .

دائرة الحياة الحزينة للمكان :

إزاء التجسيد المرئي لأبعاد المكان المبني موضوعيا في القصص ، ضفر محمد روميش خلاله بناء دراميا لمصائر شخصياته . ونجد أن القصص من هذه الزاوية يمكن تقسيمها إلى قسمين ، يمثل القسم الأول القصة المشهد ، وتتضمن قصص «فرح سلامة» و«الليلة الجاية» ، و«طرح المجد» و«عين الحياة نظيرة» ، وهي قصص قصيرة نسبيا ، يتوافر في كل منها عنصر الوحدة الزمنية ، وفي فترة زمنية محدودة قد تمتد عدة ساعات ، إضافة إلى أنها

تعالج فكرة محددة ، وعادة يتوافر فيها وحدة منظور زاوية التصوير التي تتبع شخصا بعينه خلال تحولاته النفسية المختلفة ، أما القسم الثاني فيمثل القصة المطردة الأحداث ، ويتضمن قصص «النشيد في الأفق الغربي» ، و «كل شيء حقيقة» ، و «الليل الرحم» ، وهي ممتدة الطول ، تطرد للأمام في الزمن الذي قد يستغرق سنوات طويلة ، وتعالج موضوعا أشمل وأوسع في الحياة الإنسانية ، وتتنوع فيها زوايا الرؤية التي تتبع مصائر بشرية متعددة .

ولو راقبنا مصائر الشخصيات التي تبلورها رؤى هذه القصص، لوجب أن نستعيد قصتين : الأولى «فرح سلامة» ، لأنها توضح المنغصات المالية التي يعانيها أب ، حين يرضخ لمطلب ابنه ويزوجه ، ويتكبد في سبيل ذلك رهن قنطاري قطن من المحصول الذي لما يجنه بعد ، إضافة إلى رهن الجاموسة وغرفة معيشة في بيته ، أما القصة الثانية فهي «الليلة الجاية» فسوف يتم استبعادها لاحقا ، بعد أن تتضح مبررات هذا الاستبعاد .

مركز ثقل

والآن لو أعدنا ترتيب قصص المجموعة الخمس الباقية حتى يتيسر للقارىء من خلالها تتبع مصائر الشخصيات ، لرأينا أن قصة «النشيد في الأفق الغربي» تمثل مركز ثقل للمجموعة ، فهي أطول قصص المجموعة على الإطلاق ، وفيها تتجسد مصائر الشخصيات ، مبلورة رؤية الكاتب ، حتى تكاد القصص الباقية أن تغدو عبارة عن تعميق أو توسيع أو إضافة لأحد جوانبها . فيها شخصيتان رئيسيتان هما «ابراهيم سالم» و «ست أبوها» محبوبته . يبدآن من أرض مشتركة ، فكلاهما أجير في أرض (الوسية) ، يخضعان في العمل لقهر الطبيعة (القاسي) ، وقهر خولي (الوسية) وعنفه الضاري مع الأجراء بلسانه ويذراعه الثقيل ، لكنهما يتخففان من ضغط هذا الواقع باللجوء إلى الحلم ، حلم الزواج المشروع والهناء القادم .

لكن حلمهما سرعان مايتبدد حين يأتي الانجليز مع عساكر «الهجانة» و «الغفر» ويحاصرون القرية ، ويجمعون كل رجال البلد ، ليأخذوهم للعمل (سخرة) في حفر الطرق اللازمة وشقها لمد السكك الحديدية . وهناك تحت قسوة المعاملة اللاانسانية يموت ابراهيم . لكن «ست أبوها» تصر على أن تبقى وفية لحبيبها الراحل ولاتتزوج أبدا .

شخصيتان متوازيتان بالستان تشتركان في معاني المعاناة من أجل لقمة العيش بالعمل كنفرين أجيرين في حقل (الوسية) ، يقبلان على مضض قهر الواقع المحلي ، لكن قهر الواقع الخارجي (الممثل في المحتل الأجنبي وأعوانه) سرعان مايتدخل ، فنجد ابراهيم يتقبل هذا القهر الجديد ، بهذه القدرة المتوارثة لدى أهل الريف منذ أجداد الجدود بالقبول والرضا والتحلي بالصبر إزاء المكاره ، فيقول «وهو كله شغل يابوخليل .. في غيطان الوسية .. في جبل الانجليز .. في أرض العمدة .. كله شغل .. كله شغل .. وبني آدم .. علا «أو نزل» نصيبه كله لقمة عيش .. هدمة تستر جسده .. والآخر حتتين قطن على فمه ووراء ظهره» .

إنه إرث قديم وفلسفة حياة ، تورث القناعة والرضا ، وتصل إلى حد الزهد في مباهج الدنيا ، وتوجز أمر الحياة مهما علا شأن صاحبها أو نزل ، بأنه إلى الموت سائر ، حيث لامهرب ، هكذا انقضت صفحة ابراهيم . أما «ست أبوها» فلم يشفع لها أنها كانت ذات يوم (بنت أصول) ، فحين مات حبيبها (اختارت) طريقها ، فنعمت بسعادة ذاتية عظيمة ، رافضة مايقدمه لها هذا الواقع من فتات وهمي للسعادة (بالزواج من آخر) ، ففقدت ملامحها الأنثوية

(التي رأى فيها ابراهيم يوما أنها ليست للغيط) ، وتحملت الحياة كرجل بإصرار وعناد وفخار .

بمعنى آخر ، فلاح القرية دائما محاصر ، محكوم عليه أن يعيش داخل دائرة جهنمية حزينة ، مليئة بالقهر والمماثلة ، وهو يتقبلها مؤمنا مستسلما ، صاغرا ، كما فعل أجداده جميعا في سنوات خلت ، فإذا عن لأحدهم ، (توفيق في قصة طرح المجد) ، أن يرفض هذا الواقع ، ويحاول الخروج من دورته المفزعة ، متمسكا بأصله العريق وماضيه السابق ، يكون مآله الجنون .

هل ثمة مخرج ؟

والوجه الآخر المقابل لهذا النموذج هو (نظيرة في قصة عين الحياة .. نظيرة) فهي «بلا أصل ، وبلا فصل وبلا حكاية ، شبت في دار جابر أفندي ، أمها كانت قبلها خادمة في دار جابر افندي ، لم تر لها أبا ، ولولا أن اسمه منقوش على ختمها ماعرفت اسمه» ، لكنها تعاني الأمرين من زوجها ومن واقعها الضاري ، وعلى الرغم من ذلك تناضل بإصرار من أجل لقمة العيش ، وتضطر أن ترضخ للقاء جنسي عابر من أجل توفير ثمن كيلة قمح ، على الرغم من أنها ترفض إغراء آخر لممارسة الجنس من أجل المتعة ، وتدافع عن زوجها . وهي في النهاية تعي واقعها جيدا ، فهي تكرر «قسمتي كده !» ، وتقبل واقعها برجولة (كما فعلت ست أبوها) .

إذن لابد أن يتساءل القارىء : هل هناك ثمة مخرج ـ منطقي ـ من هذه الدائرة؟

قد يبدو المخرج في الاختيار البديل الذي كان مطروحا في تلك الفترة الزمنية ، فوقتها لم يكن المصريون قد عرفوا الهجرة أو الاغتراب في العمل في الأقطار العربية الشقيقة ، في رفض حياة النهار (الكد والتعب) ، والاندماج في حياة الليل ، حتى ليغدو الأمر وكأنه تمرد فردي على واقع صعب ، لكن لهذا الاختيار متاعبه أيضا ، فرجال الليل «في النهار يحلمون بالقبض عليهم .. البنادق تقف لاتطلق الرصاص .. في أحلامهم دائما مكسورون أمام رجال الأمن «اتفقوا ذات مرة طوال حديث ليلة .. أنهم في أحلامهم أضعف منهم في واقعهم .. في الأحلام دائما يسحبهم رجال الأمن مربوطين بالحبال .. نهارهم مقبض مخيف بالأحلام» .

إنهم هاربون دوما من السلطة المدنية ، مسربلين بقدرهم الغامض الذي لافكاك منه حتى في أحلامهم ، فهذا الحل أيضا محكوم عليه بالفشل . □

الهدية على مقدار مهديها

ذات يوم زار الأديب توفيق ضعون صديقه الشاعر نعمة قازان وهو صاحب مصنع أحذية ، فظفر من المصنع بحذاء هدية ومن صديقه الشاعر بهذين البيتين :

لقد أهديت توفيقاً حذاءً ... فقال الحاسدون وما عليه ؟
أما قال الفتى العربي يوماً ... شبيه الشيء منجذب إليه ؟

فرد الصديق على هذه التحية بأحسن منها :

لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته ... لكنت أستأهل الدنيا وما فيها
لكن قبلت هذا النعل معتقداً ... أن الهدايا على مقدار مهديها



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قوله تعالى : (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) المائدة (٢٨)

نزلت في ولدَيْ آدم هابيل وقابيل ، فقدّم كل منهما قرباناً إلى الله ، وإذ تقبّل الله قربان هابيل دون قربان أخيه ، هدّده قابيل بالقتل ، فردّ عليه أخوه بما جاء في الآية .

والمعنى الوارد هنا هو نفسه الوارد في الكثير من آيات الإنجيل التي تنهى أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام عن الردّ على العنف بالعنف ، وتأمرهم بأن يديروا خدّهم الأيسر لمن صفعهم على خدهم الأيمن ، وهو نفسه الوارد في الآية القرآنية التي تصف المسلمين بأنهم قوم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

غير أن الأيام تمضي حتى بتنا في زمن قد نسي فيه كثيرون من المسلمين والنصارى ما أوصى به كتاباهم المنزّلان ، أرضحو ، وهم الأخوة أشبه بقابيل الذي طوّعت له نفسه قتل أخيه (فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) المائدة (٣٠) وأضحى بعض الديار الإسلامية أشبه ببيت قد انقسم أهله على أنفسهم ، ولا يغطي سقفه غير جزء من مساحة أرضه .

وقد دفعت الفتن الطائفية في تلك الديار بعض المفكرين إلى القول ، بأن أفضل العلاقات بين أفراد الطوائف الدينية المختلفة هي تلك التي تسود بين الملحدين من كل طائفة ، ممن قد تلاشت لديهم العقيدة ، وجمع بينهم الشك في صحة الأديان جميعاً . فهنا يختفي التعصب وضيق الأفق ، والشك المتبادل والحيطة والحذر ، ويصبح من المتصوَّر والممكن أن تقوم الصداقة الحرة ، والألفة الحقيقية ويضحى شعارهم بيت الشاعر القروي :

سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلا وسهلا بعده بجهنّم

غير أنه من المؤسف ـ في اعتقادي ـ أن يكون للإلحاد مثل هذا الفضل ، ولا يكون للعاطفة الدينية ، ومن المحزن أن نرى المتدينين في كل من الطائفتين قد غلبت عليهم مشاعر الشقاق والمرارة والشك إزاء متديني الطائفة الأخرى ، في الوقت الذي تجابه الأديان كلها قوى عاتية تعارضها وتسعى إلى هدمها جميعاً ، هي أعتى وأبلغ خطراً مما كانت عليه في أي عصر مضى .

لقد كانت ثمة أزمات كتلك التي عرفها

الإسلام وقت محنة خلق القرآن ، أو التي عرفتها أوربا في عصر الإصلاح الديني ، غير أنها كانت أزمات داخل الدين ، في حين نجد الأزمة الراهنة تتمثل في هجوم ضد الدين ، سواء أجاء هذا الهجوم من جهة الماركسية ، أم الإنسانية ، أم المادية العلمية ، أم نمط الحياة المعاصرة . وقد زاد عدد أولئك الذين بات الدين لا يلعب دورا كبيراً أو صغيراً في حياتهم ، ولا يعرفون القيم الدينية التي هي الوسيلة الأكيدة لمقاومة فقر الحياة الروحية في المجتمع الحديث ، فبدون هذه القيم لا يمكن أن يكون ثمة سلوك متجانس ، ويضحي سلوك الفرد مجموعة من التصرفات وردود الفعل لا رابط يجمع بينها .

وقد أحست الكنائس المتصارعة في الغرب بهذا الخطر الذي يتهددها جميعاً في السنوات الأخيرة ، فسعت بنجاح إلى رأب الصدع بينها ، وفتح باب الحوار من أجل إقامة جبهة متحدة ضد العدو الحقيقي ، بل ومدت جميعها يدها إلى اليهودية والإسلام للمشاركة في الدفاع ، وأعلنت أن المطلوب هو مجرد احترام الدين في حد ذاته ، وتقدير العاطفة الدينية حيثما وجدت ، وأيا كان موضوعها ، في سبيل إحداث التقارب وتحقيق التلاقي .

يحدث هذا في العالم المسيحي في الوقت الذي يشهد فيه بعض أقطارنا مناوشات دامية لا بين أتباع الديانات السماوية وبين الكفار والزنادقة ، وإنما بين أهل الكتب المنزلة أنفسهم ، كتب أوصت هؤلاء بأن يديروا الخد الأيسر ، وأوصت أولئك بأن يقولوا : سلاماً ، وأثنت جميعها على موقف الأخ إذ يقول لأخيه : (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يدك لِتَقتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيكَ لأَقتُلَكَ) .

إن تلاقي أتباع الديانات المختلفة ليس إلا مظهراً واجبا آخر من المظاهر المتزايدة لتلاقي الحضارات والشعوب في عصرنا هذا . ولا يعني هذا مطالبة أتباع أي دين باطراح أي حقيقة جوهرية فيه ، وإنما يعني تجاوزنا للخلاف والنزاع ، بل وتجاوزنا للاستماع في صبر ، والجدال في تأدب ، وإلى التفتح الذي يمكننا من الاستفادة والتعلم من الآخرين ، ومن إقامة علاقات إيجابية خصبة معهم .

نحن لا ندعو إلى ما يسمى بالتسامح أو الاحتمال ، فكلمة "Tolerance" إن جاز استخدامها في القرن السابع عشر وقت كتابة « جون لوك » لرسالته الشهيرة في التسامح لمقاومة « ما ساد » في زمنه من اضطهاد ديني ، فهي لا تعني اليوم غير قلة الاكتراث بين الحقيقة الروحية والخطأ الروحي ، ولا سند لها على الإطلاق من حب الآخرين واحترامهم .

هي كلمة توحي في واقع الأمر بنوع من الاحتقار للدين نفسه . فإن قال لي امرؤ : إنه (يحتملني) فالمؤكد أنه ليس صديقي . وإن قال : إنه (يتسامح مع آرائي) فالمؤكد أنه لا يحترم هذه الآراء . وفي اعتقادي أن من الواجب في زمننا هذا أن يتجاوز المسلمون والمسيحيون الاحتمال والتسامح ، إلى الاعتراف والمعايشة ، مقرين بأن ثراء الروح البشرية والفكر الإنساني هو في الاطلاع على كنه الرؤى المتباينة ، ومحاولة الغوص في أعماقها للاستفادة من الجديد الفريد الإبداعي المتميز فيها ، وبأن معيار رقي الفرد وعظمته الروحية هو مدى فهمه وتوقيره لكل ضروب الفكر التي أسهمت في تشكيل البشرية . □



منتدى العربي

قضية

الغرباء وتنمية التخلف

بقلم : الدكتور عبدالرحمن زكي ابراهيم

« إشكالية التنمية في العالم الثالث ترتبط بعوامل كثيرة ، منها ما هو من تراكم الظروف التاريخية والعوامل الثقافية والاجتماعية ، ومنها ما هو خارجي ، ولكنه يؤثر في تكريس التخلف واستمرار بلدان العالم الثالث في إطار التبعية .

وهذا المقال يناقش قضية دور العامل الخارجي وآثاره الخطيرة » .

نقصد بتنمية التخلف تلك التنمية التابعة المشوهة التي تمت في السنوات الأخيرة ، في غالبية دول العالم الثالث ، والتي كان هدفها الرئيسي اللحاق بمستوى التقدم في الدول الغربية ، وتقليد أساليب الحياة فيها . وسعيا وراء هذا الهدف فقد صيغت جهود التنمية وأولوياتها ، ليس على أساس تحسين مستوى معيشة الإنسان العادي ، بل من أجل تحقيق معدلات عالية لنمو الناتج القومي الإجمالي ، دون الاهتمام بتركيبة هذا الناتج ، ولا بكيفية توزيعه على السكان . وقد كانت النتيجة عدم إمكان تحقيق هذا الهدف أصلا ، مع استئثار فئة قليلة من السكان بثمار تلك الجهود ، ودفع غالبية السكان نحو هامش الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، ولا تستفيد ماديا ولا معنويا من التنمية ، ولا صوت لها في السياسة ، وتزداد فقرا في بلدها الذي يصير مرتعا للاحتكارات الأجنبية ، ولأولئك الذين يدورون في فلكها من ملاك الأراضي وكبار الرأسماليين ورجال الحكم وأدوات القهر .

ونعني بالغرباء عن العالم الثالث الشركات العابرة للقومية والمؤسسات الاقتصادية الدولية . وللغرباء أدوار شديدة التنوع والاختلاف ، فالشركات العابرة للقومية هي نتاج تنظيمي .

للقوانين الأساسية للتطور الرأسمالي في حقبته الراهنة . وقد استدعت هذه القوانين ضرورة جعل العمليات الأساسية للإنتاج وإعادة الانتاج - التراكم وتنظيم مجالات العمل والتسويق والتوزيع - تتم على صعيد عالمي . أما المؤسسات الاقتصادية الدولية - وبخاصة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي - فهي أكثر جماعات الضغط الخارجي تطرفا ، من أجل استمرار تنمية التخلف . وتعكس هذه المؤسسات مصالح الشركات العابرة للقومية من خلال مطالبة الدول النامية بتنفيذ الشروط والضوابط والوصايا التي تكفل تحقيق هذه المصالح حاليا ومستقبلا .

أداة الاستعمار الجديد :

والشركات العابرة للقومية أداة للاستعمار الجديد الذي يمثل عملية الانتقال من الاستعمار القديم بأساليبه الوحشية وغير الاقتصادية إلى أساليب متطورة ، غاية في التعقيد ، في استغلال البلاد النامية ونهبها . وهي أساليب تهدف - كما كان الحال في عصر الاستعمار القديم - إلى العمل على إبقاء هذه البلاد في وضع متخلف ، وتابع ، داخل الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وإبعادها بشتى الوسائل عن انتهاج استراتيجية التنمية المستقلة ، حتى تؤدي المهام نفسها التي أدتها إبان عصر الاستعمار القديم ، وهي أن تكون مصدرا رخيصا للمواد الخام ، وأسواقا واسعة لتصريف المنتجات ، ومجالا خصبا للربح الفاحش الذي يتعدى حدود الشرف والأمانة والتوسط والاعتدال .

وتتنوع صور النشاط الدولي للشركات العابرة للقومية . ويمكن تقسيم هذه الأنشطة إلى صور ترتبط بملكية أصول معينة في البلاد النامية ، كالاستثمار الأجنبي المباشر ، وإلى صور لا تحتوي على عنصر الملكية ولا ترتبط به ، مثل عقود الخدمات في مجالي النفط والتعدين ، وعقود الإدارة والترخيصات والاستشارات الهندسية . على أن الأنشطة غير المرتبطة بالملكية التي تؤدي إلى تراكم نفوذ هذه الشركات وقدرتها في الحصول على الأرباح والنمو قد تعددت إلى حد كبير ، وزادت أهميتها الاستراتيجية .

الاستثمارات والقروض الأجنبية :

تسيطر الشركات العابرة للقومية على حركة الاستثمار ، وعلى المصارف الكبرى ، وإمكانية الاقتراض من السوق العالمي ، والتي لها قولها فيما تمنحه الحكومات الغربية لهذه الدولة أو تلك من قروض . وكقاعدة عامة لا يقبل رأس المال الأجنبي على الاستثمار في الدول النامية إلا إذا حصل على مزايا وشروط غير عادية تفوق بشكل واضح ، معدلات الربح التي يحصل عليها في البلدان الرأسمالية المتقدمة . وهذا شرط متوافر ، حيث تعطى تسهيلات ومزايا خاصة للمستثمرين الأجانب ، تتمثل في منح الإعفاءات الضريبية ، وتخفيف الرسوم



الجمركية على بعض الواردات . وهذه أشبه ما تكون بهبات ، يقابلها ضياع موارد محتملة ، أو ابتلاع موارد حكومية ، كان من الممكن استخدامها في أغراض أخرى ، تفيد التنمية المحلية . ومادام القصد من الاستثمار الأجنبي هو الحصول على الأرباح والعوائد الأخرى للاستثمار ، ونقلها إلى الخارج ، فإن الأثر الصافي على موازين مدفوعات البلاد النامية المضيفة ـ عادة ـ ما يكون سالبا . ويعني ذلك أن هناك عملية دائمة للإنقاص من قاعدة الموارد القومية ، وبالتالي الخصم من الطاقة الاقتصادية للدولة النامية المضيفة .

والاختيار الاستراتيجي للتحالف مع الشركات العابرة للقومية يجبر الدول النامية على الدخول في مرحلة توسع رهيبة في الاستثمار ، تتركز في قطاع البنية الأساسية ، بقصد اكتساب رضا هذه الشركات وإغرائها . ويعمل هذا التحالف بصورة مطردة على زيادة تفريغ السيادة الاقتصادية للدول النامية من مغزاها ومحتواها العملي . وبالتالي تجد الدولة أن معايير الاقتصاد الدولي هي التي تصبح أكثر فعالية من المعايير القومية ، في تحريك الموارد المحلية . ومن ناحية أخرى تتميز الدول التي تستقطب استثمارات الشركات العابرة للقومية بمستوى شديد الارتفاع من عدم المساواة ، ومن عدم التكافؤ في مستويات النمو بين المناطق والأقاليم . وهذه أمور تدفع نحو التحلل القومي .

والبلاد الأكثر إثارة لاهتمام الشركات العابرة للقومية هي نفسها تلك البلاد التي تمثل مواقع أمامية في مديونية العالم الثالث ، وهي نفسها الأكثر مسئولية من تجارة العالم الثالث الاجمالية مع بقية مناطق العالم . ولقد أثبتت التجارب التاريخية أن تزايد الاعتماد على التمويل الأجنبي ، وما يترتب عنه من تزايد للمديونية الخارجية ، يؤدي إلى إحكام طوق التبعية للخارج بشكل متزايد . ذلك أنه في ظل المديونية الخارجية تصبح البلاد مجبرة على أن تحول بشكل منتظم أجزاء محسوسة من ناتجها القومي وفاء لالتزاماتها الخارجية . ومن ناحية أخرى أدت المديونية الخارجية المتزايدة إلى توسيع نطاق التعامل الخارجي في مجال التجارة الخارجية مع الدول التي قدمت لها الديون . كذلك فإن إتاحة التمويل الأجنبي يلعب في أحيان كثيرة دورا حاسما في اختيار مشروعات التنمية ، حيث يجري إعطاء أولوية للمشروعات التي يتوافر لها تمويل أجنبي . ويعني ذلك أن أولويات التنمية لا تتحدد وطنيا في ضوء الاحتياجات الحقيقية للتنمية المستقلة ، وإنما تتحدد خارجيا بما تمنحه هذه الدولة أو تلك من تمويل ، مما لا بد أن يؤدي إلى تشويه التنمية واختلالها وتعثرها .

التبعية التقنية :

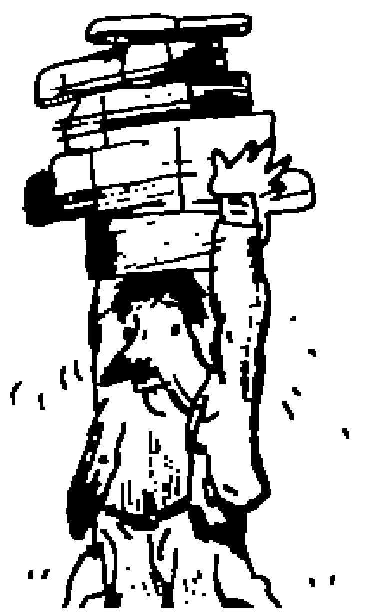
ويرتبط الاعتماد المتزايد على التمويل الأجنبي بمظهر ثان للتبعية ، وهو التبعية التقنية ، فمفتاح التقنية بيد الشركات العابرة للقومية ، فهي التي تركز التطور التقني في قبضتها ، وعلى الدول النامية التي ترغب في نقل التقنية أن تدفع الثمن الباهظ ، من أجل استيراد آلات ومعدات مرتفعة التكاليف وباهظة التشغيل ، وباهظة الصيانة ، وأقل وفاء لتحقيق الغرض الاجتماعي المنشود . كما يؤدي الاعتماد المتزايد على استيراد التقنية الغربية إلى تصفية التقنية المحلية ، واستخدام أساليب قد لا تتواءم مع الظروف المحلية والسعي لاستجلاب الخبرة الأجنبية في كل صغيرة وكبيرة ، وإهمال الخبرات المحلية على نحو يفاقم ظاهرة هجرة العقول . وكم من خبير من أبناء العالم الثالث يحضر إلى منطقته المتخلفة التي نشأ فيها متحدثا باسم شركة عالمية ، حاملا جواز سفر أمريكيا .

والتقنية في نظر الشركات العابرة للقومية ليست قوة لازمة للمساعدة في حل المشكلات

القومية المحلية ، فقد دأبت هذه الشركات على اختيار الفنون الانتاجية التي تمكنها من تحقيق هدفها الأساسي ، وهو مضاعفة الربح . وتلك الفنون عادة ما تكون مكلفة لرأس المال . وهذا النوع من الفنون ذو قدرة محدودة في المساهمة في حل مشكلات البطالة في البلدان النامية التي تتميز بوفرة عنصر العمل فيها .

خلق نطاق الاستهلاك وتوسيعه :

وهناك نمط خاص من السيطرة غير المباشرة ، تتمتع به الشركات العابرة للقومية ، ويمكنها من التلاعب بالأوضاع الثقافية للبلد المستورد للتقنية ، ويمكن تسميته السيطرة من خلال التحكم في « سيكولوجية » الاستهلاك . ولا تفتقر هذه الشركات إلى أساليب خلق نطاق الاستهلاك وتوسيعه ، فقد تطور لهذا الهدف فرع كامل من البحوث في مجال تقنية التلاعب « بسيكولوجية » الاستهلاك ، تمكن من مواءمة الطلب لخصائص المنتج المطلوب تسويقه ، لا العكس . ونتيجة لذلك استطاعت هذه الشركات ـ من خلال وسائل الإعلام ـ أن تخلق طلبا ليست هناك حاجة إلى إشباعه . ولك أن تلقي نظرة على إعلانات التلفاز في البلاد الرأسمالية والنامية ، فسوف تجد عملية ناجحة لخلق طلب بغير احتياج إلى إشباع في سوق لم تعد لها نظرية ولم يبق لها قانون .



وهذه العملية نفسها تحمل معها أنماطا للتفكير والقيم والسلوك ـ تطورت في المجتمعات الغربية ـ إلى مجتمعات العالم الثالث ، بغض النظر عن إنسانيتها أو شيوع قبولها اجتماعيا . ففي بلدان العالم الثالث تتبنى الأقلية الغنية ـ المرتبطة بالمشروعات الأجنبية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، بل وحضاريا ـ أنماط الاستهلاك والسلوك السائد في الدول الرأسمالية المتقدمة ، فتدفع الطبقات الوسطى والدولة والمجتمع كله باتجاه استهلاكي ، يبدد كل فائض ، يتبقى بعد تحويل أرباح الشركات الأجنبية وفوائد أقساط الديون . وهكذا تتضاءل المدخرات المحلية ، ويزداد عجز الاقتصاد القومي عن الاعتماد على الذات . كما أن هذا النهم الاستهلاكي يلهب القيم الخلقية ، ويفتح المجال واسعا أمام الرشوة والفساد والدعارة ، وما إلى ذلك .

مطالب صندوق النقد الدولي :

وتأتي الضغوط الخارجية لتعزيز الاتجاه نحو تدعيم تنمية التخلف ، عن طريق تركيز المؤسسات الاقتصادية الدولية ، لا سيما صندوق النقد الدولي على برامج التأقلم . وتملي هذه البرامج إجراءات تحقق تدويلا متزايدا للاقتصاد المحلي ، تحت غطاء استعادة التوازن في هذا الاقتصاد . وهذه الإجراءات تضمن أن يتم تحديد اختيارات البلد الاقتصادية بالأسواق الأجنبية والمصارف الأجنبية ووكالات التنمية الأجنبية التي تعارض عادة احتياجات البلد المحلية . ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أهم الملامح التي يطلب صندوق النقد الدولي من الدول النامية تنفيذها ، وهي :

(١) تشجيع الاستثمارات الخاصة

الأجنبية ، وذلك عن طريق خلق مناخ استثماري ملائم ، وحصولها على موارد الطاقة والأراضي والمواد الخام بأسعار رخيصة ، والسماح لها بحرية تحويل أرباحها للخارج ، وتصفية أعمالها في أي وقت تشاء .

(٢) تحويل كثير من الشركات والهيئات والنشاطات العائدة للقطاع العام إلى القطاع الخاص .

(٣) تخفيض القيمة الخارجية للعملة الوطنية ، وإقامة ما يسمى السوق التجارية للنقد الأجنبي ، وإلغاء الرقابة على الصرف ، وإباحة حيازة النقد الأجنبي للأفراد والهيئات خارج القطاع العام .

(٤) إلغاء الدعم السلعي الموجه للمواد التموينية التي يستهلكها الفقراء ومحدودو الدخل ، وإطلاق تحديد أسعارها طبقا للكلفة الاقتصادية .

(٥) زيادة الضرائب على السلع والخدمات .

(٦) زيادة أسعار الفائدة المدينة والدائنة .

(٧) تخفيض حجم التوظيف الحكومي وتجميد الأجور .

وليس يخفى أن البلاد النامية التي ترضخ لهذه المطالب ، عليها أن تقبل بالإدارة الخارجية المباشرة لاقتصادياتها ، ليس فقط لضمان تسديد ديونها ، بل ولضمان بقائها خاضعة لشروط عمل الرأسمالية على النطاق العالمي ، وتشديد استغلالها .

ومن ناحية أخرى فإن التطبيق العملي لهذه المطالب قد تمخض عن نتائج بالغة الخطورة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في البلاد التي قبلت هذا الوضع . فقد زادت الأحوال الاقتصادية سوءاً ، وتراجع النمو الاقتصادي ، وتعطلت الطاقات الإنتاجية عن الدوران . ولم يهبط العجز في ميزان المدفوعات ، ولم ينخفض الميل للاستدانة ، ولم ينعش الاقتصاد الخاص الأجنبي الاقتصاد المحلي . كما ظل التضخم بارتفاع مستمر ، وأهملت الاحتياجات الأساسية للمواطنين ، وزادت بطالتهم ، واتسعت الفروق بين الطبقات ، لا سيما بين الأقلية الغنية وأغلب السكان الذين يتدهور مستوى معيشتهم تحت التأثير المزدوج لجمود التنمية وارتفاع الأسعار. □

هـل تعـلم ؟

● أنه يوجد في أذربيجان السوفياتية التي يقارب عدد سكانها خمسة ملايين نسمة أكثر من ألف وثمانمائة دار سينمائية وجهاز عرض ، منها ألف ومئتان في المناطق الريفية .

● أنه عند الاحتفال بعقد الزواج لدى قبائل الزولو من الزنوج في افريقيا يقسم العريس أمام عروسه على مشهد من الحاضرين قائلا : لينزف الدم من كل عرق من عروق جسمي ، ولتفترسني التماسيح ، ولتمزقني الصاعقة إلى شطرين ، ولتحل علي كل المصائب والنوائب ، إن كنت أخون يوما زوجتي ، ولا أكون وفيا لها !



صدر العدد الجديد



العربي الصغير

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

رئيس التحرير د. محمد الرميحي



[illegible]

[illegible]

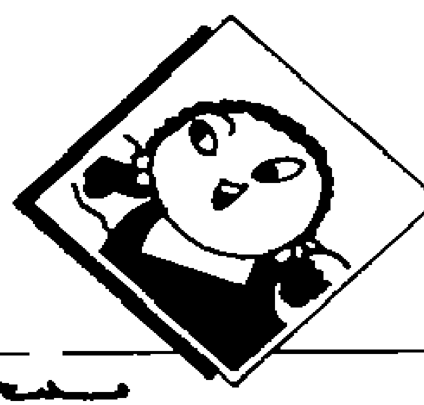
في هذا العدد

- استطلاع عن صناعة الحلوى في البحرين
- الشرطي الصغير: موضوع علمي
- همام: مسلسل بالرسوم
- د. [illegible]
- مسلسل عن [illegible]
- قصة بالرسوم (أم محمود الفلسطيني)



صفحات [illegible] الثابتة

- مسابقات
- كمبيوتر
- ٨ صفحات [illegible] الصغير
- معارف العربي الصغير



صفحة مسابقة العدد ٤٤

قصة مترجمة

الريح الموسمية

تألف سب سو ن
ترجمه هر سمو ومه

طلب مي لسب على محمد
لقصه لعر لسا حو
ني مص لسد للهب لسمس
لمصر سه سحا كه على صمحه لسا
لصعط لمكا سحب
سحا لحر خطوطها لكسه حلف
لها محمد لك فأ سد سحس
لصمه لا لي ف سالي
سو لمر لصحو لفرصه عد لمر
سرحا هو حلها لمهر لس لسا لمر من
للنو في لصسه
سگ هل لنحك ساي نعلمه لصدمه
مسكه
لاساي علمه لوحده مطلب دب كرومي
ي هله هي لمر لنا لي نأس فيها لي هنا
مصص حطر لنا لمحرسي بهذه لأمو سه
حيال بلك لاتعرض حوي مبر حال
يوجب على هسم عاصه فالله ذلك لك
على كل حا

كليا سمه حلو طمعا
حمعا نكيا صعمر
طر بصا على عصا بكيا لطمه
لمعلمه على مسها هو عطو لنأكد لحصو
على مهر لكمر بي مي محد محسب هل
عمد لمحمس لس لمر
لمو بمسه لذي على منه حو
بي حا مساعدك لكي
يحي لسيا لاتحمل حك بعلم بي حمرك
لب كومي
لي كو سحمه لي هد لحد هل سمحس
لانصر لا عدي سا عصل عملها
مي سمع لي لك
عندما هب لمر يح على لحصه
علمت لعا لنا مكلف عليه لاهمه عر
للموع لوحه لأسي لحسها في مكا حلها
كأك مطرقه صعمر بهسم مسكل بك عظمه
لسعادة التي حرمها لعام لماضي محمر عمر
عر في علها على عو سبك محلها

* لف ب سو في كولومبو سيلان لا سيرلانكا علم كا صحمه سطله سر لعدد من
القصص القصير القصائد كالا صب كتاباتها لمحلية في البرامج الاتعليمية لا عد في سيرلانكا

شجر لقمر سحر من فصيلة لحر عمار كبير مستعمل على لب سوي مستعمل كالخبز

ععصب عسها سرجع كر لو لد
لعه ق سب للدها كا ها سمسا
ح حسب عب لها نطى لرح
على لاصرح من لولد على سسدعي
حوى
كا معاجه كا عسط سعرها
لعاجم لطويل على لسرعه لحامه عد عر
حبها لصعرى لد حا
على لطرس مع لحاله عر
من سها لسحمه عد عرف
عر من نكو عساعب بصا عليها
حلب مها مسرعه لرى عصل على
للدنيا سوى سعرها سيا عد لدها من
لحعو للعا حرجب له هيا بعد حسه
حسا مطمه حي معا

بعد لك حلسب هناك نطر له بعس
ماحصه مد عسرين دعمه حد كر لا
سيا ح سحلب لى لدنيا

لم يكن معه مجال للإسرع سو عرسها عما بكعي
كانب معه حد ى حيها كا حل عرس عرفه
لعر عد سس حرعب معطمه لسب هدب
كوجهه موهه من لحسن للون اب و ب
من لعطه الأسر سوحرب من لصمعى لدى
سكو على مساعه لمهال من السب حولب هده
لاعطه طب لمرل لى ملاط ماسع لساعي حوب
لموسما عبر موق مسب على سطح لسب معطه
لحلب السعد ب لمولد لمريه ملأ ها الحب
الهال للحم لعرى لملون كانب عليه عد ما
لي دعب إلى ملى لدها من على لصوف عملو
سحا صب كوحبي عدها ماتها عطهرب في
ح عدها لرعاف كعرس مركبر صسم لسدو كرسمه
السلوير لرقصه ارتفعب عدما طب إيهامها

لسرى مع بها حوى بحط حرى صب
لحلب موهه من معى كر ساله
لحط حد لك هوى حد لى
لا للا

عصا سهر لعسل ق لاسرحه عصا
سا لحمله لكر حي حسد بكى حد
حلها لا معالد لعر بعصى معها
بعص لا لاحا لى بعص على
كل سى كا حسا سهر لعسل حعا لك
على سطلما ها حعر لى سها لحمص
كا بعسد من حل سها لحمص من حل
لكسر عا حوى نكو طو لو بعد ق
مدعه لد كا عد عد حع معد
حه لاكل هى حالسه مر حعر معا
بعد كا عرحا معا ق صو لحو لحاف
سعا مد لربح موى حعو لا عا
عص لرها موق سحر لكو سا سعد
طيلا لا من نكو سعد لاحاحه للكلا
سعد عن لنا حعر لعب لى لطبح
كانب قد سسب بعرص لا صه للمحا سعد
لوجه لصباح لسالله صرمب لنا في لمدعا
حا لب سحل من كانب تلك لمر لى
سه كانب قد حربها لحعو بكل سي على
لرعم من سستها مركب حو سي من لعمه في
كلامها سمعب لاسم من قبل عد سر الاسحام
او في سامه لسوق كلها كانب حقرب كلف اللعو
سوعب معا

لم يكن بصر طلب لي سا لكنها لان نهب
كل سي كانب لعسو قد حكب لها ان حوريك
لي كانا حبيبين كان لك حرلا سريا ويكانا
سساعد ن علنا معا في للبالل التي يكون القمر فيها
بدر مرب لمير في حد للسحاب هناك أو على

---

٢ حرطه للروح مسم للسيله كان للعمور سعملونه لكلف للطوابع

(٣) السالوي موب لرمشه السوية للعموسيات مؤلف من يضع بلوطات من السوع الراس يلف حا الحسم يحيب
سسكل أحد طرفه سر ٥ ويسكل لآخر صنكه للراس أو الكتف

لسسل لوى لى لعدد كا لد لى عسم لعر من طلعه عل من حو ى بعد حا عندما كسف عصبها لعر مه لعمعه عاف لى بصر مه فرص علها لاقامه لخمر ى لسب عسم لدى حو ى مهد معو ف حمه بطو عصبها

حر معا صا حرى ماسر لعر به حو ى حد بو مسو حلا بلا سهو حو ى من كومي

هرب ل لو بصه لدى حو بكومى لى سه عر سا عسم صد عد سه حد صه سمها بحصو

سرعت كومي عل بحو لى بعل عد لما سحل لطلعه سا لب عن مكا لعن ما عسب ملك لعرسه عندما فالب حد محسب كا سه حيال با حو ى ما ح ملمى لى عا معاها حلله ى عس حب سرى حا ح لعر كانب سه ملك لا للبالى لي بسافر فيها حا ح لعر لكن من لوصع بها للعمل عب بكون سطاعتها عا طرسه لاكتساف لحصه

كانب مسعوله بطبع وحسه لعسا وعملها ما ل مسوصا عندما صحم أمكا ها صوت حوري لمادى وحطوته لحصيه قال

« السيها لحوله محسب حملها ى القريه هل برعبين عساعده عرص هده لليله ؟

أجابت بصور « لا أسعر بالرحه لكافيه عا محصل ملك ى يوم آخر

« يجب أن أذهب إلى كوليمو عد سسرى بضائع للصدق »

لم تجب مكوب يالسة بأنه ملعب إليها مل إنه كاذهب إليها !

بعد ربحوبه واكلا ثيابها بوابها يرعى [illegible] الأيام بسبب [illegible] إن [illegible] ... [illegible] ... بعد [illegible] الشاي [illegible] الغسي

عد لاكه ب ى حو ى عه سر عا له عمص مكا سا لب ى بعسها عبا سحد بعد بسطيع حعا بو هل سرعم عل كه حسد حع ها حا مهر مه لعد لى ها سحر عل محد للب سحب لحلفا لعمه للعروبين للس سر لاساعا معلله للب لمرص ى لد علو صدها ها عن بعد حد كومها حد

حمر عد حو ى عصا محدبها عاصا عسب عرف بلب صبحب سحصه عمله كلما لا عسى حدث لى لطب كلا كلا حو ى عا حرس حد سيا كب عا

سرب سا سعا بلب بعى لكمر لى عر ى سأحصر لك عمه

صلب لرعه كا سمها لبلى سلع من لعمر عسر سنوت لكنها بعد صحه لسه لعمرها حلب كومي فيها محسه عظيمه لها ي سو لعمل لوصى لر سي

ى سهر سباط صبحب لعر لاطلاق عطلب لا ص لحافه سبب لمحاصيل حصب لأنا ي كل مسا بعوم لسا عل سكل بل طويل برحله إلى لبير لحلب لما عب كومي لسو للوى بعدد عرح وهي حمال سلورص لمحموله عل ووسهن أو حوصي لم بر لاكثا حين لذلك كانب بذهب مع ليلى بعد أي عل لظلام عندما يكون هناك كانب ستذكر ن آ لبى صاحب لماه حو ى عحاقه لبير ورعا ي لوضع عسه حيث برك الل اصدر فاصبح كرهها لا لبى حطير

عب الريح لموسميه محملعة مماطر عندما عدب طر ى أسوأ درجاتها ساعدت كومي لسحاب الكثيف يتكوم بشكل حمل فوق بمضه وأصبح الكوخ داخلها مصدر جذب سديد لها وحب بالمواسم مد كانب طفله كان حو ى عاقا من



حلند كانت معرض سكرها للل كا لصحب
مرعحا لمو لعل ق لمسا عحما
كومي ليل

عسا حل سحل لمصاح هل سمعه
عد من بعد سصبح عاصمه سه
هطل لمطر بعد عد ها صلما كا
سمعد للو حد ساعط حلا
ها معصب عد لم لمر لمسعب مو على
لموعد كا صو بح موعد سا مو
سر كومي لصط من سو حد ق لسطح
لمسعوف لمس

صرحت بصو على من لعاصمه
لمل حصرى للملو سرعه
صاحب لسعوف حلا مر مصبر ما عما
في حا لمرل لاحصا عه سمع للها لمسر
من لمسحل ملحب للسر لمل
لسطبي سطر مرب لمدما حي محمد لعاصمه
سي حد مصدع سحر كا على
سمعى معه مرع على للب
لاعكن نكو حو ي لا سوقع حصو
حي لعد



لاتصحي لنا ناكومي من مو
بيا لعما ب عنى حا ح كا ها ق لمله
كهد

سحر لمرع معصب عد لك حلب
كومي لمصاح تكلمت ما

ع ملح عجب ى من نكو
حلب لمل لى لو ما بها كومي
حل لمصاح من حاح كلنا لمد لمعالحه
لنا عجب ها عند مسكا
معا نحل عد لنا على معصله معموحا
مع لمطر نعصف على حبهها للحطه
سي لكن سمه لمصاح سبب حبها بحملا لا
كا لبها من قلب لعاصمه عمر عصلبها
مصص لمر لمر حو عد لمعا ق مل
عد للبلله لكن مل سمكن من علاق لنا
به مسب لمر صطر لدحو
سحب

نحن لسبا صحيي لما ى حب ل
لدى لكه طر بي لا حد من عرف سو بي
حيد كر حو ى قد ح ب حبه
لسي كذلك عا لم نكن حا ن لى هنا لكن
لسي لدى لمو لا هب بعد من لك

مصا ل صوبها كسر عندما قالت كلماتها لأخير
ما صدث كومي لقب بعصف موجه لعاصمه
لما كب مرلاح لسب سند ب سحو لمر
لمسلعه على لا صبه عرف من نكو حلال
لحظه عصاحب

ما سحك لى لسي كذلك هل
عكمي سال بن حي
حل ؟ هل لسي هنا هل حطاب لسب ؟
لألم لعد ها ماسه من عصلك
لاحطر بي

حب كومي برهه برقص من لعصب ثم ب
ماسك لمر صرحت ماسحال
بالطبل ساعطيني في إ حال لمر لمل عرمه لموم

يجب أن نجفف ثيابها حالا . لا وقت لدينا لنضيعه » .

لم تعرف كوفيني قط - على وجه الدقة - كيفية خروجها في ظلام العاصفة الهوجاء إلى بيت القابلة .

في الخارج ، عبر الليل الشاسع اللامحدود ، ضربتها العوامل الجوية الغاضبة المزمجرة من كل جانب . كانت زعقات الريح وقرقعة الرعد والاندفاع القارص للمطر شبيهة بأصوات ألف عفريت تراءى لها ، وكأنهم يطاردونها ويسخرون منها عندما كانت تركض متعثرة ببركات المطر المتصلة تحت جنح الوهج الباهت لمشعلها الذي شق طريقا ضبابيا أمامها .

لكنها تابعت طريقها منهكة . كانت تتشنج من الجهد ومن الإمساك بإحكام بساريها الليل عندما كانت تهب عليه الريح . أخيرا وصلت إلى هناك ، فأخذت تصعد درجات الشرفة وتخربش على الباب وتئن كمعتوه .

« دعيني أدخل ، دعيني أدخل ، دعيني أدخل ، »

ولدت آزلين طفلة لكنها سرعان ماماتت . حصل ذلك حينما هدأت العاصفة تماما ، ساعة انبثاق الفجر الرمادي الكئيب .

أرضعت القابلة وكوفيني التي بكت . قالت القابلة :

« بللت ملبوسي . كانت منقوصة التغذية وهزيلة جدا بحيث لم تستطع الصمود أمام عذاب المخاض . ومن ثم كل تلك الفضيحة ! ترى من سيأخذ الطفلة ؟ أعرف أن والدها لن يفعل ذلك . لم يسامحها قط لفرارها مع ليونوريو » .

اندهشت كوفيني :

« ليونوريو ؟ من يكون ؟

« لماذا ، ألم تعرفي ؟ أوه لقد نسيت.قدمت حديثا إلى هنا . كان ليونوريو حامي عاهرات القرية.بهيمة جلفا في صورة إنسان . لاأحد يدرك تماما ما الذي جعلها تهرب معه . كان والدها على ما أظن صارما للغاية معها بعد أن ماتت أمها.كان قد أعد خطة مفصلة لتزويجها من رجل أعمال ثري يبلغ عمره ضعفي عمرها تقريبا . على كل حال ، الشيء التالي الذي سمعناه هو أن ليونوريو طعن بسكين حتى الموت خلال شجار . لم تكن ثمة أخبار عن آزلين . من الغرابة أن ترجع إلى قريتها لتموت .

بعد أن قدم رجال الشرطة وأخذوا الجثة والطفلة بعيدا ، وقفت كوفيني عند الباب المفتوح تنتظر رجوع جوزي . كانت عيناها ماتزالان مبللتين . انهمر المطر ثانية ، لكن الشمس كانت تشعشع عبر رذاذه . فكرت « إنها شمسي وشمس جوزي . كم حجبت ضياءها بالغيرة التي أكلت قلبي . يا لآزلين الميتة المسكينة ! إنه لمن دواعي سروري أن بيتي كان مأواها الأخير . ربما إذا وافق جوزي نستطيع تبني الطفلة التي لن يطالب بها أحد » . □



هل تعلم :

● ان المصريون كانوا يصبغون الزجاج منذ ٨٠٠٠ عام ؟

● أن أكبر ناقوس في العالم يوجد في موسكو ، إذ يبلغ زنته ٢٢٠ طنا . وقد صنع في سنة ١٧٣٤ ، لكي يقام على الكرملين ، فسقط وقت وضعه ، وبقي في مكانه إلى الآن ؟

● أن العبقري قلما يكون أكبر إخوته ، وقلما يكون ابنا لأبوين صغيرين في السن ؟

تمرُّ القوافل

شعر : محمود مفلح



وحين بدأتَ الكتابةَ ،
قالوا : توهمتَ ،
ما أنتَ إلا ضجيجُ السَّفَر
وما أنتَ إلا غبارُ الزمانِ ، الزمانِ الحَجَر
وما أنتَ إلا ! !
وليلى التي كنتَ في مقلتيها تحمي عصافيرَ شعرك ،
« وليلى » التي كنت - حين التراشق بين القبائل - تأوي إليها
وتمنحُهَا بعضَ خبز الطريقِ ، وتمنحُهَا ضوءَ ذاك القَمَر
« وليلى » التي كنت . . .
ضاقتْ بكلِّ العصافير كلِّ المواعيدِ ، كلِّ البطاقاتِ
كلِّ الصُّوَر
وها هي تضحكُ ضحكاً سخياً
تلوحُ من شُرْفَةِ البحر
والموجُ يوشكُ أنْ يعتليكَ ،
وليس وراءك إلا النصالُ
وليس أمامَك إلا الرمالُ
وإلا الطريقُ ، الطريقُ الخَطَر

□□□

وما زلتَ تكتبُ عن زرقةِ الماءِ
تذرفُ زيتاً بقنديلِ « عكَّا »
تخبِّيءُ « بيروتَ » بين الضلوع
وما زلتَ تبحثُ عن سَمَكٍ للعشاءِ اللذيذ
تقدم « للأرنباتِ » الصغيرة أحلى الكلامِ ،
وتحكي عن الموسم المنتظر .
تنمقُ هذا الكلامَ الجديدَ أمامَ الذين يموتون صبراً
وتصنعُ لؤلؤةً للعيونِ التي غارَ في محجريْها البصر
وما زلت يا أيها البهلوان الجديدُ
تراقصُ حيَّاتِكَ « الرائعاتِ » وتُخرجُ من كُمِّكَ المُترَهِّلِ بطاً
وتستنبتُ القمحَ في الماءِ
تزرعُ في كلِّ جرحٍ قمر
وما زلتَ تشعلُ جمرَ العشيةِ
تبتلعُ النَّصْلَ ، لتخرجَ بيضاً ولوزاً
وحولَكَ يضحكُ هذا الترابُ ، الترابُ ، البَشَر .



لقد بدأ النومُ
كل اللذين أمامَك في حلمِهمْ يغرقون
فعولن فعولن فعولن فعول
ولكنه الوقت كالسيف
والسيفُ أهونُ ما يُشْهِرُون .

□□□

وعند المساءِ
تعودُ وحيداً
وكالنهرِ في آخرِ الصيفِ
كالقاربِ المترنحِ بينَ الصخورِ
ويصهلُ فيكَ الصهيلُ
وتعلمُ أنك وحدَكَ بينَ الصراخِ وبينَ الصَّدَى
وتشتاقُ ظَهْرَكَ كُلُّ المُدَى ! !
تَضُمُّ الجناحين خوفَ العواصفِ
تأوي إلى شارعٍ جانبيٍّ ، وتشربُ شيئاً من الخوفِ
في عتمةِ القلبِ تهزجُ « بيسان »
تمتدُّ فيكَ الجراحُ
وتنهضُ كُلُّ المُدُنِ كُلُّ المساكنِ مغسولةٌ بالمَطَر
ويمتدُّ ذاكَ الطريقُ الطويلُ
يطولُ الطريقُ الطريقُ القَذِر
وتصرخُ أينَ الزمانُ المضيءُ ؟
وأينَ زمانُ المناهلِ ؟ أينَ الضفافُ السخيةُ بالمطر ؟
أين ارتعاشاتُ ذاكَ الوَتَر ؟ !

□□□

تَمُرُّ القوافلُ قُرْبَكَ
تُلقي عليكَ السلامَ وبعضَ الطعامِ وتمضي
تعودُ القوافلُ تُلقي عليكَ الطعامَ وبعض السلام وتمضي
تَمُرُّ القوافلُ تلقي عليكَ السهام وتمضي
تَمُرُّ ، تَمُرُّ
فلا من سلامٍ ولا من طعامٍ
ولا من حجـــــر

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الطاقة النووية والاندماجية بين الحرارة والبرودة

من المعروف أن هناك قنابل ذرية وقنابل نووية (هيدروجينية) ، وأن قوة تفجير القنابل النووية أكبر وأضخم من قوة تفجير القنابل الذرية ، وقد نجح العلماء في السيطرة على الطاقة الذرية ، وهي التي يتم توليدها بتحطيم الذرات أو انشطارها ، ولكنهم لمّا ينجحوا بعد في السيطرة على الطاقة النووية ، وهي التي يتم توليدها باندماج الذرات لا بانشطارها . ولا عجب في عدم نجاحهم هذا ، فهم يحاولون توليد الطاقة بالطريقة التي يتم توليدها بها في الشمس وفي سائر نجوم السماء ، ولو نجحوا لكان في ذلك بداية عهد جديد من حياة البشرية على سطح البسيطة ، عهد طاقة رخيصة نظيفة لا متناهية ، وحسبك أن المفاعلات النووية المرتقبة سيكون في مقدورها توليد الطاقة التي تحتاجها مدينة نيويورك طوال يوم أو يومين على سبيل المثال ، من كوب ماء من البحر ، وذلك بتكاليف زهيدة ، وبدون أي تلويث .

ومضى العلماء يبذلون الجهود ، ويسعون إلى تحقيق تلك الأماني التي بدت في أول الأمر كالأحلام . وما أسرع ما ظهرت المنافسة في هذا الميدان بين الولايات المتحدة من جهة وبين دول غرب أوربا من جهة ثانية (فرنسا والمانيا على وجه التحديد) . وما لبثت جهود العلماء الأمريكيين أن تفوقت قليلا أو كثيرا عن جهود العلماء الأوربيين ، ذلك أن بيت القصيد في تلك المحاولات جميعها هو المال ، فتوليد الطاقة الاندماجية يشترط حرارة فائقة ـ (١٠٠) مليون درجة مئوية ـ وتوليد هذه الحرارة الخيالية يتطلب أوعية تستطيع احتواء تلك الحرارة دون أن تذوب وتتلاشى ، ولم يجد العلماء مناصا من الاعتماد على المجالات المغناطيسية ، لتقوم بمهمة الوعاء لتلك الحرارة الجهنمية ، ولم يجدوا مفرا من الإفادة من أشعة ليزر في هذا الصدد . ولا يخفى أن هذا وذاك يكلفان أموالا باهظة .

وتركزت جهود العلماء الامريكيين فيما يسمى جهاز أو مفاعل « توكاماك » الذي أقاموه في جامعة برنستون ، والذي بدأ تشغيله سنة ١٩٨٢ . لقد بلغت تكاليف « توكاماك » هذا ٣١٤ مليون دولار ، وبلغت الحرارة التي يستطيع توليدها (٣٠٠) مليون درجة مئوية .

أما جهود العلماء الاوربيين ـ وهي جهود مشتركة ـ فقد اتخذت لها مركزا في مدينة « كلهام » في بريطانيا ، وتكللت بمفاعل تورس (TORUS) الكبير الشبيه بالجهاز الأمريكي « توكاماك » .

على أن الفاعلين ما زالا في منتصف الطريق إن لم نقل في أوله . إذ أن الطاقة التي يولدانها ما زالت أقل بكثير من الطاقة التي ينفقانها . إلا أنهما اقتربا كثيرا من نقطة التعادل بين الطاقتين . ولا يدري أحد متى يحققان الغاية المرجوة من الطاقة الاندماجية ، وهي توليد مقادير هائلة من الطاقة ، بمقادير ضئيلة منها . وبدت هذه الغاية بعيدة جدا للكثيرين ، وبدت خيالية وأقرب إلى الأحلام في نظر السياسيين . من هنا كان موقف الكونجرس السلبي من هذه الجهود ، فقد امتنع عن رصد المخصصات اللازمة أو الكافية للتقدم في هذا السبيل لتوليد الطاقة الاندماجية .

□□□

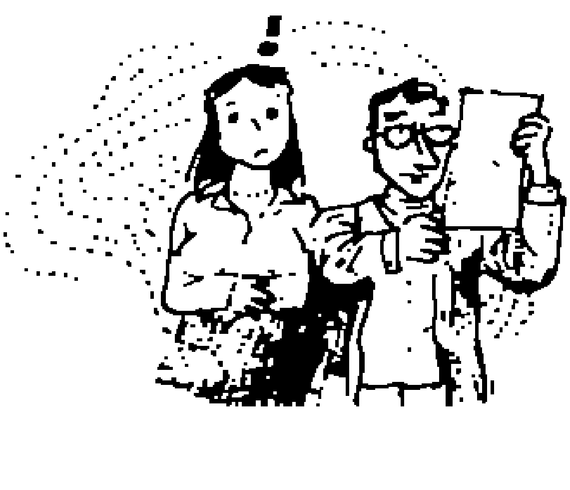
ألياف نباتية تخفض نسبة الكوليسترول

تكاثرت في السنوات الأخيرة المستحضرات الخاصة بالحد من نسبة الكوليسترول في الدم . وقد تحدثنا في الأعداد السابقة عن اللوبيد واللوفاستاتين وغيرهما ، ولم تكد تلك الأعداد تصل إلى قرائنا حتى فاجأتنا أنباء الطب والعلم بخبر اكتشاف علاج آخر جديد للكوليسترول ، اسمه (بسيليوم Psyllium) ، وقوامه ألياف تصنع من قشور البذور والحبوب التي توجد في وجبات الفطور ، والتي تدخل في صنع بعض المسهلات الواسعة الانتشار . وقد دلت التجارب على أن باستطاعة هذه الألياف تخفيض محتويات الكوليسترول في الدم بنسبة ٤،٨٪ . وكذلك تخفيض محتويات الليبوبروتين الخبيث (بالمقارنة مع الليبوبروتين الطيب) بنسبة ٨،٨٪ . أما الجهة التي أجرت هذه التجارب فجامعة مينسوتا بالتعاون مع مركز « هنبن » الطبي في « مينا بوليس » في الولايات المتحدة .

□□□

علاج جديد لسرطان الثدي

اكتشف الباحثون في مركز السرطان في متشيغان بأمريكا أن أحد البروتينات الموجودة في خلايا الثدي ، واسمه مماستاتين (mammastatin) يفيد في معالجة سرطان الثدي ، ويساعد على تشخيص هذا المرض الخبيث في وقت مبكر . فقد دلت الأبحاث والتجارب على أن نقصان البروتين المذكور في بعض النساء يجعلهن أكثر عرضة للإصابة بسرطان الثدي ، ذلك أن الخلايا السرطانية تعاني من نقص ما فيها من ماماستاتين .



الكحول بديل جديد لوقود السيارات!

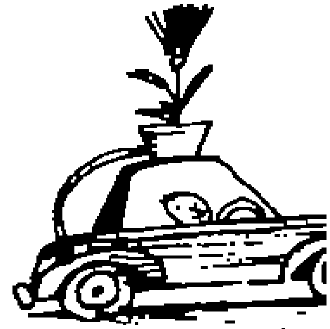
تحظى شؤون البيئة من الرئيس الامريكي بوش اهتماما كبيرا ، وليس أدل على ذلك من قانون الهواء النقي الذي أصدره في شهر (يونيو) حزيران الماضي (١٩٨٩) . ويقضي مشروع القانون الجديد بـألا يقتصر صنع السيارات في أمريكا على إنتاج السيارات المألوفة التي تعتمد البنزين وقودا ، ويفرض على مصانع السيارات الأمريكية ، ككل ، العمل على تطوير السيارات التي تسير بالكحول ، بحيث يصبح باستطاعتها إنتاج مليون سيارة من هذه السيارات سنويا ، وذلك ابتداء من سنة ١٩٩٧ م .

والمقصود هنا السيارات التي تتخذ الايثانول أو الميثانول وقودا أو مصدرا للطاقة التي تسيرها ، فهذان الكحولان ذوا بنية بسيطة التركيبة ، تضمن في الاحتراق شبه الكامل ، إذا كان المحرك سويا ، بحيث لا يخرج من عادم السيارات التي تسير بهما سوى الماء وثاني أكسيد الكربون ، أي أن هذه السيارات الكحولية لا تلوث الجو بمثل الغازات الخانقة والسامة التي تخرج من عوادم سيارات البنزين . والتي عدت عدو البيئة رقم (١) ، بقدر ما ثبتت مسؤوليتها عن الأمطار الحمضية ، وعن تلف الأوزون في طبقات الجو العليا . أضف إلى ذلك أن سيارات البنزين هي التي تلوث الهواء الذي تتنفسه بغاز أول أكسيد الكربون ، وبغاز الأوزون الملوث ، وغير ذلك من عشرات الملوثات الضارة .

والطريف أن الايثانول يستخرج من المحاصيل الزراعية ، فالقمح والذرة وقصب السكر والشمندر تحتوي على الكاربوهيدرات ، وتفرز الايثانول إذا عولجت بالخميرة .

نأتي الآن إلى الجدوى ، فما لم تثبت جدوى الكحول من حيث تكاليف إنتاجه وفاعليته فإنه من الصعب أن يحل محل البنزين ، ويصبح الوقود البديل في المستقبل المنظور ، ذلك أن النظافة أو حماية البيئة وحدها لا تكفي ، ولا بد للايثانول والميثانول أن يثبتا الفاعلية في الأداء ، وعدم الغلاء في الانتاج ، ليصبحا وقود السيارات البديل ، أو المنافس على أقل تقدير .

وأول ما يذكر في هذا الصدد هو أن استخراج الايثانول من المحاصيل الزراعية ذو كلفة عالية ، ويستأثر المزارع بنصيب كبير من تلك التكاليف . وحسبك أن ثلث الأراضي الزراعية في بريطانيا يجب أن تسخر لزراعة



المحاصيل التي تجود بالإيثانول إذا اتجهت الرغبة إلى تعميم هذا الوقود في بلاد الانكليز . أما في الولايات المتحدة فلا مفر من تخصيص ٥٠٠ مليون فدان لزراعة تلك المحاصيل . الأمر الذي قد يغري المزارع الأمريكي من أن يزرعه لأي غرض آخر ، بقصد تحقيق الأمن الغذائي ، ومن حق التصدير . أضف إلى ذلك أن عملية تخمير المحاصيل ، واستخراج الإيثانول منها ، عملية مكلفة أيضاً . وقد توجت الأوساط المعنية بالتقرير الذي وضعه جون مزرو ، الخبير المتخصص في دائرة الطاقة الذرية في بريطانيا . فقد أثبت هذا التقرير الذي صدر سنة ١٩٨٧ أن تكاليف إنتاج الإيثانول من القمح والذرة وما إلى ذلك تبلغ (٣) أضعاف تكاليف إنتاج النفط . فلا عجب إذن أن يتجه المعنيون في بريطانيا وأمريكا وغيرها إلى تقنية جديدة ، تقوم على أسس الهندسة البيولوجية ، وتضمن إنتاج الإيثانول بتكاليف زهيدة ، في الأفق غير البعيد .

وتختلف قصة الميثانول عن قصة الإيثانول اختلافاً كبيراً . فالعقبة ليست في تكاليف إنتاجه . وهي لا تزيد عن (٥٠) سنتاً للبرميل الواحد من الميثانول . إنما العقبة في قلة فاعلية هذا الكحول ، فهي تعادل نصف فاعلية النفط . أضف إلى ذلك أنه لا يصح خلطه مع (البنزين) كما هي الحال مع الإيثانول . والأسوأ من ذلك أن الميثانول سام ، ويسبب تآكل المعادن ، ولا تصلح لتعبئته الأوعية المعدنية العادية المجلفنة . وإذا ما شرب أحد منه فقد يفقد بصره ، أو يصاب بالسرطان .

والميثانول ضار بالبيئة ، سواء كان يتحد من الغاز الطبيعي أو من الفحم الحجري ، فهو يسهم في تفاقم ظاهرة البيت الزجاجي إذا ما جرى استخراجه من الغاز ، ويفرز غاز ثاني أكسيد الكربون بكميات مضاعفة إذا جرى استخراجه من الفحم الحجري .

■ الحوت الأزرق في خطر !

● الحوت الأزرق - أكبر مخلوق عرفته الكرة الأرضية - في سبيله إلى الانقراض . هذا ما كشف عنه تقرير هيئة الدولية لصيد الحيتان ، وقد صدر في أواخر شهر حزيران (٨٩) . فقد قامت هذه الهيئة بعملية مسح شاملة ، شملت شواطئ القارة القطبية الجنوبية ، واستغرقت حوالي (١٠) سنوات ، حتى جاء التقرير الذي تضمن الإحصاءات والنتائج التي تمخضت عنها تلك العملية المطولة . وحسبنا الإشارة إلى أن مجموع الحيتان الزرقاء في إحدى المناطق التي شملها المسح ، لم يتجاوز ٤٥٣ حوتاً . وطالما أكدت التقديرات بأن عدد الحيتان فيها لا يقل عن (٤٠٠٠) حوت .



مئة وعشرون عاماً على افتتاح

قناة السويس :

تحديات مستمرة وحياة متجددة





استطلاع : عــلي عثمــان

تصــوير : طالب الحسيني



منذ مائة وعشرين عاماً ، وبالتحديد في ١٨ (أغسطس) آب ١٨٦٩ ، التقت مياه البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، بعد أن انقضت المعاول على السد المؤقت في البحيرات المرة . وبعد ثلاثة شهور - في ١٧ (نوفمبر) تشرين الثاني ١٨٦٩ - أعلن رسمياً في حفل باذخ ، ما زالت وقائعه تثير الدهشة ، عن افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية . ومنذ ذلك الوقت دارت حول القناة أحداث كثيرة ، وصراعات عنيفة ، دفع الشعب المصري ثمنها تبعية ، وانكساراً وفقداناً للاستقرار . ولكنه كان دائماً متحدياً ، حتى عاش أيام زهوه وانتصاره ، عندما ملك القناة . فراح ينمي المجتمع الحضري الذي نشأ حولها وبسببها . واليوم تدفعه تحديات الحاضر الى اقتحام المستقبل الصعب .

في الصباح الباكر من يوم ربيعي دافئ ، من شهر (مارس) آذار ، خلفت مدينة القاهرة بصخبها وضجيجها الذي لا يتوقف ، وامتدادتها العمرانية المتواصلة على رمال الصحراء في شمالها الشرقي ، باتجاهنا إلى مدينة الاسماعيلية التي تبعد عن القاهرة حوالي ١٢٠ كيلومتراً ، وهي واسطة محافظات القناة الثلاث ، والمقر الرئيسي لهيئة قناة السويس البحرية .

مع اقترابنا من مشارف الاسماعيلية ، حملت لنا النسمات الصباحية الرطبة رائحة منعشة لفواكه مختلطة بعطر أزهار متوهجة تفتحت وألوان على رؤوس الحقول والأشجار ، خضرة تتزايد وتتكثف مع نوري اللون الأصفر ، حدائق تلي حدائق ، وأشجار متعانقة بكثافة نسيج خميلة جميلة فوق الطريق القديم الجديد ، باعة الفاكهة الطازجة يتوزعون على الطريق ، برتقال ، يوسفي ، فراولة ، موز ، فالاسماعيلية تشتهر بإنتاج الفاكهة ، خاصة الصيفية كالمانجو ، والبطيخ والشمام ، بالإضافة إلى الموالح والفول السوداني ، فطبيعة التربة حولها ، سواء كانت رملية ناعمة أو خشنة ، تصلح لهذه الأنواع من المحاصيل الزراعية .

دخلنا المدينة ، وتوجهنا إلى مقر هيئة قناة السويس ، مع المرافق الذي كان ينتظرنا . مقر إدارة الهيئة أو مبنى الإرشاد مقام على ضفاف بحيرة التمساح ، ومكون من ثلاثة عشر طابقاً ، يعلوها برج لإرشاد السفن ، مزود بأحدث الأجهزة اللاسلكية ، لتيسير عملية الاتصال بالسفن العابرة ، وبمكاتب حركة الملاحة ، وكذلك بأجهزة قوية للرصد ، يمكن بواسطتها مراقبة حركة الملاحة في القناة في الأيام الجيدة الرؤية إلى القنطرة شمالاً ، والبحيرات المرة جنوباً .

قابلنا بعض المسئولين بالهيئة ، ثم اتجهنا الى الفندق ، وهو على بعد خطوات من مبنى

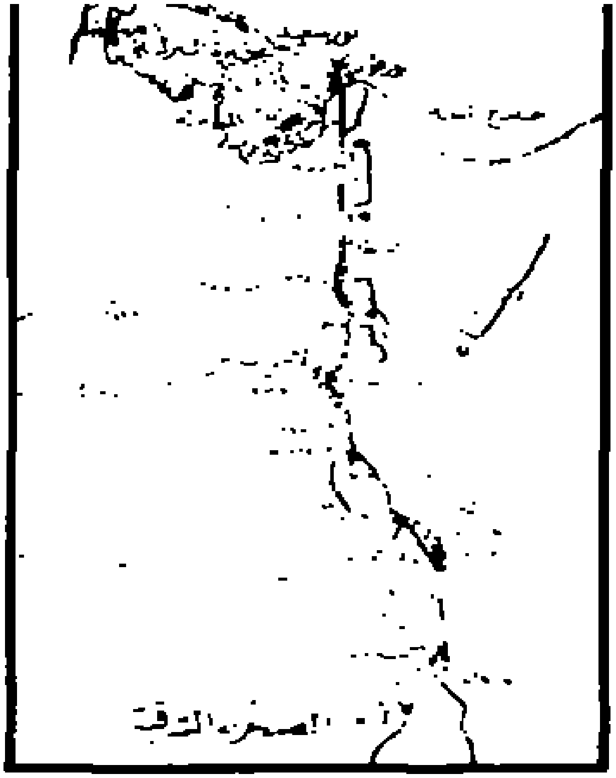
الإرشاد . ويطل على بحيرة التمساح . انهينا الإجراءات . وصعدنا إلى الغرف . وراء عمق الفندق ستائر النوافذ . هذا المشهد رائعا : سفن صغيرة في الممر المائي داخل البحيرة . وقوارب آلية . لنشات سريعة . تتحرك باتجاهات مختلفة . مجموعات من الصيادين في قواربهم الصغيرة ينتشرون على سطحها . أندية وشواطئ خاصة متجاورة على ضفافها . سكون مياهها إلا من حركة أمواج خفيفة . ولونها الصافي . يغريان بالقفز إليها .

واسطة العقد :

غادرنا الفندق . واتجهنا إلى المدينة . الإسماعيلية مدينة خدمات . يسكنها موظفو الحكومة . والعاملون في هيئة قناة السويس وشركاتها . والعاملون في الصناعات الخفيفة . وتتخذها جامعة قناة السويس مقرا لها . وهي جامعة حديثة . موزعة على مدن القناة الثلاث . تقل فيها التخصصات النظرية لصالح التخصصات العلمية المرتبطة بطبيعة نشاط المنطقة .

مدينة هادئة . حدائقها التي تتركز في المناطق المحاذية للقناة نضرة الخضرة . وأشجارها منسقة . نظافة ملموسة في قسمها الأول ـ كان يطلق عليه الحي الإفرنجي . حيث نشأت مدينتا بور سعيد والإسماعيلية . على حين . أوجد الحي الإفرنجي . وكان يسكنه الأجانب . في مقابل حي العرب الذي استمد اسمه من ساكنيه . ولذلك كان تخطيط الحي الأول وتنظيمه يحظى بالاهتمام دون الآخر . فشوارعه متسعة ومجملة بالأشجار المستورد بعضها من أوربا . في قسم من هذا الحي الذي يسكنه حاليا كبار الموظفين والتجار . وتتركز فيه معظم المصالح الحكومية

دخلنا قلب الحي التجاري : ازدحام شديد . وأصوات بشرية متداخلة مع ضجيج كل وسائل



● خريطة قناة السويس .

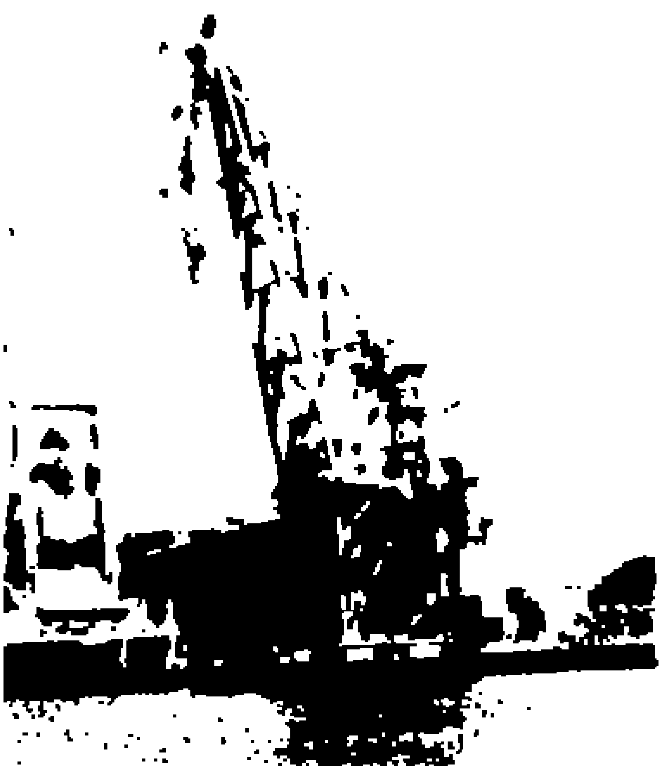
النقل البرية التي عرفتها البشرية . شريط السكة الحديد يخترق المدينة . ويقطع الثلاثيني أكبر شوارعها . ومنه تتفرع الأسواق المختلفة .

أحياء حديثة تضاف إلى المدينة في الشمال والغرب كحيّ الشيخ زايد . وأحياء كانت قديمة عشوائية يعاد تخطيطها . كحي السلام . صناعات جديدة تنشأ على بعد اثني عشر كيلومترا من المدينة .

خرجنا من نطاق المدينة إلى الجنوب . فاستوقفتنا لافتة يقوم بتعليقها شبان . مكتوب عليها « استراحة الدبابات » . سألنا عن التسمية فأشار مرافقنا إلى عدد من الدبابات المحطمة . إنها دبابات إسرائيلية حاولت دخول المدينة أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م . فأوقفتها قذائف المدافعين عن المدينة . والتقط لنا زميلي المصور بعض الصور . وواصلنا سيرنا بين المزارع في طريق ضيق : المزارعون يعكفون على أعمالهم الحقلية المختلفة . أسر كاملة تعمل في الأرض .







● من قلب الرماد تنهض مدن القناة لتتدفق في شرايينها الحياة المتجددة بتجدد الأجيال . أعلى شارع رئيسي في بور سعيد ، والأطفال في حديقة مكتبة الطفل ، وجانب من ترسانة بور سعيد لبناء السفن .



● في بور سعيد . اختفت معالم الشوارع الرئيسية خلف البضائع المستوردة وحركة البائعين والمشترين التي تتزايد في أيام العطل والاجازات وعلى الرغم من ذلك فقد خبا وهج المنطقة الحرة .

محاصيل متنوعة . ونتوقف لنسأل فلاحاً عن محاصيله وظروف العمل . فيشير بأصبعه : هذا حوض فول سوداني . وذلك سمسم . والذي أعمل فيه طماطم . وهذا العام حاماً صقيع شديد . أثر على الزرع . وكما ترون ضمرت حبات الطماطم . واخضرارها تحول إلى لون محروق . نحاول التغلب على آثره .

ونعود إلى الاسماعيلية ليلا : الحركة هادئة تماما . والليل هنا طويل ورومانسي . الجميع في البيوت . ونحن في الفندق نتابع إرسال محطة القناة التلفازية .

لا بدائل تغني عنها :

كان من الطبيعي والنشاط الاقتصادي والاجتماعي لمحافظات القناة يعتمد في القسم الأساسي منه على الحركة في قناة السويس . أن يدور حوارنا مع الدكتور مهندس نبيل الهلالي . مدير التحركات في الهيئة . عن احتمالات المستقبل . في ضوء متغيرات عالمية كثيرة . لها تأثيرها على هذا الممر المائي الدولي . منها نمو حركة التجارة الدولية . والاتجاهات الجديدة في بناء السفن . والتوسع في بناء خطوط أنابيب النفط .

عرفنا قبل الالتقاء به أنه يعمل في الهيئة منذ واحد وثلاثين عاما . استقبلنا بود شديد . وأثنى على مجلة « العربي » عبر مسيرتها الطويلة . شدني إليه هدوؤه وعينان تشعان بذكاء وقاد . وذاكرة حاضرة بأدق التفاصيل .

بدأ معنا حديثه « بأن أهمية القناة لا تقف عند تأثيرها على المنطقة المحيطة بها اجتماعيا واقتصاديا وحدها . وإنما تتجاوزها إلى المستوى الوطني . فالعالمي . فالعائد من دخلها يعد أحد المكونات الرئيسية للدخل القومي لمصر . وأهميتها العالمية تؤكدها صدارتها لكل الممرات المائية المصنوعة في العالم . وتنامي حركة الملاحة الدولية عبرها . ولذلك فإننا نقوم بإعداد الدراسات حول المتغيرات التي ذكرتها أنت على سبيل المثال . من خلال متابعتنا الدقيقة . وأضيف لها المتغيرات التي تؤثر على أسواق النفط وأسعاره . وكذلك التطورات العالمية لاستخدامات الطاقة وبدائلها . لأن كل هذه المتغيرات تؤثر حتماً على حركة العبور بالقناة . وكذلك على مشاريع تطويرها .

ويقول مدير التحركات بالهيئة : « كانت الهيئة قد أعدت مشروعا طموحا . يساير تطورات بناء ناقلات النفط العملاقة . والحاويات . ويزيد طاقة القناة التصريفية إلى ٤٣٫٨٠٠ سفينة سنويا . بمعدل ١٢٠ سفينة يوميا . ويتم تنفيذه على مرحلتين . ولكن قرب انتهاء المرحلة الأولى بدأت تظهر بعض العوامل المؤثرة على حركة سفن النقل . مما جعلنا نؤجل تنفيذ المرحلة الثانية مؤقتا . لأن العائد قد لا يساوي تكلفة . فقد كلفت المرحلة الأولى ١٫٣ بليون دولار .

وعلى الرغم من أن عدد السفن العابرة للقناة - وفقاً لاحصائياتها - في العامين الماضيين كان أقل من الأعوام السابقة لظروف كثيرة . منها استمرار حرب الخليج وقصف الناقلات . وخفض دول الخليج العربي لإنتاجها من النفط . فإن زيادة حمولة السفن العابرة عوضت النقص في عددها .

وظلت نسبة العائد المتحصل ثابتة . وهذا الوضع جعل عمليات التطوير تقف عند توسيع المجرى الملاحي وتعميقه لزيادة عرض البواخر العابرة . خاصة الفارغة . وقد عبرت القناة العام الماضي سفن من حمولة ٥٥٥ ألف طن فارغة . كما أكد الدكتور نبيل الهلالي الذي أضاف : « في العام الماضي ظهرت بعض التغيرات التي نعدها مشجعة . ومنها :

(١) وصول السفن التي بنيت أثناء إغلاق القناة إلى نهاية عمرها الافتراضي . وعند بناء بدائلها سيكون لنا بالتأكيد رأي في حجمها

وتنوعيتها ، من خلال علاقتنا الوطيدة مع « الترسانات » العالمية لبناء السفن .

(٢) ظهور ارتفاع طفيف في أثمان النقل ـ خارج القناة ـ سيدفع لاختيار الأرخص في الكلفة .

(٣) التحسن في الاقتصاد الأمريكي سيكون له تأثيره على العملات التي يتم بها سداد رسوم العبور (لا نعتمد في تحصيل الرسوم على عملة واحدة ، بل على ستة عملات ووحدات السحب الخاصة) .

(٤) ظهور تصميمات جديدة لناقلات النفط . وهذا معناه أننا نجحنا في ربط بناء السفن بالقناة . وهذه التغييرات الجديدة دفعتنا إلى إعادة التفكير في دراسات الجدوى عن مستقبل قناة السويس خلال ربع قرن قادم ، حتى يمكننا تحديد ما يمكن إضافته للقناة .

وإننا نثق أن القناة لن تفقد مكانتها لأسباب عديدة ، نستخلصها من دراسات علمية دقيقة ، يجريها مكتبنا الاقتصادي الذي يتابع التطورات الاقتصادية العالمية ، واقتصاديات النقل على وجه الخصوص . كما أن بدائل القناة سواء كانت ناقلات عملاقة أو أنابيب نفط لن تغني عنها » .

جولـــة بحريـــــة :

بعد لقائنا مع مدير التحركات في هيئة قناة السويس بدأنا جولة في بحيرة التمساح : قارب « لنش » صغير من أسطول الهيئة ، يشق بنا مياه البحيرة الهادئة ، في دورة تتماشى مع ضفافها شرقاً وغرباً . قافلة السفن القادمة من الشمال تواصل إبحارها باتجاه البحيرات المرة ، فالسويس . ناقلات نفط ضخمة ، وناقلات بضائع ، وحاويات ـ التوجه الجديد في مجال النقل البحري وتطوير الحاويات وزيادة عددها ـ وبين كل سفينة وأخرى مسافة ثابتة .

يقترب « اللنش » من شاطئ البحيرة الغربي ، فنلمح من بعيد ، تظهر بعض ملامحه من بين أشجار كثيفة ، رائعة التنسيق . ويشير مرافقنا إلى حيث نحن ننظر قائلاً : « هذه جزيرة الفرسان » . تستدعي إلى الذاكرة صوراً قريبة مختلطة بصور أبعد منها في الزمن ، تصدرت فيها هذه الجزيرة تباعاً مقدمة الأحداث ، عندما كانت تصنع مصائر أجيال من أبناء القطر المصري زمناً طويلاً في غيبتها ، وتنبع صورة منها في الثبات على شاشة الذاكرة ، فأتأمل بعض تفاصيلها ، إنها الصورة الأولى الأقدم في الشريط .

خديوي مصر « إسماعيل » بجسمه الضخم والأوسمة والنياشين التي ترصع صدره ، والخيلاء ترتسم على محياه ، يقف على درجات القصر ، مستقبلاً كبار مدعويه من ملوك وأباطرة وأمراء وبعض ممثلي أوربا الذين دعاهم مع حشد هائل ، بلغ ثمانية آلاف مدعو ، لحضور حفل افتتاح قناة السويس ، منذ مائة وعشرين عاماً كاملاً .

قدم الجميع من بور سعيد صباح يوم ١٧ (نوفمبر) تشرين الثاني ١٨٦٩ ، في موكب بحري ، تتقدمهم « اليخت » المحروسة » ، واليخت الفرنسية الملكية « الايجل » أو النسر » بعد انتهاء احتفالات دامت يومين توقفت بعدها السفن على صفحة بحيرة التمساح ، وبدأوا الاحتفالات التي قيل : إن مصر لم تشهد في تاريخها احتفالات عظيمة تماثلها . كلفت فوق مليون ونصف مليون جنيه مصري ، وكلفة حفر القناة كلها أربعة عشر مليوناً ونصف مليون جنيه .

ويستدير « اللنش » ليعود إلى قلب البحيرة ، ثم إلى المرسى . نلمح « ورشاً » هندسية وهياكل سفن ، فيسأل عاملي « اللنش » عنها فيقولان : إنها ورش شركة التمساح لبناء السفن ، إحدى شركات هيئة القناة السبع للأعمال البحرية .







● في قناة السويس تتعدد الأنشطة ووسائل الحياة .

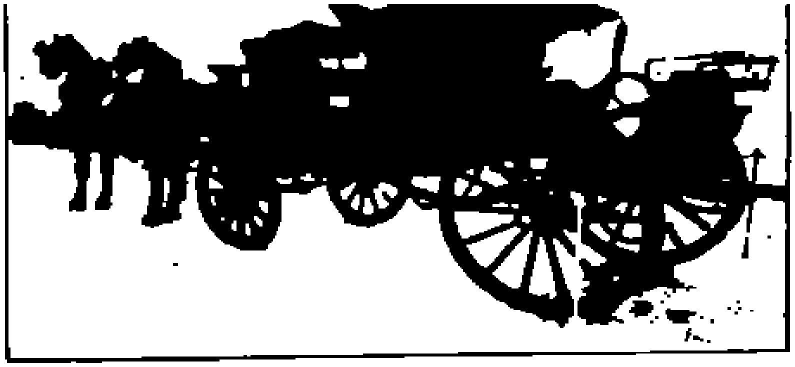
« بمبوطي » يروج بضاعته بميناء بور سعيد (أعلى اليمين) .

● غرفة مراقبة الملاحة في القناة والتحكم فيها بالاسماعيلية (تحت يمين) .

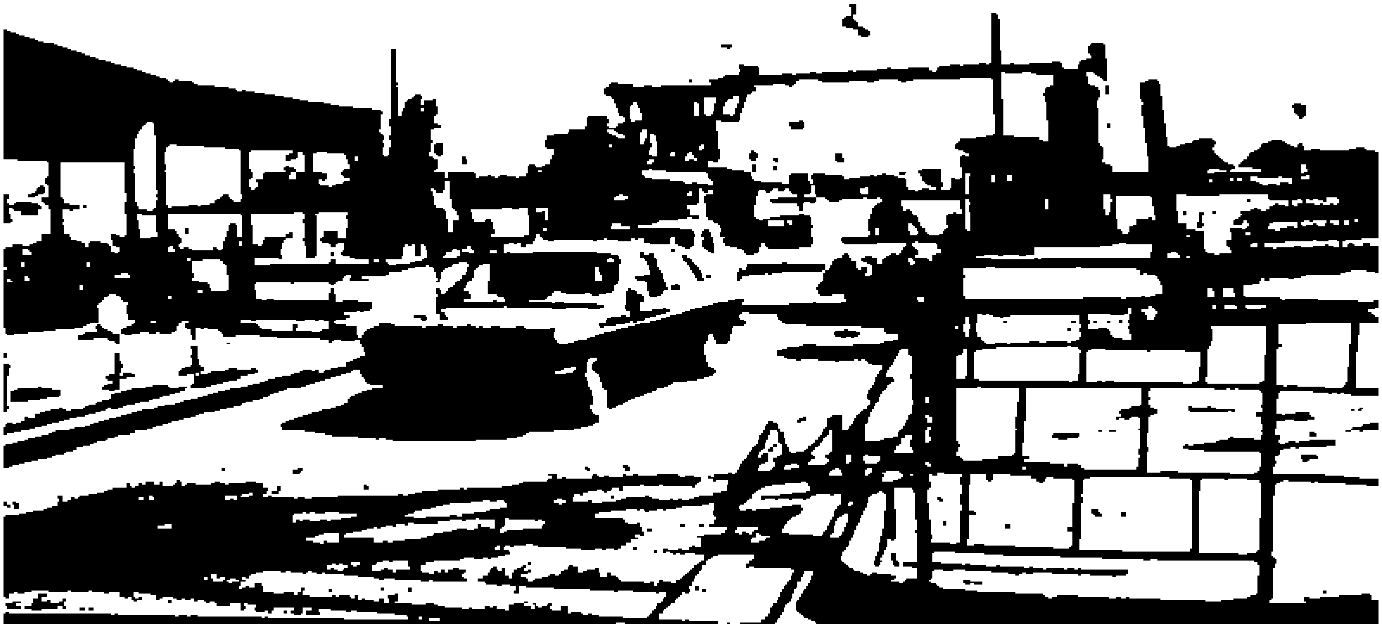
● عربة الخديوي اسماعيل التي شهدت افتتاح القناة في متحف بور سعيد .

● سفن تدخل القناة من مدخلها الجنوبي عند بور توفيق .

● المعدية التي تربط بور سعيد ببور فؤاد (تحت يسار) .







أربـع منهـا في بـور سعيـد ، واثنتـان في الاسمـاعيلية ، وترسانـة السويس البحـرية في السويس . وبعض هـذه الشـركـات تجميـع لشركات مؤممة ، كانت قائمة بالأعمال البحرية من قبل ، وبعضها منشأ بعد تأميم القناة .

يقول رئيس قطاع الشركات بالهيئة ، فريد سليمـان : « أنشئت هـذه الشـركـات بهـدف أساسي ، وهو أن تكون أداة تنفيذية لمشروعات هيئة قناة السويس،وكذلك بغرض أعمال الصيانة لأسطول القناة المكون من « الكـراكـات » و « النتشات » ، وكذلـك لبناء وحـدات عائمـة جديـدة ، لتعـزز أسطول الهيئـة كلما دعت الحاجة ، ولقد قامت هذه الشركات ـ كل شركة في مجالها ـ بتنفيذ عدد من المشاريع في مصر وبعض الأقطار العربية ، مثل مراسي « المعديات » في بور سعيد ، ورصيف الحاويات فيها ، وميناء طرطوس بسوريا ، ودرنـة بليبيا . وحـاليا تتم الخطوات النهائية للاشتراك في تنفيذ ثلاثة عشر رصيفا لميناء « أم قصر » بالعراق ، ونقوم بدراسة تكرير المياه في شمال العراق ، وسنبدأ قريبا بإنشاء رصيف « ضابا » . وتملك الشـركـات « كوادر » فنية قـادرة على المسـاهمة في الأنشطة البحرية والنيلية . وإجمالي قيمة هذه الشـركات سنة (٨٧ ـ ١٩٨٨) بلغ ١٩٤ مليون جنيه . ورأس مالها العامل ٨٩ مليون جنيه ، ورأس المال المستثمر ٢٧٤ مليون جنيه » .

لكل مدينة ملامحها

وصلنا الى المنفذ الجمركي الجنوبي لبورسعيد، توقفنا أمام البوابة الجمركيـة ، نشتت آلات التصوير ، حتى يسهل علينا مغادرة المدينـة بلا تأخير بعد انتهاء مهمتنا داخلها . الدخول إليها سهل ، أما الخروج منها فيمثل مشكلة لزائرها والمقيم فيها ، حيث يجب عليه دفـع الرسـوم الجمركية على مشترياته من السلع التي لم تحصل جماركها من المنبـع ـ أي قبـل الشـراء ـ وهـذا يستغرق وقتا لشدة الزحام . ونحايل بعض وولد المدينة عنـد خروجهم لتخفيض الرسـوم التي تطلب منهم ، ولمحاولة مسئولي الجمارك التضييق على عصابات تهريب البضائع التي يستغل فيها بعض التجار داخل المدينة وخارجها عددا كبيرا من الصبية والنساء الفقراء .

ونـدخل بـورسعيد ، المدينـة ذات الشهـرة المدوية في العالم كله منذ سنة ١٩٥٦ والتي كانت نموذجا لأبنـاء العالم الثـالث في مرحلة المـواجهة الحـادة والمباشـرة لـلاستعمـار في الخمسينيـات والستينيـات من هذا القـرن ، أشد مـا تغيرت ملامحها ، وكذلك مكانتها ، وإن لم تفقد تميزها الذي اكسبها إياه موقعها ، وهو في الوقت نفسه نقطة ضعفها .

فإذا كان للسويس القابعة في ظل جبل عتاقة وحضن البحـر تاريخ ممتد في الـزمـن كمينـاء قديم ، فإن الصناعات النفطية ، ومرور الحجاج عبرها إلى الأراضي المقدسة أعطاها سمة المدينة العملية . أما الاسماعيلية فقد أكسبتها فاكهتها الصيفيـة المميزة رائحتهـا ، وأعطتهـا الـطرق المفتـوحة على ريف مصر ومـدن شرق الـدلتـا إحساسا بالأمان ، جعلهـا أقرب للمحـافظة في السلوك الحياتي عن قرينتيها ، وهي قانعـة نهارا بـالعمل والحـركة والنشـاط وتنام الليـل قريـرة العين .

أما بورسعيد فموقعها المميز ، كشبه جزيـرة تحيطها الميـاه من كل جـانب ما عـدا شريـطين ضيقين يربطانها بالدلتا غربا ، وبالقاهرة جنوبا ، وكونها ميناء مشرعا على العالم كله ، بما يعنيه من انفتاح في السلوك وجرأة في الحركة ، واحتكاك بـالجنسيات المختلفـة ، سواء بـالتعايش عنـدما كانت تسـتوطنها بعض الجاليات الأوروبيـة ، أم بالتعامل معها من خلال أنشطة الميناء ، كل ذلك

جعل أبناءها يشعرون بفتوة الصبا ، فيقبلون على الحياة بخفة مبهجة ، ويتعاملون مع الآخرين بمرونة الواثق ، فالبحر رزقه واسع حتى ولو كان غير معلوم ، والمدينة هادئة نظيفة ، تعج بالحركة ، ومستواها المعيشي متمايز عما حولها ، ولذلك استقطبت هجرة متزايدة من أبناء المناطق المجاورة ، أقامت في أطرافها . وبعد عشر سنوات من عدوان ١٩٥٦ توقفت الحياة في أوصالها ، ككل مدن القناة وهاجر أبناؤها الى أحضان الوطن ولكن على الرغم من البعثرة في ريف مصر ظل لهم ما يجمعهم ويميزهم . وله بتناول الأسماك ، وقدرة في التعبير عن الفرح من خلال « الضمة » تجمع تلقائي من الرجال والشباب ، يشارك بترديد مقاطع من أغاني « السمسمية » خلف المؤدي الرئيسي لها ، والموقعة على آلة بدائية مكونة من طبق مركب عليه خمسة أوتار ، بصحبة طبل مزدوج (بونجز) وملعقتين . وأغاني « السمسمية » بإيقاعاتها القوية المبهجة ، حتى ولو تحولت كلماتها من التشبيب بالحبيب إلى الحنين للأهل ، والصحبة ، ومسقط الرأس .

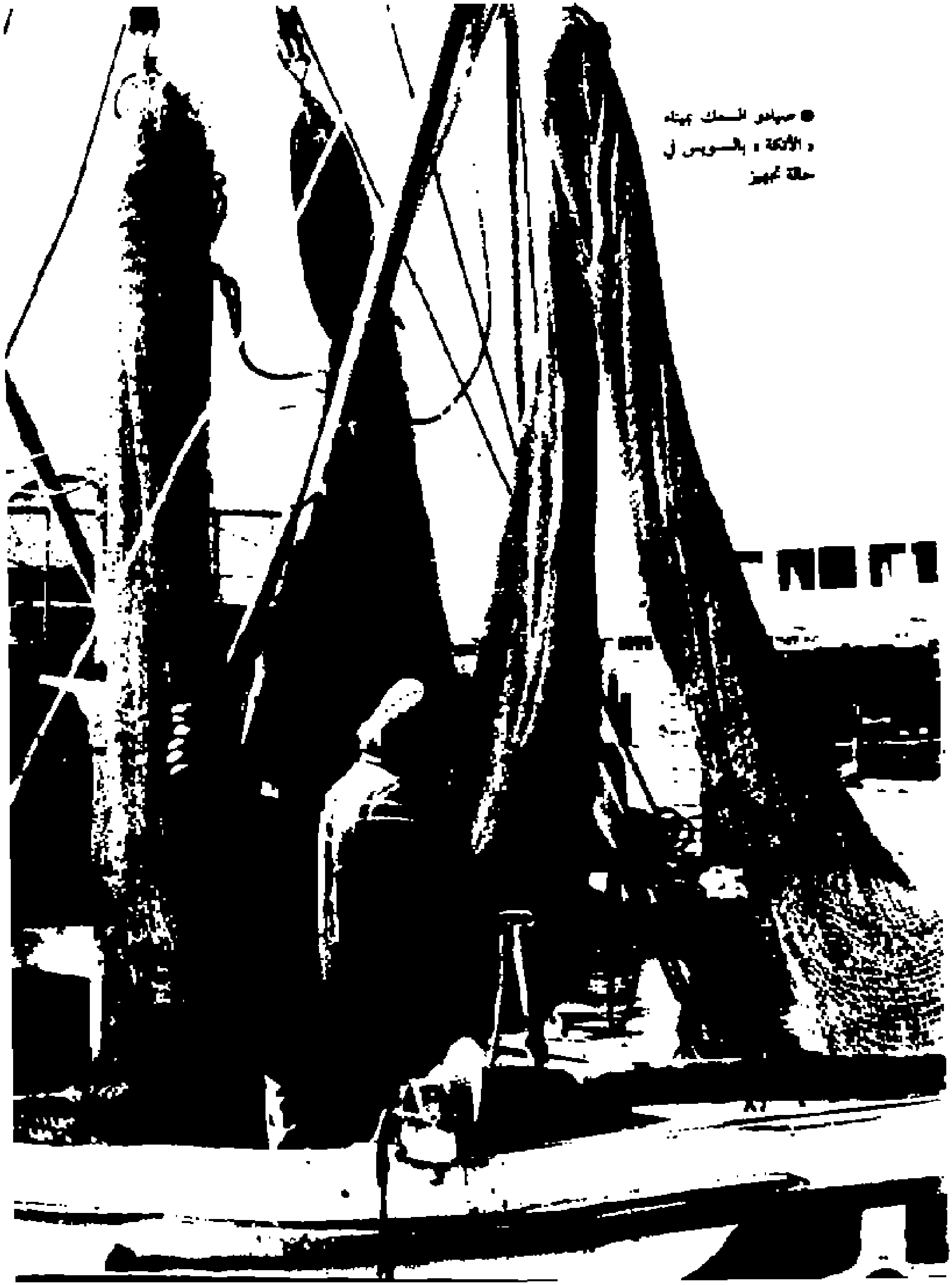
لكل تبدل ثمن :

نجوب شوارع المدينة باحثين عن معالمها . الضواحي الجديدة تتقدم بحدودها جنوباً وغرباً على حساب بحيرة المنزلة . المساحات الخالية في المدينة محدودة ، الازدحام شديد ، والحركة في الشوارع الرئيسية ، خصوصاً في قلب المدينة التجاري - حي العرب - كثيفة . تحولت حركة السيارات فيها الى اتجاه واحد . بعض الشوارع الرئيسة اختفت معالمها خلف الملابس والسلع المستوردة من دول جنوب شرق آسيا . الباعة احتلوا جوانبها كشارع التجاري وشارع الحميدي . كثير من أصحاب المحلات بدلوا تخصصاتهم القديمة ، وتحولوا إلى بيع السلع المستوردة ، ولم يصمد منهم إلا القليل .

قال لنا واحد من أبناء المدينة تطوع لمرافقتنا : « لن تجدوا القديم الذي تبحثون عنه ، فالناس تغيروا ، والعلاقات حكمتها حسابات جديدة ، والتركيبة الاجتماعية في المدينة أصابها تبدل كبير ، وتغير المزاج العام ، حتى « السمسمية » و « الضمة » ، بعد أن كانت تعبيراً تلقائياً يمارسها بسطاء الناس في أوقات فراغهم ، دون مقابل ، في احتفالات الزواج ، والمناسبات الاجتماعية والوطنية المختلفة ، أصبحت لها فرق تمارسها كتجارة ، ووقعت كلماتها في الرتابة . ولولا فرقة الفن التلقائي التي تمارس نشاطها على مسرح « قصر الثقافة » لاندثر هذا الفن الجميل . حتى المقاهي التي كان لها دور اجتماعي مميز ، وكانت تشتهر بها بور سعيد ، تحول كثير منها إلى محلات تجارية » .

نحمل انطباعاتنا إلى اللواء سامي خضير ، محافظ بور سعيد ،ونسأله عن الحوار الدائر حول المنطقة الحرة ، وضرورة العودة بها إلى الهدف الأصلي من إقامتها ، وهو إنشاء صناعات للتصدير الى السوق العالمي ، بما يسمح بجلب العملة الصعبة ، وإيجاد فرص عمل ، وتنشيط الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، بدلاً من ترويج سلع تنافس الإنتاج الوطني ، فقال : « لقد حدث خلال السنوات الثلاث الماضية تغير في مفاهيم رجال الأعمال ببور سعيد ، وفعلا بدأت عملية تصنيع ما يتم « استيراده » وعندنا حاليا مصنع للملابس الجاهزة ، ومصانع للحلويات والمنظفات ، وهناك مشروعات قيد التنفيذ ، كمصانع الأدوات والأحذية الرياضية ، ومشروع حديد التسليح ، وكذلك مشروع « لتحريد » السفن ، خصص له موقع في منطقة مثلث التفريعة ، وحاليا تتم دراسة مشروع استخراج أكسيد المغنسيوم المستخدم في الصناعات المتطورة من الملح المتوافر في منطقة الملاحة .





● صيادو السمك بميناء «الأتكة» بالسويس في حالة تجهيز

جولـــة في الميناء :

وقمنا بجولة بحرية في ميناء بور سعيد الذي تمر فيه سنوياً أكثر من ٢٠ ألف باخرة ، وحوالي ٤٠٠ مليون طن من البضائع ، ونسبة كبيرة من تجارة مصر الخارجية استيراداً وتصديراً . ضفاف الميناء تضج بالحركة ، مبنى هيئة قناة السويس التاريخي في الضفة الغربية ، على يساره أحواض تفريغ البضائع تعتليها المخازن ، ورافعات عملاقة سألنا عنها مرافقنا فقال : هذا رصيف محطة تداول الحاويات ، طوله ٦٠٠ متر ، وعمقه ٤٢ قدماً ، وهو المرحلة الأولى من مشروع المحطة التي تديرها شركة تداول الحاويات.

وتتابع جولتنا البحرية . ترسانة بور سعيد البحرية على الجانب الشرقي من الميناء ، وكذلك حوض إصلاح السفن . « المعديات » تعبر الميناء باتجاهين ، حاملة السيارات والأفراد . سفن تعبر الميناء ، وغيرها رابضة بانتظار تموين أو إصلاح أو دور للتفريغ . الدلافين تتكاثر متقافزة في الماء ، وطيور النورس البيضاء تحط على سطحه ، تلتقط صيدها ثم تطير في مجموعات عند أي حركة تقترب منها . قوارب ، لنشات ، (البمبوطية) ـ باعة ، العاديات ، لركاب السفن ـ رابضة في مراسيها ، بحثنا عن (البمبوطية) حول السفن العابرة كما كانوا يفعلون منذ نشأة الميناء ـ وهم يتحدثون بلغات عديدة لترويج سلعهم ـ فلم نجدهم ، سألنا عن سبب اختفائهم فقالوا لنا : إن إنشاء تفريعة القناة الجديدة ، شرق بورفؤاد ، جعل السفن تعبر الميناء بالاتجاهين دون توقف ، مما حال بين (البمبوطية) ومعاودة نشاطهم القديم ، فهجروه إلى غيره . وبقي منهم « لنشاتهم » التي تخدم في أعمال أخرى ، والرقصة الشعبية الرائعة ـ رقصة البمبوطية ـ التي تعبر عن أشواق إنسانية مبهجة ، تمتع بها محطات التلفاز العربية مشاهديها .

ورأينا من الميناء فنار بور سعيد الذي كان يرشد السفن وهي خارج الميناء بأضوائه المميزة ، قالوا لنا : سنحوله إلى معلم سياحي ، بعد أن أقمنا بديلاً عنه خارج المدينة ، وسنزوده بمصعد زجاجي خارجي كي تتاح لزائره مشاهدة المدينة بجميع معالمها ، لأنه أعلى مكان فيها . وتقترب من قاعدة تمثال « دي لسبس » في مدخل الميناء الذي أطاح به أبناء المدينة بعد خروج القوات المعتدية عام ١٩٥٦ ، فنتساءل : لماذا لم يوضع مكانه ـ حتى الآن ـ نصباً يجسد نضال الشعب ، أو رمزاً من رموز الوطن المرتبطة بهذا المرفق الحيوي . . ؟ !

رحلـــة عبـــور للقناة :

تصادف وصولنا لمرسى مبنى الهيئة ـ ونحن في عودتنا من الجولة البحرية ـ بعودة واحد من مرشدي السفن العابرة للقناة بزيه البحري المميز ، عائداً من مهمة قيادة سفينة من قافلة الجنوب . عرفنا عليه مرافقنا : قبطان « جمال » . قلنا له : ستعوضنا ما بددته الاجراءات ، فقد كنا نسعى لمصاحبة سفينة أثناء عبورها القناة ، ولكننا وجدنا أن الاجراءات تستغرق وقتاً طويلاً ، فهل تصحبنا في واحدة من رحلاتك ، فقال : « لتكن صحبتنا مع قافلة الجنوب ، من بورسعيد إلى السويس ، صباح الغد » .

ونحن تستقل معه « اللنش » إلى حاملة بضائع يونانية قال : بداية لا بد لأي سفينة ترغب في عبور القناة أن تخطر قسم التحركات بهيئة القناة بواسطة وكيل الشركة التابعة لها في بورسعيد، أو السويس، قبل وصولها بأربع وعشرين ساعة على الأقل ، بالبيانات الخاصة بها : اسمها ، جنسيتها ، غاطسها ، حمولتها ، وصولها ، ركابها . ثم عند وصولها « بوغاز » بورسعيد تطلب من سفينة الإرشاد الموجودة

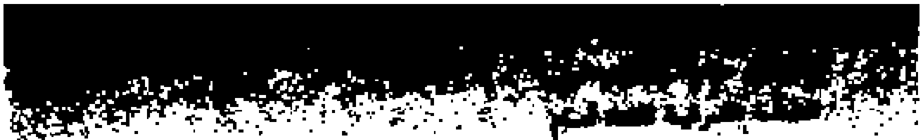
خارج البوغاز « بالتلفون اللاسلكي » ، أو برفع إشارة معينة على صاريها ، مرشد ميناء ، ليقودها إلى مكان الرسو المحدد لها في الميناء . وبعد أن تستكمل السفينة إجراءاتها القانونية . جوازات ، حجر صحي ، تقدير رسوم عبور ، تموين ، تزود بالمعدات اللازمة لها أثناء عبورها القناة ، وهي أربعة حبال ـ على الأقل ـ لربطها ، وزورق أو زورقان ، تبعاً لحجمها ، للنزول إلى الماء ، وربطها إذا اقتضى الأمر ، وكشاف قوي يضيء القناة مسافة ١٢٠٠ متر ، إذا لم تكن مزودة بكشاف معتمد من الهيئة . يدفع وكيل السفينة الرسوم المقررة عليها التي يحددها مكتب قياسي الهيئة تبعاً لحمولة السفينة مقدماً ، والسفن الصغيرة التي تقل حمولتها عن ٣٠٠ طن تعفى من الرسوم . وترفع السفينة التي تتجاوز حمولتها الكلية ٣٠٠ طن إشارة معينة على صاريها ، تطلب بها مرشداً لعبور القناة ، والإرشاد إجباري لناقلات النفط ، وللسفن حاملة المواد الخطرة مهما كانت حمولتها ، توقف المرشد لحظة وقال : « سنصعد إلى حاملة البضائع التي ستنتظم في القافلة انتظاراً لإشارة البدء ، وأذكركم أنه تخرج من بورسعيد قافلتان يومياً ، الأولى في الساعة الواحدة صباحاً ، والثانية في السابعة صباحاً . وهذه قافلتنا . وأحياناً تدمج القافلتان في قافلة واحدة عند القيام من بورسعيد ، ثم يعاد تنظيمها في قافلتين عند تفريعة البلاح . وسرعة قافلتنا ستكون ١٤ كيلومتراً في الساعة . والقيادة ستكون لربانها ، ودوري سيقتصر على الإرشاد لأنني بحكم الخبرة ، أصبحت أعرف طبيعة المجرى المائي ، أعماقه ومنحنياته . والأخيرة لها أهمية بالغة ، لأنه إذا انحرفت السفينة درجة واحدة فقد يؤدي ذلك إلى جنوحها ، ولذلك عمدت الهيئة في المرحلة الأولى من مشروع تطوير القناة إلى توسيع زوايا المنحنيات . نصل إلى السفينة ، ونصعد سلمها البحري ، ونتعرف على ربانها . البحارة يتحركون على سطحها بنشاط . أطلقت السفينة صفارتها أكثر من مرة . دخلنا مع المرشد غرفة القيادة ، وتحركت القافلة ، كان ترتيب السفينة الثالثة . خلفنا ميناء بورسعيد . ونحن الآن في مجرى القناة . « الشمندورات » مثبتة بطول القناة . وصلنا إلى مركز الإشارة الأول في « رأس العش » ، ثم التينة ، الكاب ، القنطرة . ووصلنا البلاح بعد أربع ساعات . توقفنا في الفرع الغربي من التفريعة ، ريثما تدخل آخر سفينة قادمة من السويس في الفرع الشرقي من التفريعة . نغادر البلاح ثم نمر على مركز إشارة الفردان . ونصل إلى الاسماعيلية على بحيرة التمساح . يودعنا القبطان « جمال » ، وهو يوصي زميله الذي حل محله علينا بعد أن أعطاه البيانات والملاحظات التي دونها . ثم يغادر السفينة وهي متجهة نحو الجنوب . نصل إلى مركز إشارة طوسون ثم الدفرسوار ، وهنا تتتال الحواطر والتأملات ، وتزداد الرغبة في تسجيل الكثير بجميع تفاصيله . فقد دخلت الدفرسوار التاريخ ولن تغادره أبداً . دخلنا البحيرات المرة الكبرى ، توقفت القافلة حتى تخلو القناة من قافلة الجنوب . وتابعت الإبحار بعد توقف أربع ساعات . ونمر على كبريت ، جنيفه وشلوفة ، وأخيراً وصلنا إلى بورتوفيق بعد أربع وعشرين ساعة منذ دخلت السفينة بوغاز ميناء بورسعيد . كانت فترة العبور الفعلي ثلاث عشرة ساعة ، والباقي قضيناه انتظاراً وإنهاء اجراءات . تخلى السفينة من المعدات المستأجرة كالكشاف والزوارق .

ونغادرها مع البحارة المشرفين على هذه المهمات . ويصعد إليها في الوقت نفسه مرشد الميناء ، ليخرج بها حتى منارة « زوبيا » في البحر الأحمر ، على بعد أربعة كيلومترات من « الشمندورتين » الأخيرتين للقناة .

ونغادر الميناء إلى مدينة السويس .





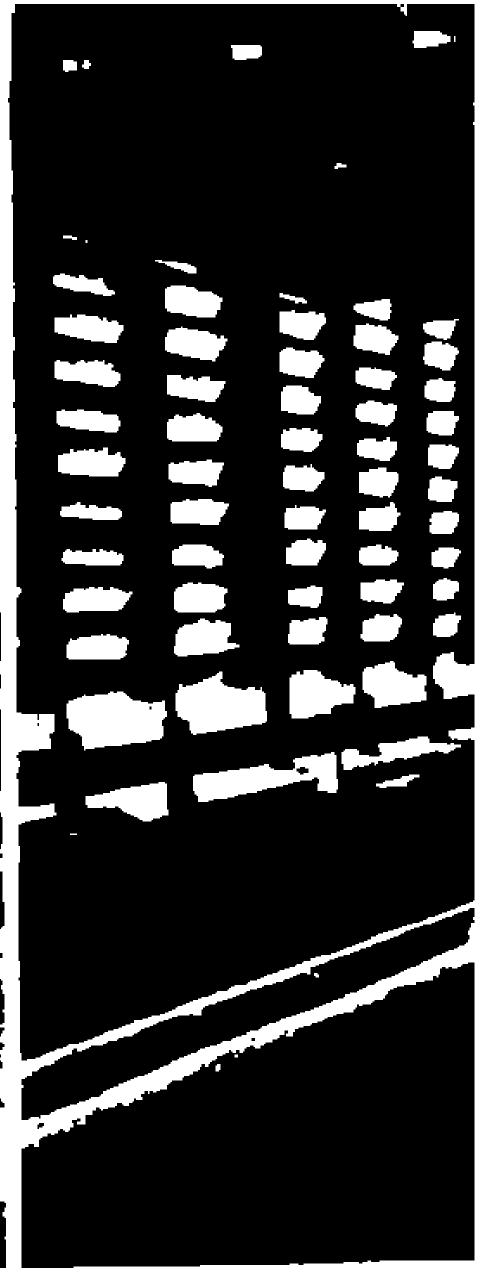


الدفرسوار .

● أشجار وخضرة وأثمار في مزارع الشباب .

● شق ترعة جديدة في سيناء







● ربط ضفتي قناة السويس بريا كان حلماً تحقق بعضه بنفق « الشهيد أحمد حمدي » الذي يبدو مدخله الجنوبي .

● السياحة نشاط ناهض . آثار تاريخية . وشواطئ . وقرى سياحية . ومتاحف إقليمية . ومنها متحف بور سعيد القومي .

أحلام قيد التنفيذ :

من المنفذ البحري . شريان الحياة الرئيسي فيها ، وسبب وجودها منذ كان اسمها « كليزما » على عهد الفراعنة ثم سماها العرب « القلزم » حتى عرفت باسمها الحالي « السويس » الذي دخل جميع لغات العالم وتاريخه الحديث ، ومن لسانها الممتد في نهاية خليج السويس دخلناها ، فواجهتنا ضاحيتها بور توفيق الحديثة النشأة ، بشوارع منسقة نظيفة ، هادئة الحركة ، وبنايات حديثة ، « فيلات » وحدائق ، وقليل منها يرتفع إلى ستة طوابق ، وآثار طلقات ومقذوفات ما تزال عالقة ببعض الجدران التي لم يلحقها التدمير خلال سنوات الحرب ، حيث كانت نسبة التدمير في السويس تصل إلى ٨٥٪ من جملة مبانيها ومنشآتها ـ كما قال لنا محافظها ـ ولكنها تجاوزت ما خلفته الحرب بالترميم والتجديد والإنشاء . حركة التعمير ما تزال متواصلة ، ضواحي جديدة تنشأ باتجاه الصحراء غرباً ، حيث المجال الطبيعي للامتداد المستقبلي . حدائق كبيرة وصغيرة تملأ فراغاتها ، نصب تذكارية تنتشر في ميادينها . غالبها يعبر عن تاريخها وأنشطتها البحرية .

دخلنا قلب المدينة ، تقتحمنا رائحة التاريخ الذي ما تزال بصماته واضحة في البنايات والأسماء والمساجد : مسجد الأربعين الذي يتوسط الحي الذي اكتسب اسمه منه ، مسجد سيدي عبد الله الغريب . المنشأ في العصر الفاطمي ، نسبة إلى أبي يوسف بن يعقوب ، القائد الفاطمي الذي استشهد في معركة السويس ضد القرامطة . مدينة السويس يمتزج فيها القديم بالحديث ، وينشأ عنها نكهة تجمع بين العتيق وحيوية العصر ، الأنشطة الاقتصادية لأهلها ما تزال هي الأنشطة القديمة السائدة نفسها : خدمة الميناء البحري ، التجارة ، الصيد ، بناء السفن ، ولكن مع الاستفادة من تطور الأساليب والوسائل وإضافات العصر الصناعي .

نخرج من قلبها إلى ضواحيها على ساحل الخليج الغربي : « شاليهات » حديثة للاصطياف .

نتجه إلى الجنوب ، منطقة الزيتية التي تحتضن معامل تكرير النفط ، وشركة الأسمدة ، ومحطة توليد الكهرباء الهائلة التي تستهلك المصانع ٨٥٪ من الطاقة المتولدة منها .

ونواصل اتجاهنا حتى ميناء الصيد ، « الأتكة » وهو الاسم الأجنبي « لعتاقة » ، الجبل البارز الذي تقع المدينة على سفحه الشرقي . ولا ندري لماذا لا يستمر الميناء بسماه العربي ؟ !

دخلنا الميناء بعد إجراءات طويلة تشابه ما واجهناه في ميناء صيد بور سعيد . شاهدنا الصيادين يمارسون أنشطتهم المختلفة : بناء سفن صيد جديدة ، إصلاح شباك ، تموين السفن استعدادا « للسروح » (الإبحار) ، سفن عائدة بصيد وفير من الأسماك . يضم الميناء سفن صيد من موانىء البحر الأبيض المصرية : بور سعيد ، دمياط ، رشيد ، جاءت عبر القناة تسعى لرزقها من مياه البحر الأحمر الغنية بأسماكها المتنوعة . خرجنا من « الأتكة » لنمد أبصارنا صوب الجنوب ، حيث « الأدبية » ، ميناء البضائع ، ثم الطريق إلى « العين السخنة » بمرافقها السياحية الرائعة المستمرة باستقبال زوارها على مدار العام لروعة مياهها ، واعتدال جوها . عدنا إلى المدينة نجوب أحياءها ونتعرف على معالمها ، ونلتقي بمحافظها « أحمد محسن شنن » ، فسألناه : ماذا بعد تعمير المدينة ، وتجديد مرافقها وأنشطتها ؟ فحدثنا عن مشروع طموح لتطوير السويس قائلاً : « ستتغير الحياة بكاملها في مدينة السويس عندما يتم تنفيذ مشروع تطوير شمال خليج السويس ، على

مرحلتين ، الأولى تنتهي سنة ١٩٩٥ ، والثانية عام ٢٠٠٥ ، ومكونات هذا المشروع تنقسم إلى إنشاء منطقة حرة للصناعات الثقيلة ، بهدف التصدير للخارج بالدرجة الأولى . ثم استصلاح أراض زراعية . . وكذلك إنشاء قرى سياحية كاملة على شاطىء الخليج . وأخيراً تحويل ميناء الأتكة إلى ميناء صيد عالمي ، بإنشاء مصانع تعليب وثلج ، وتطوير المراكب ، وكذلك تطوير أرصفة الموانىء (ركاب وبضائع) بزيادة عمقها ، وإنشاء أرصفة جديدة

العبور تحت القناة :

في الطريق من السويس إلى الإسماعيلية ، نقرأ لافتة عند قرية « الشلوفة » على بعد ١٧ كيلومتراً شمال السويس ، تشير إلى نفق الشهيد أحمد حمدي ، تغرينا اللافتة بمشاهدة هذا الطريق الذي يمر على عمق ٣٧ متراً تحت سطح مياه القناة ، ويربط ضفتيها . وحيث يتجسد الحلم المقيم في وجدان الإنسان العربي المصري وعقله لاعادة الحياة للطريق البري الذي كان يربط وادي النيل بسيناء ، ويربط مصر بفلسطين والشام . فقد تحول البرزخ الطبيعي بالقناة إلى مضيق صناعي ، أو مائي صناعي . وكان الربط بين الضفتين يتم « بالمعديات » إلى جسر الفردان المتحرك الذي كان يستخدم في ساعات محدودة أثناء توقف الملاحة في القناة ، وكان يعبره قطار الشرق السريع الذي كان يتحرك من القاهرة إلى القدس ، فدمشق ، فتركيا ، ثم إلى أوروبا ، ولكن كل هذه الوسائل كانت معرضة للمخاطر ، بالإضافة إلى ارتباطها بحركة الملاحة ، فجسر الفردان تعرض لاقتلاع قاعدة فتحته من مكانها إثر اصطدام ناقلة نفط ليبرية به ، عندما انحرفت عن مسارها عام ١٩٥٤ . واعيد بناؤه ، ولكنه تعرض للتدمير في الحروب التي دارت على مسرح القناة .

لذلك فكر المسئولون المصريون بالاتجاه إلى بدائل تضمن ربط الضفتين ، وتستمر تدفق الحركة بينهما دون اعتراض حركة الملاحة . فقرروا إنشاء ثلاثة أنفاق تحت مجرى القناة ، بعد الأول منها ، وأجل الاثنان الآخران إلى حين . مع استمرار استخدام « المعديات » السطحية في مواقعها القديمة ببورفؤاد ، والقنطرة ، فالفردان ، ونمرة (٦) بالاسماعيلية والدفرسوار ، وأخيراً بورتوفيق ، وتطويرها ، وزيادة عددها .

وعند المدخل الغربي لنفق الشهيد أحمد حمدي الذي استغرق تنفيذه ستة عشر شهراً من العمل المتواصل ، وكلف ١٠٥ ملايين جنيه ، التقينا بمسئول الوردية المناوبة في غرفة التحكم الآلي ، أعلى جسم النفق ، وتابعنا معه من خلال شاشة تلفازية الحركة داخله ، وسألناه عن مكونات النفق فاجابنا . إنه يتكون من ثلاثة أجزاء ، أولها طريق للسيارات ، بحارتين مزدوجتين في الاتجاه ، عرض كل حارة ٣.٧٥٠ أمتار . وثانيها مدخلان للهواء النقي وسحب الهواء الفاسد من داخل النفق . أما الثالث فطريق للمشاة . ويبلغ طوله من مدخليه ٥٩١٢ متراً ، موزعة على ثلاثة أجزاء ، (٢٢٨٨ متراً عند مدخله الغربي ، و ١٩٨٤ متراً عند مدخله الشرقي في سيناء ، و ١٦٤٠ متراً تحت القناة) . وجسم النفق أسطواني ، قطره الداخلي ١٠.٨٠ متراً ، والقطر الخارجي ١١.٦٠ متراً . والنفق مراقب من الداخل باثنتين وعشرين عدسة تلفازية

ونغادر النفق ، ثم تنضم إلى قافلة السيارات المتجهة إلى القاهرة ، بعد أن أفصحت لنا منطقة القناة بأن الطموح بلا حدود . والتحديات كثيرة ، ومع ذلك فالحياة تتجدد فيها . والخضرة والنماء يمتدان مع امتدادها . □

AKAI

شركة أكاي تقدم
الأفضل في أجهزة الفيديو.

لأكثر من ٦٠ عاماً، قدمت لكم أكاي أحدث أجهزة الفيديو وأكثرها إبداعاً.
وحالياً نقوم بذلك مرة أخرى. فأجهزة الفيديو الجديدة موديل VS-P9 و
VS-R9 تقدم أفضل أداء فيديوي. وذلك سوية مع مزايا خاصة توجد
عادة في مسجلات الفيديو الأكثر تطوراً لدينا.
ومن ذكر التطور، فإن مسجلات الفيديو عالية ... تقدم ... أكثر وظائف
الفيديو البارعة والملائمة عبر سنوات من ... ذاكرة لوظيفة ثنائية والجديدة.
التي تسمح تدريج مسجل الفيديو لأداء سلسلة من حتى أربع عمليات إلى ...
ولمعرفة تفاصيل الأجهزة المتطورة والوظائف ذات التشغيل السهل وجودة
الصورة والموثوقية، راجع الجيل التالي من أكاي.

Quick Start



لاعادة العرض فقط مع بدء سريع
● صورة ساكنة صافية ● حركة بطيئة بمحورين ● تحكم لاسلكي
عن بعد ● وظائف آلية (تشغيل آلي للطفرة/ عرض آلي/ تكرار آلي/ إيقاف العدة عند إخراج
الكاسيت) ● تصحيح رقمي ... ● صندوق ملائم ...



نظام الجودة العالية HQ في التسجيل واعادة العرض
● بدء سريع ● صورة ساكنة صافية ● حركة بطيئة بمحورين ● تحكم
لاسلكي عن بعد ● وظائف آلية ...
... ● تصحيح رقمي
... ● صندوق ملائم ...

NEXT GENERATION

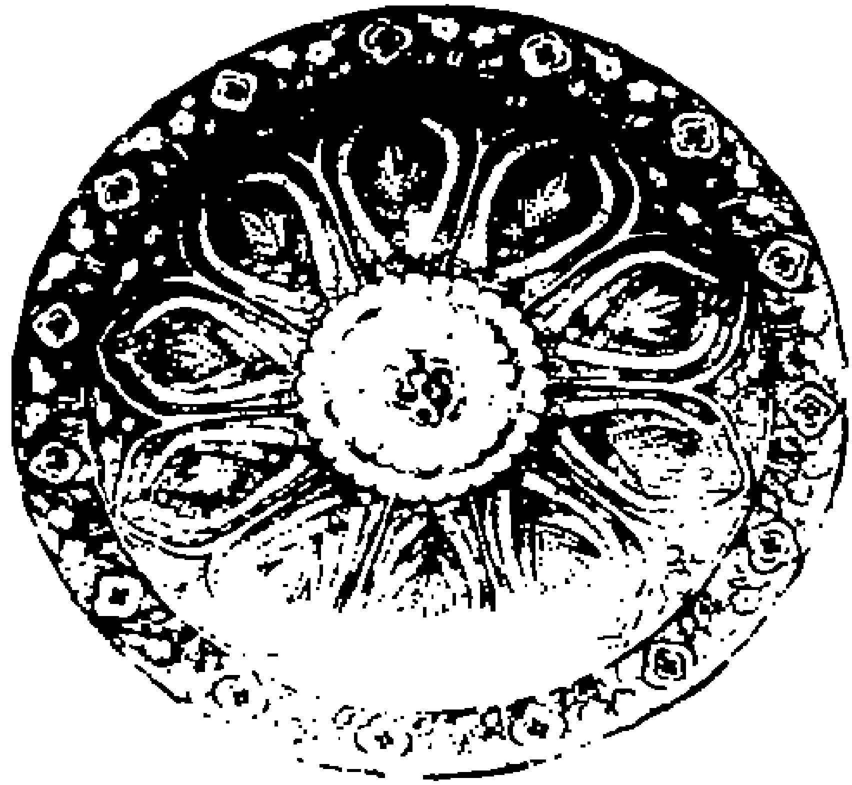


وظائف ... أصبحت متوفرة
● نظام الاستجابة السريعة ● ذاكرة الوظيفة الثلاثية ● إعادة عرض
سرعة ... ● حركة بطيئة ... ● تحكم لاسلكي
آلي ... جودة عالية HQ

ذاكرة الوظيفة ... والحركة البطيئة ...
● نظام ... DX-3 ● نظام الاستجابة السريعة ● ذاكرة الوظيفة
الثلاثية ● إعادة عرض سرعة ... ● حركة بطيئة ... ● تأثيرات
خاصة ● تحكم ... آلي ... HQ

أحدث مسجلات الفيديو من أكاي — مع وحدة تحكم عن بعد LCD
● نظام الرأس DX-4 ● نظام الاستجابة السريعة ● ذاكرة الوظيفة الثلاثية
... ● إعادة عرض سرعة ... ● حركة بطيئة ...
● تأثيرات خاصة ● وحدة تحكم عن بعد ... ذات لوحة عرض
... LCD ● تحكم ... ● ...
العالية HQ ... ٨ ساعات ...

Akai—Creative At Heart.



● صحن من السيراميك التركي (ازنيك) . قدرت قيمته بسبعة آلاف جنيه استرليني ، ولكن وجد من يشتريه بمبلغ ١١,٥٠٠ جنيه استرليني .

قدمت الحضارة العربية في عصور ازدهارها أعمالا فنية ذات تنوع يستحيل حصره : سجاد ومخطوطات ورسوم ، آنية خزفية ومعدنية وزجاجية ، مجوهرات وأسلحة . وكانت صناعة هذه الفنون تزدهر في مكان معين ، وفي مرحلة تاريخية معينة ، لتعود وينطمس ازدهارها في مكان آخر . وكانت هذه الأماكن تتراوح ما بين الهند شرقا وأسبانيا غربا ، والمرحلة التاريخية ما بين القرن الثامن وحتى نهاية القرن التاسع عشر . وهكذا تبين لنا أن الأعمال الفنية المنقولة التي أنتجت في تلك البلدان ، والتي نجمعها اليوم تحت اسم « الفن الإسلامي » هي أكثر من أن تحصى كمّا ونوعا .

وإذا كان قد تم تجميع بعض هذه الأعمال في متاحف وطنية ، فإن عدد الأعمال الفنية الإسلامية التي ما تزال تباع في الأسواق فوق كل إحصاء ويفوق عشرات المرات موجودات المتاحف . ففي أوربا وحدها يباع سنويا ما بين ٤ آلاف و ٦ آلاف تحفة إسلامية حسب ازدهار السوق أو ركودها .

والسؤال هو : كيف يعامل سوق الفن عملا فنيا إسلاميا ؟ وما وضع هذا السوق في الفترة الحالية ؟ وما مشاكله ؟

لا سوق عربية للفن الإسلامي

قبل الدخول في التفاصيل ، نشير إلى أن المقصود بعبارة « سوق الفن الإسلامي » هو السوق الأوربي حيث المزادات العلنية الرسمية والخبراء ، وحتى المجموعات الكبيرة والهواة من عرب وإيرانيين وأوربيين وغيرهم ، ومن المذهل أن يكون سوق الفن الإسلامي في الأقطار العربية ما يزال حتى الآن مجرد سوق متفرقات لا يخضع إلا للعرض والطلب ، وتنقصه الخبرة وتنظيم المبيعات . ولنأخذ على سبيل المثال بيروت ، حيث اشترى أحد الهواة خلال عام ١٩٨٥ نسخة من القرآن الكريم بمبلغ يوازي ٦٠٠ دولار تقريبا ، مع العلم أن النسخة عثمانية من النصف الأول للقرن السابع عشر ولا تنقصها أي ورقة ومحفوظة بشكل ممتاز ومزينة بالذهب والألوان وتزيد قيمتها على ٣٠٠٠ أو ٣٥٠٠ دولار . ومع إشتداد الأزمة الاقتصادية في لبنان منذ صيف ١٩٨٥ ، خرجت التحف والمجموعات الصغيرة من المنازل وعرضت للبيع بأي ثمن . وهكذا فإن مجموعة مؤلفة من تسع قطع من الخزف الإيراني (نيسا بور وكاشان) ويتراوح تاريخ صنعها ما بين القرن التاسع والقرن الثالث عشر بقيت أكثر من شهر في واجهة أحد متاجر الثياب القديمة دون أن تلفت الأنظار إليها ، حتى اختطفها أحد الخبثاء بما يوازي ١٠٠٠ دولار تقريبا ، وهو السعر الذي يدفعه هاو حقيقي ثمنا لقطعة متوسطة من هذه المجموعة ، ويمكننا أن نذكر ذلك البائع البيروتي الذي عرض للبيع مجموعة من ١٠ دنانير أموية من الذهب بألفي ليرة لبنانية للدينار الواحد ، أي ما يكاد يوازي قيمة الذهب فقط ، دون أن يأخذ بأي اعتبار لتاريخ الصك والنوعية والندرة وما شابه .



ويبدو أن تنظيم السوق في القاهرة ليس أفضل حالا مما هو عليه في بيروت . ويمكننا أن نقدم مثلا ، ذلك الفنان المصري الذي ليس خبيرا ، ولكنه صاحب ذوق رفيع واستطاع مؤخرا أن يشتري من أحد متاجر القاهرة خابية فاطمية (وعاء خزفيا كبيرا لتخزين المؤن) محفوظة بشكل جيد بحوالي مئة جنيه مصري فقط .

باختصار يبدو أن سوق الفن الإسلامي في الأقطار العربية ما يزال بحاجة إلى وقت طويل قبل أن يدخل في عصر التنظيم الذي يمنع المفاجآت السيئة والمفارقات الكبيرة سواء أكان ذلك بالنسبة للبائع أم المشتري .

سوق الفن الإسلامي في أوربا

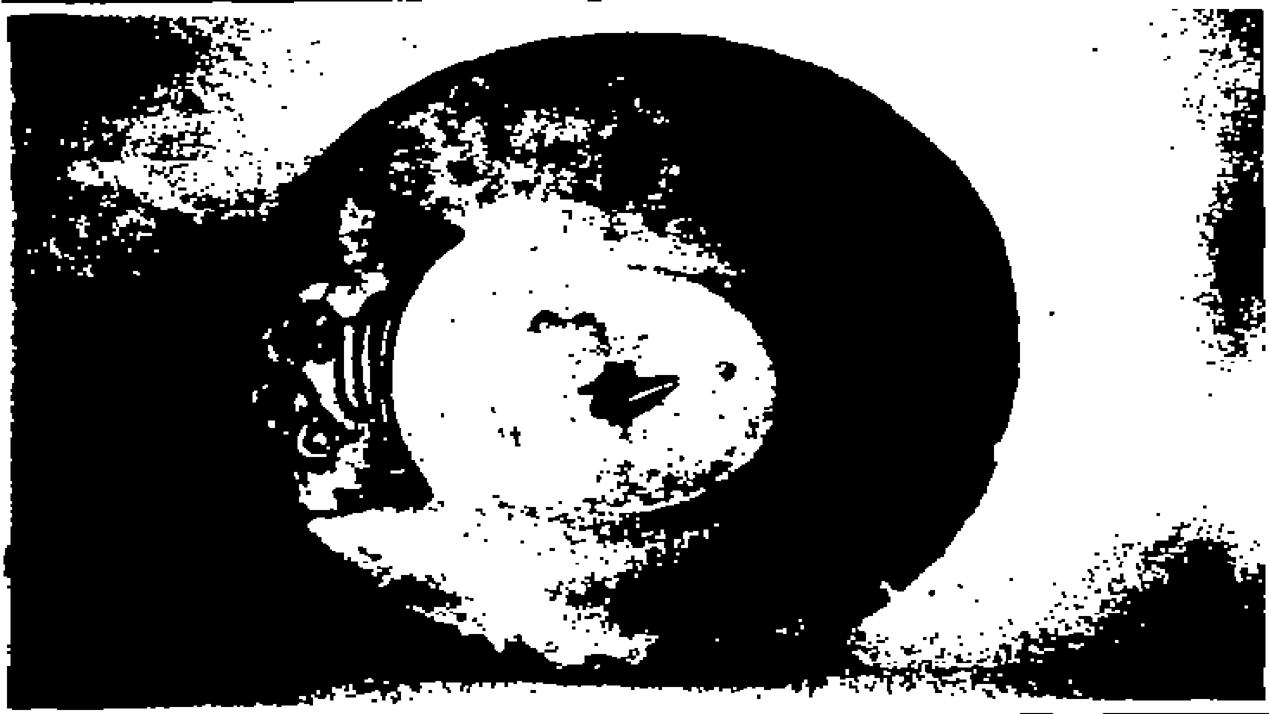
بشكل عام يمكن تقسيم تاريخ سوق الفن الإسلامي في أوربا إلى مراحل ثلاث :

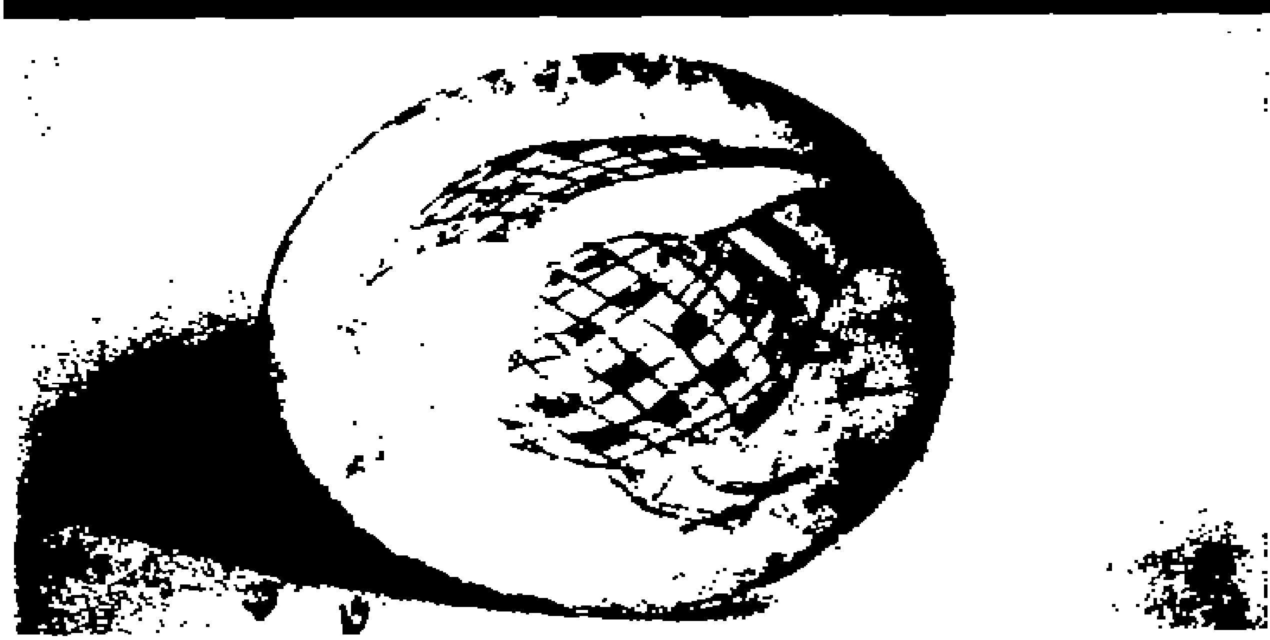
١ ـ مرحلة ما قبل ١٩٧٤ ، التي كانت تتميز بما يأتي :

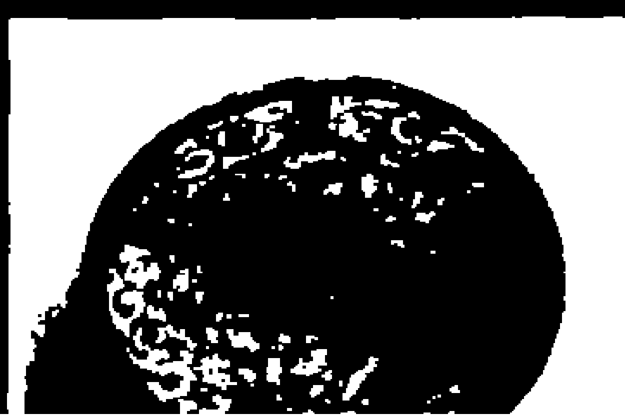
أ ـ معاملة التجار للأعمال الفنية الإسلامية وكأنها متفرقات تباع في المزاد العلني إلى جانب الثريات الأخرى . ولو أخذنا دليل المبيعات في دار المزاد العلني البريطانية « سوتبي » ليوم ١٧ مارس ١٩٦٩ لوجدنا أنه يضم خليطا من الآثار الفرعونية والآسيوية الغربية واليونانية والرومانية وأخيرا الإسلامية .

ب ـ الأسعار المتدنية التي كانت تدفع آنذاك ثمنا للأعمال الفنية الإسلامية . ويمكننا أن نذكر على سبيل المثال أن صحن تركيا (ازنيك) بيع في











المزاد المذكور أعلاه بمبلغ ١٨٠ جنيها استرلينيا أعاد أحد التجار بيعه في لندن خلال العام الثالث بمبلغ ٧٧٥٠ جنيها استرلينيا .

ج ـ أمام الأسعار المتدنية وقلة الهواة ، كانت الخبرة شبه غائبة ، ولم يكن خبراء المبيعات آنذاك يكلفون أنفسهم عناء البحث عن أصل هذه القطعة أو تلك ، أو حتى ذكر مصدر قطعة معينة ، على الرغم من أن هذا المصدر لا يكون في بعض الأحيان قابلا للجدل .

هنا يمكننا أن نشير إلى أن سوق السجاد وحده هو الذي يشكل استثناء ، إذ أنه كان للسجاد في أوربا كما في الأقطار العربية التقدير الذي يستحق والهواة الذين يقدرونه وذلك منذ القرون الوسطى .

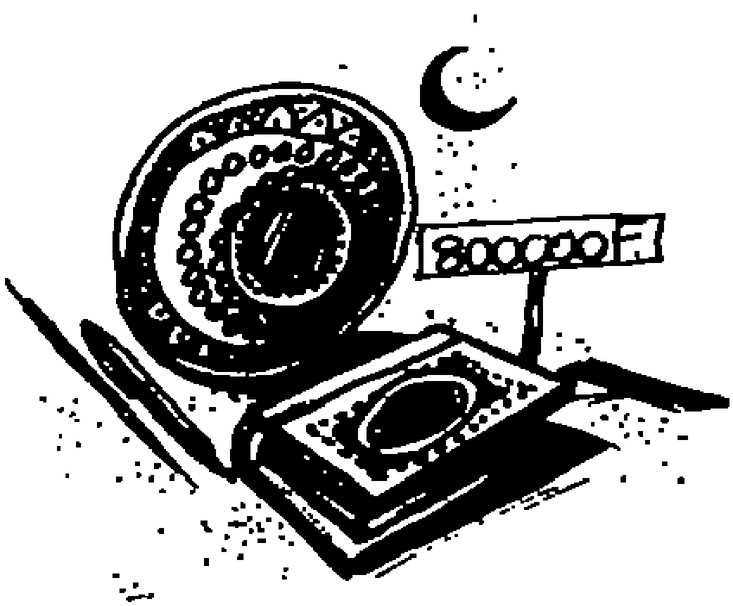
٢ ـ مرحلة تأسيس السوق ما بين ١٩٧٤ ومطلع الثمانينيات :

بعد الارتفاع المثير في أسعار النفط والحظر الذي فرضته الأقطار العربية على تصديره إلى الغرب سنة ١٩٧٣ ، انتبه تجار الفن إلى أن رجال الأعمال العرب والإيرانيين باتوا يملكون ثروات كبيرة . وبسرعة بدءوا بجمع الأعمال الفنية الإسلامية في سوق منظمة ، لها قاعات عرض خاصة بها ، ومزادات علنية خاصة أيضا . وتميزت هذه المرحلة باضطرابات وتقلبات مثيرة قلما شهدها سوق الفن .

فمن ناحية ، ارتفعت الأسعار بين ليلة وضحاها بأشكال جنونية ، في ٨ ديسمبر ١٩٧٨ بيع في باريس إبريق خمرة إيراني من القرن الثالث عشر ، الإبريق مرمم وطلاؤه الزجاجي مشقق ، ويكاد يكون دون أي جاذبية ، ومع ذلك فقد بيع بمبلغ ٨٠.٩٠٠ فرنك فرنسي ، أي بضعف ونصف ضعف السعر الذي كان متوقعا . ومن ناحية أخرى ، ومقابل هذه الأسعار الجنونية ، كانت بعض التحف الحقيقية تباع بأبخس الأسعار ، ففي المزاد نفسه بيعت مزهرية من السيراميك في حالة ممتازة ، وتحمل ختم سلطان آباد وتعود إلى القرن الرابع عشر بمبلغ ٣٥.٧٧٠ فرنكا فقط . وقد بيعت هذه المزهرية التي كانت بحوزة أحد الهواة الأرمن في القاهرة إلى مؤسسة دافيد سيميلنغ الدانمركية . وما بين بيع المزهرية ونقلها إلى الدانمرك انتبهت مديرية المتاحف الوطنية الفرنسية إلى أهميتها ، ففرضت حظرا على تصديرها من البلاد .

وتعود أسباب الاضطراب الذي ميز هذه المرحلة ـ حيث كانت كل المفاجآت متوقعة ـ إلى سببين رئيسين :

أولهما : قلة الخبرة عند الهواة وكان معظمهم آنذاك من الإيرانيين ، ففي ٩ أكتوبر ١٩٧٨ ، دفع أحد الهواة الإيرانيين ٣١.٧٧٠ فرنكا ثمنا لوعاء نحاسي إيراني من القرن الرابع عشر ، قال عنه الخبير إنه : « مطعم بالفضة والذهب » وكان حريّ بالخبير أن يقول « مطعّم حديثا بالفضة والذهب » لأن ذلك الوعاء لم ير الفضة ولا الذهب قبل بداية القرن العشرين . وفي اليوم



الثاني اشترى أحد الهواة الإيرانيين علبة أقلام إيرانية بمبلغ ٤٩٥ ألف فرنك فرنسي . (أي ما كان يوازي آنذاك حوالي ١٠٠ ألف دولار) الأمر الذي يؤكد إصرار الهواة الإيرانيين على شراء بعض الأعمال مهما كان ثمنها ولو فاق هذا الثمن التقديرات المعقولة بعشرات المرات . الأمر الذي كان يؤدي تدريجيا إلى إبعاد الهواة الخليجيين عن سوق باتوا عاجزين عن المضاربة فيه .

والسبب الآخر قلة الخبرة عند الخبراء . ففي ٣١ مايو ١٩٧٩ ، بيع في باريس [illegible] وعاء نحاسي صنع في مصر في القرن الرابع عشر ، ويحمل نصا قرأه الخبير على أنه : « الأمير أسعد الأرشيدي الافنجكي » وهو اسم وهمي لأننا لا نعرف أميرا يحمل اسما كهذا . والصحيح أن النص هو (الأسعد الأرشد الأفخر) وقد بيع هذا الوعاء بمبلغ ١٨.١٠٠ فرنك . وهو السعر المعقول بالنسبة لقطعة تحمل اسم حاكم أو بعد تاريخيا . لكنه باهظ جدا بالنسبة لقطعة تحمل مجرد نعوت .

وإلى ذلك يمكننا أن نضيف الأخطاء التي كانت ترتكب عن جهل أو عن قصد إذ كان بعض الخبراء يرد أعمالا تعود منها إلى بداية القرن العشرين إلى القرون الماضية إضافة إلى التوصيف الأدبي كان يقول أحدهم : « صحن برونزي من القرن العاشر جميل ونادر جدا » . صحيح أن الصحن قد يكون إيرانيا ومن القرن العاشر ولكنه لا يكون جميلا على الإطلاق . ويشبه إلى حد بعيد النماذج الفقيرة الخالية من أي روح والمصنوعة في القرن العشرين .

هنا يمكننا أن نشير إلى أن خبراء الفن الإسلامي في أوروبا هم قلائل جدا . معظمهم من الأرمن أو الإيرانيين . ونذكر على سبيل المثال أن خبيرة الفن الإسلامي في فرنسا ، وحتى المقالات الصحفية التي تظهر حول هذا الموضوع في المجلات والصحف الفرنسية ، يكاد يحتكرها الثالث : منيكيان شيرفاني وأن كيفو ركيان . كما أن الخبراء بعدما لاحظوا الاندفاع المتهور عند الهواة الإيرانيين ، راحوا ينسبون إلى إيران كل قطعة يحتاج البحث عن أصلها إلى بعض الاجتهاد . وهذه العادة السيئة ما زالت مستمرة حتى الآن . في دليل المبيعات عند دار سوثبي ليوم ٢٦ أبريل ١٩٨٢ ، وصف الخبير زجاجة زرقاء اللون طويلة العنق ، بأنها من سوريا أو إيران ، مع العلم بأنه لا غبار على أصلها السوري » .

وأخيرا تميزت تلك المرحلة بتطور مهم وهو ازدهار سوق المخطوطات والرسوم واستقراره ، إضافة إلى الاستقرار الذي كان ينعم به السجاد . وهكذا شهدنا أحد الهواة الألمان يشتري نسخة من القرآن الكريم أهداها السلطان سليم الثاني إلى جامع أدرنة سنة ١٥٧٤ ثمنها ١٣٠.٤٠٠ فرنك ، والهاوي نفسه اشترى نسخة أخرى مغربية من القرن الثالث عشر بمبلغ ٨٥.٣٠٠ فرنك ، أي بأسعار طبيعية ومعقولة جدا .

٣ ـ مرحلة النضوج في الثمانينات .

بعد تغير النظام في إيران وانسحاب عدد كبير من الهواة الإيرانيين من فعاليات المزاد العلني (الذي اشترى علبة الأقلام بـ ٤٩٥.٠٠٠ فرنك أعدم رميا بالرصاص في إيران) اعتقد الكثيرون أن ضربة كبيرة وجهت إلى سوق الفن الإسلامي . ولكن ما حصل كان عكس ذلك .

فبعد فصل هذا السوق عن سوق الأثريات المتفرقات شهدت الثمانينات تطورا مهما تمثل في فصل الفنون الإسلامية بعضها عن بعض . فبات لكل من المخطوطات والنقود والسجاد والآنية التزيينية والرسوم ، مزادات خاصة . وهواة متخصصون في كل من هذه الفنون .

ويعود هذا التطور إلى انحسار عدد الباعة المتفرقين أمام باعة المجموعات الكبيرة . والمجموعات الكبيرة تكون عادة « محترمة » ،



● الشاه عباس وحكام بيجابور . رسم فارسي من القرن السابع عشر اشتراه متحف المتروبوليتان في نيويورك بمبلغ ٢٤٢.٥٧٠ فرنكا فرنسيا .

وأخطاء الخبراء تجاهها أقل من تلك التي يرتكبونها عادة أمام الأعمال المتفرقة والمجهولة . من جهة أخرى انحسر المشترون الذين لا يفكرون لصالح هواة يشترون بتعقل وحذر . الأمر الذي سمح بدخول مضاربين أوربيين وأميركيين إلى جانب العرب والمتبقين من الإيرانيين . وهكذا وجدنا مؤسسة كريم سعيد في لندن تدفع مبلغ ٨٠ ألف جنيه استرليني في ابريل ١٩٨٢ ثمنا لنسخة مملوكية من القرآن الكريم كتبت « برسم مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي » . وهو رقم قياسي يدفع ثمنا لمخطوطة اسلامية . وفي اليوم نفسه (٢٦ ابريل) دفع أحد الهواة ١١,٥٠٠ جنيه استرليني مقابل صحن تركي (ازنيك) كان ثمنه مقدراً بـ ٧٠٠٠ جنيه استرليني . كما أن مخطوطة لأحد كتب العالم العربي المشهور البيروني نسخت في تركيا سنة ١٢٣١ بيعت بـ ٧٠ ألف جنيه استرليني في حين أنها كانت مقدرة بما يتراوح بين ٢٠ ، ٣٠ ألفا فقط .

وفي ٢٤ حزيران ١٩٨٢ ، تمت بعثرة مجموعة كيفورك أسايان في المزاد العلني (وهو صهر الثرى المعروف غولبنكيان) . وجاءت النتيجة « الأكثر طبيعية » على حد تعبير المراقبين والخبراء . ويمكننا أن نذكر منها صورة الشاه عباس وحكام بيجابور التي تعود إلى القرن السابع عشر (٤١.٣ × ٣٠.٩ سم) والتي اشتراها متحف المتروبوليتان في نيويورك ، بمبلغ ٢٤٢.٥٧٠ فرنكاً فرنسياً . وهو سعر طبيعي وجيد بالنسبة إلى قطعة جيدة وذات نوعية عالية .

ولكن ، ولحسن الحظ فان ارتفاع أسعار الأعمال المهمة بهذه الأشكال المثيرة لم يبعد الهواة الصغار وأصحاب الامكانيات المتوسطة . إذ ما يزال بالامكان شراء بعض الأعمال الجيدة بأسعار معقولة بالنسبة للهواة الصغار . وخصوصاً في مجال الآنية المعدنية والخزفية وحتى في مجال الرسوم . ففي مايو ١٩٨٢ بيعت مجموعة كبيرة من الرسوم الإسلامية العائدة إلى مدارس مختلفة من راجستان (بونلدي ، مروار ، جايبور ، كوتاه ، وبيكانير) وذلك بما يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ فرنك فرنسي . إذ يبدو أن الرسم الإسلامي الهندي ما يزال مجالا غير مستكشف .

باختصار ، بات سوق الفن الإسلامي يحقق مجالين مختلفين لنوعيتين من الزبائن : المخطوطات والرسوم إضافة إلى السجاد ، كمجال للاستثمار لهواة يحبون الطمأنينة، والآنية المعدنية والخزفية ، للشجعان والمغامرين منهم . □

البيت العربي
مجلة الاسرة والمجتمع



قليل من الثقافة التربوية
كثير من الثمار الناضجة !



علم نفس الطفل وسلوك الأطفال

بقلم : الدكتور صفاء شعيا*

« الى جانب النمو الجسدي والعقلي للطفل هناك نمو آخر ، غير منظور ، وهو النمو النفسي الذي يتطور عبر مجموعة الخبرات والأحداث والانطباعات التي تشكل عالمه الداخلي ، وتلعب دوراً مهماً في تكوين شخصيته وتطورها في المستقبل . »

يعرف النمو علمياً بأنه تطور فيزيائي وتكامل هيكلي قد حدث في جسم الإنسان ، كزيادة الطول والوزن ، وتغير الأعضاء الداخلية . وخلال عمليات النمو هذه هنالك تطور طبيعي ، يأتي نتيجة للتغيرات الحادثة في جسم الإنسان وأعضائه .

في مراحل نمو الطفل يتعرض لضغوط نفسية تتفاعل

* كاتب من القطر العربي العراقي

مع المرحلة الطبيعية لحالة الطفل النفسية ، يمكن أن تكون وراثية ، بيئية ، أو حالات اجتماعية وعائلية ، كفقدان صديق عزيز ، أو انتقال العائلة إلى مكان آخر ، مما يجعل الطفل مجبرا على تغيير مدرسته وأصدقائه ، مما قد يؤثر عليه لفترة ما . وأغلب الأطفال يتفاعلون مع الضغوط بتصرفات متعددة على شكل أحلام ليلية ، أو التبول في فراشهم ، أو الخجل ، أو العصبية ، أو العناد ، أو تزايد الخوف عند مشاهدة برامج تلفزيونية ، أو سماع قصة مخيفة . والوالدان هما أول من يعلم بهذه الأفعال . وعند ملاحظة التغير في تصرفات أطفالهما ، يجب عليهما إهمالها وتركها للزمن ليحلها .

الاضطراب والاختلال :

لكن الطفل المضطرب نفسيا ليس مختل العقل وإنما تكونت لديه حالة نفسية ، نتيجة تعرضه لأنواع من المشاكل التي واجهته . ولرد الفعل عليها من قبل الوالدين ، هنا يجب التخفيف من الضغوط على الطفل ، التي قد تتطور وتصبح معقدة ، صعبة الحل ، وبخاصة في حالة إهمال الأهل في أمور يعجزهم عن التعرف على عناصر الضغوط وأسبابها . كذلك يلعب الخيال دورا كبيرا في عدم التعرف على منابع هذه الأسباب .

لذا يجب على الآباء تهيئة جو نفسي ملائم للطفل ، وعدم وضعه في مواقف نفسية صعبة ، بحيث يجعله ينفعل ويتفاعل مع الأحداث التي تصاحب مجرى حياة الأسرة . ومما لا شك فيه أن قابلية التحصين والاستجابة لمثل هذه العوامل ، تختلف درجتها بين طفل وآخر ، كما أن فترة الحمل غير المرغوبة قد تؤثر على نفسية الطفل المولود . وقد تصاحبه طوال فترة حداثته ، وقد تسبب له حالات مثل النزعة العصبية ، والحساسية ، والعداء المستمر ، والعصبية التي تؤدي إلى التأخر في التحصيل الدراسي .

إن العوامل الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بالأسرة لها تأثير سيئ على متابعة تقدم الطفل ، وتطور مراحل نموه المختلفة من الشخصية التي تتأثر بها ، وبحسب قدرة الفرد وقدرته على تحمل الأحداث المختلفة .

وكثير من الأسر تعتقد أن الطفل يجب أن يكتسب وقت صغره بعض العادات والتصرفات ، حتى في تعامل الأطفال مع من هم أكبر منه سنا . وهذا



ليس ضروريا ، فمما لاشك فيه أنه سيكتسب كثيرا من العادات ولكن ليس اكتسابا حرفيا .

وقد أجريت دراسات ضمن مناطق في دول العالم الثالث ، ومن خلالها تبين أن الأطفال القرويين استطاعوا أن يثبتوا أهميتهم في جميع الاختصاصات ، على عكس ماثبت في تلك التجارب التي أجريت في مجتمعات متحضرة . إن أبناء تلك المجتمعات لم يحققوا ماحققه آباؤهم ، وهذا يؤيد الكلام السابق ، فليس من الضروري أن يتبع الطفل مواضع أقدام أسرته وخطاها .

المراهقة :

تعقب هذه المرحلة فترة المراهقة ، وهي من الفترات الطبيعية في حياة الفرد ، فيجب على الأسرة فهم هذه المرحلة على الأخص وإدراكها ، فالمحيط العائلي له تأثير بالغ على بلورة وتقدم فكر الطفل ومساعدته على تجاوزها بسلام . والمراهق الذى يمر بظروف طبيعية يقدر أن يلازم ويصاحب الأحداث مهما بلغت شدتها ، وعكسها بأسلوب يمكن ملاحظته عن طريق سلوكه وتصرفاته مع محيطه وبيئته . وقد يكون العكس هو الصحيح ، حيث تتولد للمراهق أزمة بسبب زملائه في المدرسة أو في بيته ، ففى هذه الحالة يجب على الأسرة الاستعانة بالمدرس أو المختص في حل المشكلة وتلافيها . كذلك يجب على الأسرة تقبل وتحمل السلوك غير المقبول اجتماعيا والذى قد يستمر مع المراهق لفترة ما ، حتى يتم تصحيح الوضع وتجاوز هذه المرحلة .

ولمعرفة سبب حدوث مثل هذا الاضطراب النفسي ، يجب دراسة مراحل تطور الطفل أولا ، وثانيا التعرف على السبب الذى كدره وأزعجه ، وخلق منه طفلا حركا ومتمرداً . وللوقاية يجب على الأهل عدم اهمال الطفل لفترة طويلة لئلا تنعكس بأسلوب سلبي قد يؤثر على مستقبله .

ومن المعروف أن الطفل يتأثر في حداثته بعاملين أساسين هما المجتمع والمدرسة . ويحتاج الطفل هذين العاملين ، لإبراز اهتمامه وحث عقله وتفكيره على النمو والتطور الطبيعي .

ويتكيف الطفل ويتدرب لهذين العاملين حسب القيم والأفكار والعادات المحيطة به مع تلك المجموعة البشرية من حوله ، المؤثرة على وضعه النفسي في ابراز قابلياته وأفكاره



وحركاته التي تحتاج الى التوجيه بين الحين والآخر .

الطفل والمجتمع :

بمقدور المجتمع « نظريا » ان يساعد الأطفال ويخلق منهم جيلا متطوراً نفسيا وصحيا ، وقادراً على تفادي الضغوط ومعرفة مصادرها . لهذا يجب على المجتمع عدم اهمال القيم الأساسية في خلق جيل صحي من خلال توجيه الارشادات وتطبيق النظم التي من شأنها التخلص من المشاكل التي لاضرورة لها . فالمدرسة مثلا ليست مكاناً للتعلم فقط ، ولكن لها تأثيرا بليغا في تهيئة الطفل وتنشئته من خلال خلق جو مريح وجيد ، وهو أمر له تأثير مباشر على نفسية الطفل وشخصيته . فالمدرس داخل الفصل له واجبان أساسيان ، الأول : هو اتاحة الفرصة التعليمية لتلاميذه ، والثاني : اعطاؤهم نوعاً من الخبرة العملية التي اكتسبها خلال فترة حياته ، وهي خبرة تؤثر في عملية النضج الفكري للأطفال في المراحل المتأخرة من حياتهم .

ومن الضروري أن تكون للمدرس تقديراته المعقولة لقدرات الطفل ، وتفاعله الايجابي داخل الفصل ، وتعرفه الشامل على نقاط الضعف في ناحية ما ، ودراسة إمكانية تصحيح هذا الضعف .

وعلى هذا الضوء يمكن للمدرس أن يحدد مقدار التقدم أو التخلف الذي يؤثر على نفسية الطفل وتكوين شخصيته . وكثير من المدرسين يستعملون الأسلوب التوبيخي المستمر لايقاف التصرف الوقتي وغير المقبول الصادر عن الطفل . وبالمقابل يكون الطفل حساسا جدا ويتأثر بالتوبيخ لكن هذا لايعني ترك الطفل يفعل مايشاء دون حساب ، وإنما يجب تصحيح ماقام به من عمل غير مقبول ولكن بصورة ايجابية .

وقد يواجه المدرسون مشاكل داخل الفصل الدراسي من تصرفات غريبة ، نتجت عن ظروف أسرية أو بيئية ، وقد تكون في بعض الحالات مشاكل دراسية معقدة .

وفي مثل هذه الحالات حيث تحدث التصرفات الفجائية وغير المقبولة فإنها تكون نتيجة لعدم ترابطها المنطقي ، وازدياد ترددها نتيجة لاثارة خارجية ، وهذا يوجب على الأسرة والمدرسة معرفة ماذا جرى في عالم الطفل الداخلي من أسباب جوهرية ، والمبادرة الفعلية الى حلها وتلاشيها جذريا ، وإعادة ثقة الطفل بنفسه لئلا تنعكس عليه سلباً بما يؤثر على حياته المقبلة . □

سل طبيب الأسنان :



المعلم : أين كنت أمس يا عزيزي ؟ ولماذا لم تأت إلى المدرسة ؟
التلميذ : تغيبت يا أستاذ لوجع بضرسي .
المعلم : وهل انتهى الوجع الآن ؟
التلميذ : لا أدري
المعلم : كيف لا تدري ؟ ! هل من ألم بضرسك أم لا ؟
التلميذ : لا أدري ، فإن طبيب الأسنان خلع الضرس وأبقاه عنده .

قليل من الثقافة التربوية كثير من الثمار الناضجة!

بقلم : الدكتور حسان محمد حسان

كيف يمكن لوالدين غير متعلمين أن ينشئا ابنا مبدعا ؟ وكيف يمكن لسلطة قهرية أن تنشيء أبناء أسوياء ؟

تساؤل ، ومناقشة ، واقتراح .

المقصود بتربية الأمهات والآباء توجيه برامج منظمة ، عن طريق مؤسسات متخصصة ، تتبع أساليب التربية المستمرة ، بحيث يتم من خلالها إكسابهم معلومات ومهارات واتجاهات عن أفضل أساليب التعامل مع أبنائهم ، وأفضل أساليب مساعدتهم على التحصيل الدراسي الجيد : قبل الالتحاق بالمدرسة ، وبعد الالتحاق بها ، وأثناء العطلات الصيفية والإجازات المعتادة .

ومثل هذه البرامج المنظمة ينبغي ألا تقتصر على المعلومات والنظريات ، بل لابد أن تتاح فيها فرص التدريب الكافية ، عن طريق استراتيجيات وأساليب متعددة ، بحيث يكتسب الآباء والأمهات القدر اللازم من المعارف والدرايات المتجددة التي تساعدهم على فهم سلوك أولادهم ، وتفسيره التفسير الأشمل ، ثم مساعدتهم على عمليات التحصيل الجيد ، والأداء السليم ، طوال العام الدراسي ، ثم أثناء الاختبار والتقويم .

الأسرة ونجاح التلميذ

وعلى هذا الأساس فليس المقصود أن تسهم الأسرة في نجاح التلميذ بطريقة صناعية مفتعلة - مثلما يحدث في الدروس الخصوصية - بل المقصود الفهم والهضم ، الاقتناع والتمثل ، بحيث يرتفع المستوى الحقيقي لتحصيل التلاميذ ، بطريقة طبيعية تراكمية ، تبدأ من بداية العام وليس قبيل الامتحان

وبطبيعة الحال فمثل هذه البرامج لابد أن يشترك في تخطيطها وإعدادها ، وتقديمها ومتابعتها ، خبراء نفسيون وتربويون واجتماعيون ، يشملون ميادين متعددة ، مثل سيكولوجية ، الأطفال والمراهقين ، والارشاد النفسي والاجتماعي ، والتعلم والتقويم ، والنشاط والترويح . وبذلك يستطيعون تغطية مجالات ومستويات متعددة في سلوك الآباء والأمهات ، والتلاميذ والمعلمين .

وعندما تركز هذه البرامج على دور أولياء الأمور في التحصيل

التراضي لأبنائهم فينبغي أن تحدد الطفل أساليب هذا الدور، والوقت المناسب لها. وأكثرها إثارة للابتكار. وحفزا للمواهب، بدلا من أساليب الحفظ والتلقين التي نعدها جميعا أنسب طرق النجاح والتفوق

ومن المؤكد أنه لكي تنجح هذه البرامج في مجتمعاتنا العربية فلابد أن تسبقها دراسات جادة عميقة عن كيف نربي أولادنا في المنزل والمدرسة؟ وما الدوافع والوسائل التي نستخدمها للاستثارة والحفز؟ وما أنواع الثواب والعقاب ودرجاتها وتوقيتاتها؟ وكيف يتوزع بينه القوة بين الأب والأم؟ وفي أي المواقف يظهر تأثير الأب أكثر؟ وفي أي المراحل يظهر تأثير الأم أكثر؟ وما أنواع العواطف والمشاعر والاتجاهات بين الوالدين والأبناء؟ وفي أي مرحلة تبدأ المقارنة بالآخرين من الأقران لولا ثم الكبار ثانيا؟ وفي أي مرحلة يبدأ الصغار في السلوك بطريقة الكبار؟ وهل تأتي هذه المرحلة طبيعية أم مدفوعة وقهرا؟ وما الأساليب التي يعتمد عليها الطفل لاكتساب معارفه وتغيير اتجاهاته؟ وما الأساليب التي يعتمد عليها الآباء والأمهات لكي يساعدوا أولادهم على حل مسألة حساب أو ترجمة نص أو كتابة موضوع إنشاء؟ وهل يشترك الإخوة الكبار في مساعدة الإخوة الصغار؟

عشرات الأسئلة والاستفسارات أزعم أنها غير مدروسة عربيا على الإطلاق. أو أن معلوماتنا عنها مشوشة مشوهة معتمدة على الرؤية أو مترجمة عن الكتب الأجنبية.

قضية الشرائح

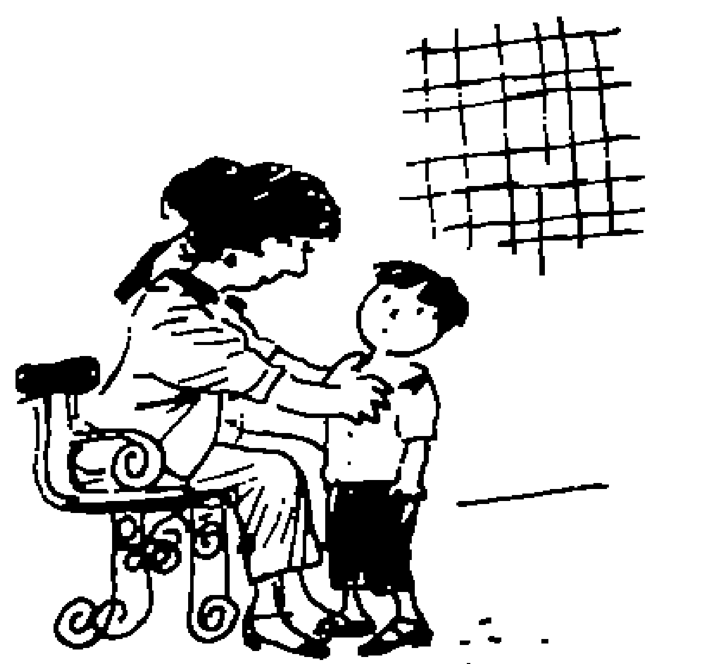
وفي هذه الموضوعات لايصلح التقليد أو الاختيار، لأن هذه السلوكيات، وما يرتبط بها من مشاعر واتجاهات. تنبع من منابع الثقافة الشعورية واللاشعورية. بطريقة واضحة وخفية جدلية ومعقدة، وبأساليب عميقة متجذرة، تبدو كأنها فطرية. في حين أنها موروثة اجتماعيا بتلقائية وبساطة. تختلف في جزئياتها وتفاصيلها من مجتمع إلى آخر، وربما من شريحة إلى أخرى، داخل المجتمع الواحد

وحتى البرامج هذه لايمكن النظر إليها من الناحية الطبقية بمفردها. بل من جوانب متعددة أيضا. مثل درجة تعليم الآباء والأمهات. وحدودهم الثقافية. والأساليب التي تربوا عليها. والنظم التي حكموا بها

من هنا فثمة إشكاليات حقيقية نواجهها في هذه النقطة فكيف نطلب من الآباء والأمهات الأميين مشاركة أطفالهم ترفع مستوى تحصيلهم؟

وكيف نطلب من الآباء والأمهات تدريب أطفالهم على الابتكار والإبداع في حين أنهم عاشوا ويعيشون مجتمعا سلطته متحكمة، وضغوطه قاهرة؟

ولهذا، في كثير من الحالات، تصبح أهداف الإبداع والابتكار، الاكتشاف



والاختراع ، شعارات أكثر منها مسارات ، بحكم ضغوط الأسرة والمجتمع الذي ينجح في وضع شعارات خلابة وتطلعات راقية ، من غير ترجمة فعلية وتطبيق حي .

مبررات تربية الآباء والأمهات :

ثمة مبررات كثيرة ، تدفعنا إلى ضرورة الاهتمام بهذا الموضوع ، لعل أهمها المبررات الخمسة التالية :

ـ أن الكثير من الآباء والأمهات تربوا وسط ظروف وقوى ، فيها المرغوب الذي يجب استمراره ، والمندوب الذي يحسن استمراره ، والمكروه الذي ينبغي التخلص منه .

وبالفعل فقد تغير بعض هذه الظروف والقوى حاليا ، وينبغي أن يتغير بعضها مستقبلا ، لأنه من المستحيل أن تستمر أسرى هذه القيود والحدود .

ـ أن التغيرات الكاسحة التي تحيط بنا ، وتزحف من تحتنا ، تحتاج إلى بصر وبصيرة ، ذكاء وحرص ، لابد فيها أولا من جهد الأسرة وعطاء المنزل .

وعندما نقول أولا فالمقصود أن نقطة البداية تنطلق من العلاقات الأسرية والخلفية الثقافية التي تشكل الطفل وتربيه على قيم معينة وسلوكيات محددة .

ـ أن ضغوط الحياة الراهنة ، وإيقاعها السريع المتقلب ، وتحدياتها القاسية الحادة ، قطعت كثيرا من الروابط الاجتماعية ، ومزقت بعض مظاهر الحب والحنان التي كان يحظى بها الصغير من الأسرة الممتدة والأسرة الصغيرة ، وتكفي الإشارة إلى مجموعة علاقات حل محلها بديل تقني معاصر : فبعد أن كانت أغنيات المهد ، وحكايات الجدة والأم ، والصلة المباشرة المادية والمعنوية تساعد طفل الأمس على النوم ، تحلقت بعض أسر اليوم حول جهاز التلفاز ، لايلتقون بوجوههم ، بحكم أن الشاشة محور الاهتمام ، وبؤرة الاستقطاب .

ومع الضغوط والتحديات صار بعض الآباء والأمهات أميل للفردية والأنانية منهم للجماعية والإيثار .

صحيح أن مجتمعنا العربي لم يصل إلى درجة الأنانية والفردية الغربية إلا أن التحديات والصعوبات بدأت تحفر خطا قد يتحول إلى ندب عميق ، يمزق الأوصال ويفتت الصلات .

ـ أن تجديدات المنهج وطرائق التدريس داخل المدرسة يلزمها فهم ودعم وتعاون ومساعدة من المنزل ، وبعض هذه التجديدات ربما لن يتم اذا استمر المنزل بوسائله نفسها وطرائقه عينها . من هنا لابد من إعادة تدريب الأمهات والآباء ، والحد الأدنى أننا إذا لم ننجح كل النجاح فقد ضمنا ـ على الاقل ـ ألا يصبح المنزل عقبة تحول ، وعائقا يمنع .

ـ أن بعض الآباء والأمهات لديهم نوعيات خاصة من الأبناء ، بعضهم معاق بدرجة من الدرجات في حاسة أو حواس ، وفي قدرة أو قدرات ، وبعضهم في طريقه إلى إعاقة أو مزيد من الإعاقات . وفي داخل الأسرة نفسها ربما نجد طفلا آخر لديه سمة أو سمات الابتكار والإبداع في فن من الفنون أو علم من العلوم .

وفي جميع هذه الحالات فإن هؤلاء الأطفال يحتاجون رعاية خاصة ، ومعاملة أسرية معينة ، بحيث تسهم مع المدرسة في تقليل نسب الإعاقة ، واستثمار إمكانات الفرد أفضل استثمار بشري ممكن .

والمعروف أن بعض أنواع إعاقة الأبناء ودرجاتها قد تترك آثارا نفسية وعصبية مرهقة على الوالدين ، لاسيما على الأم ، مما يتطلب برنامجا نفسيا وتربويا وصحيا متكاملا للإرشاد والتوجيه ، بحيث يتدربون على المعاملة الأفضل ، والأساليب الأنسب لتربية أبنائهم المعاقين وتعليمهم .

وإذا كانت المبررات الخمسة السابقة توضح لنا بالتحليل الاجتماعي ضرورة الاهتمام بإعادة تربية الآباء والأمهات ، لخدمة شخصية ومستوى تعليم أبنائهم ، فإن بعض الدراسات الميدانية تؤكد ذلك .

ومن هذه الدراسات دراسة أجريت بمدينة درام ، بولاية نورث كارولينا الأمريكية ، ونشرت عام ١٩٨٥م ، وكانت على عينة من الأطفال ، تتراوح أعمارهم بين ٤ - ١٤ سنة ، وعلى آبائهم وأمهاتهم أيضا .

وخلال هذه الدراسة كان الآباء والأمهات يحضرون اجتماعا أسبوعيا إرشاديا مدة ساعتين ، وفي التوقيت نفسه كان الأبناء يحضرون اجتماعا مماثلا في طابق آخر من المبنى نفسه .

وطبق الباحث على الأبناء مقياساً سلوكيا معيناً قبل هذه الاجتماعات وبعدها ، وحاول الباحث إدراك الصلة الاحصائية بين عدد مرات حضور الآباء هذه الاجتماعات ، ومعدل استجابات أطفالهم على هذا المقياس . وتبين له في النهاية أن الأطفال الذين حضر آباؤهم ، مايزيد عن ٥٠٪ من اجتماعات الآباء ، حصلوا على معدل ٧,٩٨ في هذا المقياس . في حين أن الأطفال الذين حضر آباؤهم ، أقل من ٥٠٪ من الاجتماعات ، حصلوا على ٤,٦١ فقط في هذا المقياس .

ومثل هذه النتيجة - وغيرها - تزيد ثقتنا في ضرورة الالتفات إلى دور المنزل في التحصيل الدراسي والتكيف الاجتماعي ، وضرورة إعادة تربية الآباء والأمهات لضمان نجاح الأبناء وتفوقهم . ويبقى تساؤل أخير نحاول بالنقطة التالية الإجابة عنه :

وسائل تربية الآباء والأمهات :

هناك عدد من الوسائل يمكن اقتراحها في هذا الصدد ، منها :

- تنظيم دراسات حرة مفتوحة ، لكل من يرغب من الآباء والأمهات ، بدون شرط أو قيود معينة . ويمكن لكليات وأقسام متخصصة متنوعة الاشتراك في تقديم هذه الدراسات .

- تنظيم دورات تنشيطية مكثفة وعادية ، عن طريق مراكز خدمة المجتمع ، لتوعية الآباء والأمهات وتدريبهم على رفع مستوى كفاءة تحصيل أبنائهم .



- استثمار دور العبادة والاعلام ، والنوادي ، وغيرها من وسائل التربية غير النظامية ، لحفز الاهتمام بهذا الموضوع ، وإثارة الدوافع بالنسبة له ، وتقديم الخدمات الإرشادية اللازمة .

- تنظيم لقاءات وندوات للآباء والأمهات ، عن طريق الاخصائيين المتمرسين في هذا الميدان ، بحيث لاتكرر الأسرة دور المدرسة . وفي الوقت نفسه لا تتعارض معها أو تناقضها .

- تدريب المعلمين أنفسهم على أفضل أساليب التعاون مع المنزل ، بحيث لاتستمر دائرة الاتهام قائمة : الأسرة تتهم المدرسة ، والمدرسة تتهم الأسرة ، بدون حلول ناجحة .

- تبادل الاتصال والتنسيق بين المدرسة والمنزل ، عن طريق السجلات ، والاتصال الهاتفي ، واللقاءات الدورية .

والمهم في كل هذه الوسائل والمقترحات أن يتأكد لدينا أن نقل الحلول غير متيح ، والتقليد والمحاكاة غير مفيدين ، لأن نجاح هذه الوسائل يعتمد على عوامل ثقافية ومجتمعية لها خصوصيتها الواضحة . وتميزها المستقل ، بحيث لابد للمفكر والمربي العربي من اكتشاف الوسائل والمقترحات المناسبة للثقافة العربية ومالها من روابط وعلاقات اجتماعية ، وبناء للقوة يحكم الأسرة ويحكم المدرسة . □

هو.. هي

فنان ولكن..!

لكن رجل أحلامه. وقد تكون لديه أوهامه أيضا. وأعتقد أن من حق كل منا أن تكون له أحلامه. وقد كان حلم زوجي منذ زمن طويل أن يكون كاتبا كبيرا. يشار إليه بالبنان. لكن لأنه كان متفوقا بالمواد العلمية أثناء دراسته. بالإضافة إلى ضغوط اجتماعية وعائلية. وجد نفسه يكمل دراسته العلمية في الجامعة أيضا. ودون أن يدري - حسب تعبيره - وجد نفسه طبيبا. إلا أن حنينه للكتابة والأدب بقي موجودا، وبقي هو ينتظر الفرصة لإخراج هذه الموهبة المكبوتة!.

إلى هنا والمسألة بسيطة. إلا أن الأمر بدأ يأخذ شكلا جديدا، وربما استفزازيا، حين أخذ يكرر على مسامعي، بأنني أنا والأطفال السبب الذي يحول دون إتمام مشاريعه الكتابية. وأن مطالبي الكثيرة، وضجة الأولاد وحركتهم الدائمة هي التي تعيقه عن الكتابة. وحين كنت أقول له: إنه لا يتبقى له من وقت بعد دوامه الطويل أثناء العمل ومتطلبات مراجعه وكذلك متطلبات متابعة الجديد في الطب، كان يغضب ويثور، ويسألني بطريقة كانت تبدو أحيانا مضحكة. وأحيانا أخرى مزعجة، وكيف كان تشيكوف ويوسف إدريس وغيرهم من الأطباء يجدون مثل هذا الوقت لإبداع قصصهم ومسرحياتهم.



لكن زوجي ليس من النوع الذي يقتنع بسهولة، وكان لابد لي من إقناعه بعبث محاولاته. لذا اتخذت القرار.

قلت لزوجي: إنني مسافرة لشهر إلى حيث يقيم أهلي. وأن هناك أمورا يجب أن أفعلها. وحججا يجب علي أن أقضيها. وحين نظرت في عينيه كادت الابتسامة تخونني. حين لاحظت فيهما حزنا مفتعلا على فراقي وفراق الأولاد. لكنني تماسكت وتصببت. وأنا شبه واثقة أنه لن يفعل أثناء غيابي شيئا، ولن يكتب «ملحمته العظيمة».

إلا أنني لم أمكث هناك طويلا قبل أن يأتيني صوت زوجي عبر الهاتف، يطلب مني الحضور فورا. ولم أناقش، ليس لأنني أعرف أن النقاش لا يجدي عبر الهاتف، بل لأنني كنت أخشى أن تفضحني ضحكتي عن هذا الموقف العشي. وكحزمة من حقائب النساء أخبرته أنني لن أتأخر سريعا، ولكن بعد ساعات قليلة كنت أحزم حقائبي استعدادا للعودة.

.. هي

مشاريعي المؤجلة

● لا أعتقد أنني بحاجة إلى القول بأنني أحب زوجتي وأطفالي . ولكن لأنني لست شاعراً أو أديباً فإنني كثيراً ما أجد نفسي عاجزاً عن شرح مدى حبي لهم . ولكنني كثيراً ما أمسك نفسي متلبسة بحالة غريبة بعض الشيء . إذ بأنني في وقت من الأوقات أنسى بأن وجود زوجتي وأولادتي إلى جانبي يومياً مسألة متشابهة ، بالإضافة إلى أن وجود الأطفال الدائم في المنزل يمنعني من تحقيق أشياء كثيرة كنت أظن أن بإمكاني تحقيقها .

وحين كنت أقول لها : إن لي مشاريع كتابية ، أود أن أنجزها ، كانت ترد قائلة : إن الكاتب لا ينتظر حتى يفرغ المنزل من كل سكانه حتى يستطيع أن يكتب . وإن تمادت قالت : إن الكتابة بحاجة إلى جو خاص ، ستشهدت بأمثلة لا تحصى لكتاب وفنانين وشعراء كانوا يبدعون أعمالاً عظيمة في ظروف أصعب . ولكن لا يقاس بظروفي ، وإن قلت لها : إن لكل كاتب أسلوبه الخاص وطريقته الخاصة في الكتابة . وإن بعض الناس قد يبدعون في أسوأ الظروف ، لكنني لا أستطيع الخروج إلا إذا توافرت لي أجواء هادئة مريحة تساعد على الكتابة والإبداع خاصة وإن العادة قد وصلت إلى مرحلة متقدمة من العصبية ، تحصرني معها أنه كتب علي أن أكون من نوع لا أرى من الكتابات ، أو إلا الخروج من الأساس لأتفرغ للكتابة التي لن تأتي .

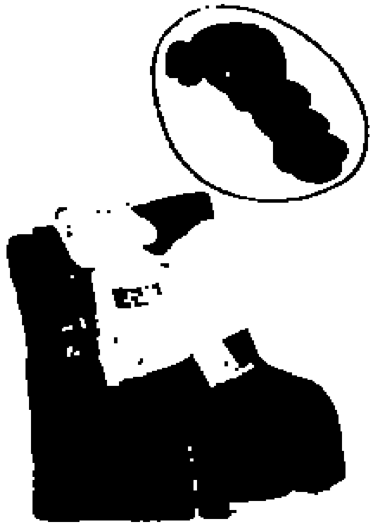
ولكن أخيراً ، وبدون قصد أو تدبير مني . صعدت زوجتي تسافر إلى مدينة أخرى حيث يقيم أهلها . أعترف بأنني فرحت في البداية لأن الفرصة قد واتتني أخيراً ، إلا أنني لم أظهر ذلك لزوجتي . حرصت على عدم إغضابها أولاً . وحتى لا أتيح لها فرصة العودة عن قرارها بدافع العند فيما لو عرفت حقيقة شعوري .

على أن ما حدث كان عكس ما توقعت تماماً . فما أن غابت زوجتي والأطفال ، حتى لفت الوحشة المنزل ، وعم الهدوء . لكنه كان هدوءاً غير مريح . فجلست في البيت غير مستقر فترة من الزمن . خرجت بعدها إلى الشارع . وعدت لرؤية أصدقائي القدماء . ورجعت إلى عادة الخروج إلى المقهى من جديد .

ولكن بعد أيام قليلة وجدت نفسي أمسك سماعة الهاتف ، وأطلب منها الحضور فوراً .

● في اليوم التالي كان المنزل يضج بالحيوية ، وأدركت أن مشاريعي المؤجلة لن تأتي بعد .

..هو





طبيب الأسرة

قضايا منزلية

في البيت مريض بارتفاع ضغط الدم

«أنت طبيب نفسك»

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

طبيب اليوم الأمهر هو الذي لا يصف لمريضه دواء . فإذا لم يكن من الأمر بد فالعقاقير في أضيق الحدود . بعد أن مضى زمان الوصفات المتخمة بالعقاقير وولى .

والطبيب المدرك لرسالة الطبابة هو الذي يقي السليم من المرض قبل أن يعالج المريض . بل إن الوقاية في زماننا أصبحت درجات ومراتب . فأولى الدرجات وبداية المراتب هي وقاية السليم . وثاني الدرجات هي علاج المريض حتى لا يتفاقم مرضه ولا يتضاعف . فهي إذن الوقاية من المضاعفات . أما الدرجة الثالثة من مراتب الوقاية فهي تأهيل المصاب حتى لا يكون عالة على من حوله . متطفلا على مجتمعه . عبئا على ذويه وأهله .

في زماننا هذا تنازل الطبيب من نصف مسؤوليته لمريضه ، وشاركه فيها لا طوعا واختيارا وإنما قسرا وإجبارا . حيث لا حيلة للخلاص من محنة المرض إلا بتعاون المريض مع الطبيب بالإدراك السليم والطاعة . وقديما قال شيخنا الطبيب الرازي :

« إذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فلن تدوم العلة » .

على هذا الدرب يسير الأطباء وتسير الطبابة .

إن قائمة أمراض هذا الزمان لا سبيل لحصرها . بعد أن طالت وتشعبت . غير أن ارتفاع ضغط الدم يتربع على رأس القائمة بسبب ماتوافر له من ظروف وإمكانيات تتيح له أن يستشري ويستفحل ويتمكن من أكبر عدد من الضحايا .

بعض الناس قد يتوهم ويدعي أنه مصاب بمرض ضغط الدم ، ولو كان هذا الوهم والادعاء صحيحا فكل الأحياء من البشر مصابون بضغط الدم . حيث أنه لا حيلة لمخلوق حي أن يخلو دمه من ضغط . مادام فيه قلب يدق ، وشريان ينبض ، لأن الأموات هم الذين تخلو أجسادهم من ضغط الدم .

من الطبيعي أن يكون لدم الإنسان ضغط ، ولكنه ضغط دم طبيعي ، حيث أن هناك قلبا يعمل عمل المضخة عندما تنقبض عضلته وترتخي . وبالتالي يكون لهذه المضخة الحية ضغط تدفع به الدم عبر الشرايين . ثم إن هناك سائل الدم الذي يتراوح حجمه بين خمسة لترات وستة ، ويجري خلال عروق الدم وأوعيته ويضيف ضغطا إلى ضغط القلب . أما ثالثة الأثافي فهي شرايين الدم بما تمتلك من مرونة ومطاطية ، تشارك في صناعة ضغط دم البشر . ولهذا كان لكل

إنسان ضغط دم ، بل كان الأصح لو قلنا إنهما ضغطان ، أولهما ضغط دم انقباضي ، يتوافق مع انقباض عضلة القلب ، وضغط دم ارتخائي ، يتوازى مع ارتخاء عضلة القلب .

ويقيسون ضغط الدم هذا بأجهزة خاصة ، هي أجهزة قياس الضغط المتنوعة الأشكال والأحجام والأنواع ، ويقدرونه بما يعادله من وزن عمود الزئبق ، حيث وجدوا أن ضغط دم الإنسان البالغ السليم يساوي (١٢٠ - ١٤٠ مليمترا) من الزئبق في حال الانقباض ، وسموه ضغط الدم الانقباضي ، وحوالي (٨٠ - ٩٠ مليمترا) من الزئبق في حال الارتخاء ، وسموه ضغط الدم الانبساطي .

ضغط الدم المرتفع : لو طرحنا السؤال الذي يراود فكر الجميع وهو : لماذا يرتفع ضغط الدم ؟ وما أسبابه ؟ فإننا لن نعثر على إجابة حتى يومنا هذا على الأقل في حوالي ٩٠٪ من المصابين ، لأنه لم تتكشف للطب أسرار ارتفاع ضغط الدم لدى غالبية المرضى .

ومن هنا أطلقوا على هذا الحال اسم ارتفاع ضغط الدم الأساسي أو المبدئي ، بينما وجدوا في بقية الحالات التي تمثل ١٠٪ أسبابا يكون فيها ارتفاع ضغط الدم لأحد مضاعفات مرض ما ، كما هو الحال في التهاب الكلى مثلا أو فشلها ، وهكذا . ومن هنا لا سبيل لنا في أن نخوض في الأمر الا بقولنا : إن في حياة الناس لأسبابا بينهم للإجابة عن هذه العلة ، وهي في مجملها ضغوط تعصر أجساد الناس ونفوسهم ، وقد زادت قوتها في عصرنا الحاضر ، فزاد عدد ضحايا ضغط الدم المرتفع .

على أي حال فأمر معرفة ضغط الدم المرتفع ليس سهلا ، إذا لم نستعن بجهاز قياس ضغط الدم ، لأنه كما يقول الأطباء : مرض صامت ، لا يفصح عن نفسه ، ولا يكشف عن وجهه الكالح ، إلا برفقة مضاعفات خطيرة ، لا نتمناها لأحد ، كنوبة قلبية مثلا ، أو ذبحة صدرية ، أو جلطة في المخ أو نزيف ، أما ما يتوهمه بعض الناس من أن ضغط الدم المرتفع يسبب صداعا أو شعورا بالضيق وما إليه من قناعات لا أساس لها من الحقيقة فلابد أن نستبدلها بالوعي الإدراكي السليم لحقيقة ارتفاع ضغط الدم ، ووسائل الخلاص منه ، أو السيطرة عليه



علاج ارتفاع ضغط الدم :

في جعبة الطب عقاقير لا حصر لها لعلاج ضغط الدم المرتفع ، لها مواقع شتى من الجسم تعمل فيها ، منها ما يرخي جدران الأوعية الدموية المتوترة ، ومنها ما يؤثر على الأعصاب فيهدئها ، ومنها ما يؤثر على القلب فيبطئه ، وهكذا ، ولكنها أمور تقع كلها تحت طائلة مسئولية الطبيب المعالج ، وفي نطاق معرفته وحدود تصرفه .

والمهم هو دور المريض الذي يشارك الطبيب في حمل جزء من المسؤولية ، إن لم تكن المسؤولية كلها ، لدرجة أن المصاب قد يستغني عن كل العقاقير ، فإذا لم يستطع فإن التقليل من جرعاتها ممكن في أحوال ارتفاع ضغط الدم الشديد .

مسؤولية المريض في العلاج والوقاية :

العقار المثالي الذي يعدم به الأطباء لما يولد بعد ، أو بمعنى اخر : ان الأدوية التي تفيد فائدة مطلقة ولا تضر مستعملها إطلاقا لما تتوافر للطب .

وما دامت العقاقير من مواد غريبة عن الجسم الحي ، فاحتمال وجود آثار جانبية ، غير مرغوب فيها ، أمر قائم ، ومن هنا فالتقليل من العقاقير ، إن لم يكن الاستغناء عنها نهائيا غاية مرغوبة

طبيا ، مع ضمان السيطرة على المرض .

وقد وجد الأطباء من خلال تجاربهم عبر السنوات المتعاقبة أن هناك أمورا يمكن للمصاب أن يلتزم بها ، وتغنيه عن عقاقير علاج ضغط الدم المرتفع ، في أحواله البسيطة المتوسطة ، كما تقلل حاجته الى العقاقير في أحوال الإصابة الشديدة . وفي مايلي نعرض لبعض هذه الأمور :

١) تخفيف الوزن : من المؤكد أن البدانة تحمل معها احتمالات الخطر للقلب والدورة الدموية ، لهذا فالالتزام بالحدود الطبيعية المتفق عليها ، حسب جداول تتناسب مع العمر والسن والجنس ، يؤدي الى انخفاض ضغط الدم والسيطرة على ارتفاعه ، لدرجة تغني صاحبها عن كل علاج .

٢) الامتناع عن تناول ملح الطعام أو التقليل منه ما أمكن ، بعد أن ثبت أن هناك علاقة وثيقة بين الصوديوم وارتفاع ضغط الدم . وهذا ينطبق على الأطعمة المعلبة التي تزيد فيها نسبة ملح الطعام كثيرا ، حتى أنها قد تصل الى ٢٥٠ ضعفا عن الأطعمة الطازجة .

٣) التدخين : اختلف القوم حول علاقة التدخين بارتفاع ضغط الدم ، لكنهم اتفقوا على أثر التدخين على القلب ونوباته . إن ارتباط ارتفاع ضغط الدم بالنوبات القلبية يحتم على المدخن أن يتخلى عن عادته هذه ، فإن لم يستطع فلا أقل من التخفيف منها .

٤) القهوة : لم يجد الأطباء علاقة وثيقة أكيدة واضحة بين القهوة وارتفاع ضغط الدم . لكنهم وجدوا علاقة بينها وبين ارتفاع منسوب الكوليسترول في الدم . وعلى ما هو معروف فإن العلاقة وثيقة حميمة بين الكوليسترول وارتفاع ضغط الدم . وكما يقول المثل صديق عدوي هو عدوي أيضا .

٥) الكحول : الذين يدعون أن الكحول مفيد في توسيع الأوعية الدموية وارتخاء جدرانها ، وأنه يؤدي الى تخفيض ضغط الدم ، ربما غالطوا في قول الحقيقة كاملة لأن شرب الخمر يؤدي في مراحله التالية الى انقباض الأوعية الدموية ، وبالتالي يؤدي الى ارتفاع ضغط الدم ، وبهذا يكون شرب الكحول ضارا بأصحاب ضغط الدم المرتفع .

٦) الدهنيات : علاقة الدهنيات الحيوانية بارتفاع منسوب كوليسترول الدم لا جدال فيه ، وبالتالي لا جدال في احتمالات ارتفاع ضغط الدم ، وحدوث مضاعفات مع ترسب هذا الكوليسترول في جدران الأوعية الدموية ، ومن هنا يجب على مريض ضغط الدم المرتفع تفادي الدهنيات الحيوانية والاستعانة عنها بالزيوت النباتية .



٧) السلوك الاجتماعي : لقد ثبت أن التوتر النفسي والاجهاد الجسمي ركنان أساسيان من أركان الإصابة بارتفاع ضغط الدم ، وعلى هذا فالاسترخاء النفسي والترويح الجسمي والراحة البدنية من أساسيات العلاج والوقاية التي لا يستغنى عنها أي إنسان ، وهي ليست بدعا ولا مضيعة للوقت أو تبذير للمال والجهد .

٨) الرياضة : الرياضة لابد أن تتناول شقين مهمين : الشق الأول الرياضة العنيفة كحمل الأثقال والمصارعة ، وهي غير مرغوب فيها إطلاقا . وعلى عكسها يكون الأمر مع الرياضة الخفيفة ، كما هو الحال مع المشي مثلا لمن يعاني من ضغط الدم وارتفاعه .

٩) الكالسيوم : كان هناك شك لمدة مضى حول أثر الكالسيوم على ارتفاع ضغط الدم . ولكن الأمور قد اتضحت بعد أن ثبت أن أملاح الكالسيوم تعمل على خفض ضغط الدم . وهنا كان تناول الأطعمة الغنية بالكالسيوم أمرا مرغوبا فيه : كشرب الحليب مثلا أو تناول الجبن وما إليه من الأطعمة الغنية بالكالسيوم □

مساحة ود!

مفارقة

في إحدى المناسبات الاجتماعية وجدت نفسي منهمكا في حديث مع رجل عجوز احتفظت عيناه ببريق من الذكاء يشع من بين ثنايا وجهه المتغضن . وفجأة لاحظت أنه يقول كلاما أقرب إلى الحوار الذي يمكن قراءته في رواية أو قصة . كانت ملاحظاته عن الحياة والناس تعكس خبرة كبيرة ، وردوده دقيقة واضحة ، لا إبهام فيها ، ومعرفته بالنفس الإنسانية عميقة . وفكرت ماذا ينقص هذا الرجل حتى يكون كاتبا ؟ إن كل ما لاحظته فيه يؤهله لأن يكون فنانا مبدعا أو كاتبا كبيرا أو شاعرا جيدا ، لكنه لكي يكون كاتبا عليه أن يتمرس بأساليب الكتابة ويكتشف سرها . وسر الكتابة غير سر الحديث . وسر الحديث غير سر المعرفة . وسر المعرفة غير سر الاكتشاف وغير سر النفاذ إلى العمق الإنساني . فلكل من هذه المعارف سرها الخاص ، ولكل سحرها الخاص . لكن أحدها لا يحل محل الآخر ولا يلغيه ، وقد يغنيه ويثريه ، وقد يزيده وضوحا وجمالا ، لكنه لا يحل محله .

وقد يكون كاتب ما ، عيي الكلام ، مملا متضجرا ، لكنه يكتب فنا أصيلا جميلا ، وقد يكون هناك كاتب عادي أو متوسط الموهبة للكتابة ، لكنه يجيد الحديث ، ويحوله إلى فن جميل راق . وقد يكون هناك شخص عادي مثل صاحبنا العجوز ، قادر على قول الحكمة السديدة ، والملاحظة الدقيقة ، والتقاط المفارقة الساخرة ، والنفاذ إلى عمق الآخرين ، وربما كان هناك شخص أليف ظريف جليس أنيس لكنه مع ذلك ليس كاتبا ولا مبدعا ، ولن يكون كذلك ، وهنا يكمن أحد أسرار الفن والحياة . فقد يكون الكاتب المبدع شخصا ثقيلا في الواقع ، وقد يكون الفنان الساخر شخصا متجهما في الحياة ، وقد يكون الشاعر العذب في قصائده ودواوينه فجًا ثقيل الظل على الطبيعة . ولكن في النهاية يبقى مقياس الإبداع هو الأثر الباقي ، سواء أكان قصة أم رواية أم قصيدة أم لوحة . ومهما كانت درجة الظرف أو الذكاء أو الدقة في التعبير أو المعرفة الإنسانية عند بعض فإن هذه المواهب كلها لن تساعده طالما ظل بلا أثر أو إنجاز يعكس هذه المواهب . سر صغير من أسرار الحياة التي تظل أغنى من الفن حتى لو كان بلا ضفاف . □

صلاح حزّين

بقلم : الدكتور حسن عباس

دَلالاتُ الفِعْلِ وَالزَّمَن

يحلو لبعض المثقفين العرب ، وهو بصدد المفاضلة بين اللغات الأوربية واللغة العربية ، أن يقارن بين الفعل في اللغة العربية والفعل في تلك اللغات ، وبخاصة في اللغة الانجليزية ، من حيث دقة التعبير عن الزمن ، إذ أن في اللغة الانجليزية صيغا تعبر عن الماضي البعيد والماضي القريب والمستمر ، وغير ذلك ، في حين أن صيغة الفعل الماضي في اللغة العربية لا تعبر إلا عن الماضي بإطلاق ، دون تحديد لبعده أو قربه من زمن التكلم . ومثل هذا الافتتان باللغات الأوربية ، وبالانجليزية خاصة ، أصبح مألوفا لدينا ، ولكننا لا نخطيء تشخيصه ، فهو لا يعدو أن يكون جزءا من الاستلاب الثقافي من جهة ، وتضاؤل في الثقة بالتراث وبالنفس ، أدت إليه ظروف سياسية واجتماعية في العقدين الأخيرين على وجه الخصوص ، من جهة أخرى .

ولهذا الزعم أساس فيما ذهب إليه بعض المستشرقين ، ممن عنوا بدراسة النحو العربي . ويلخص الدكتور مهدي المخزومي أقوال المستشرق وليم رايت في هذا الصدد بقوله : إن الصيغ الزمنية للفعل العربي صيغتان اثنتان فقط ، أحدهما تعبر عن حدث تم وكمل من حيث صلته بغيره من الأعمال ، والأخرى تعبر عن حدث لم يتم ، حدث ابتديء به ، واتصلت احداثه ولما يتم بعد . والتقسيم يؤدي إلى أن العربية إذا أرادت التعبير عن الماضي المطلق والماضي التام ، والماضي غير التام ، لم تجد من الأبنية إلا بناء (فَعَلَ) للتعبير عما لا يعبر عنه في الانجليزية إلا بعدة صيغ ، وإذا أرادت التعبير عن المستقبل باختلاف مجالاته الزمنية ، لم تجد إلا بناء (يَفْعَل) للتعبير عن الحاضر والمستقبل . ويستنتج الدكتور المخزومي من هذا القول أن العربية قد أهملت المجالات الزمنية التي يتضمنها الزمن الواحد كالماضي مثلا ، ولم يكن لديها من الأبنية ما تعبر به عن تلك المجالات . وكان الدكتور المخزومي قد سبق له أن بين استعمالات الأفعال ودلالاتها على نحو يسهم في الرد على ما ذهب إليه وليم رايت ، وما يذهب إليه هذا النفر من المثقفين العرب الذين أشرنا إليهم .

الدارس المتتبع للأفعال العربية ولأساليب العرب واستعمالاتهم يرى أن هناك ثلاثة أبنية ، اقترنت بالدلالة على الزمان ، وليس بنيتان فقط كما قرر وليم رايت . وهذه الأبنية هي : فَعَلَ - يَفعلُ - فاعِل .

أما البناء الأول ، وهو بناء فعل ، وهو الذي يراد به الفعل الماضي المطلق ، مجردا أو مزيدا ، فإن له من الدلالات في الاستعمال ما يمكن تلخيصها والتمثيل لها على النحو التالي :

- الدلالة على أن العمل قد تم في زمان ماض مطلق كقولهم : أكل القوم وشربوا . » وهو

الاستعمال الأصل » ، والدلالة الأساس في بناء (فعل) .

ـ والدلالة على أن العمل كان قد تحقق في الماضي واستمر تحققه إلى اللحظة التي دار فيها الكلام ، وذلك كقوله تعالى : « واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » .

ـ والدلالة على أن العمل كان قد حدث ، وحدث كثيرا ، ويمكن أن يحدث كثيرا أيضا ، وذلك حين يراد إلى إجراء بناء (فعل) مجرى الأمثال كالقول : روت الرواة ، واتفق المفسرون ، واتفق النحاة .

ـ والدلالة على أن العمل قد تم في أثناء الكلام ، ولم ينجز إلا بالكلام نفسه . وتندرج فيه ألفاظ العقود وعبارات القسم كقولهم : بعتك ، وزوجتك ، ونشدتك الله .

ـ والدلالة على أن العمل كأنه قد وقع ، لأن وقوعه أمر محقق . ويكثر بناء (فعل) بهذا المعنى في الموعد والوعيد والمعاهدات ، كقول جعفر بن يحيى في أحد توقيعاته : « كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فإما اعتدلت ، وإما اعتزلت » .

يقول الدكتور المخزومي : هذه الدلالات المختلفة التي أشرنا إليها هنا ، وغيرها ، إن هي إلا مخلفات حية لاستعمال بناء (فعل) قبل أن يحدد الاستعمال الحديث موضعه الخاص به ، ويقصر دلالته على حصول الحدث قبل زمن التكلم ، واقتران الدلالة على الزمان الماضي به .

والبناء الثاني هو بناء (يفعل) وهو يستعمل ، ويراد منه دلالات منها :

ـ أن يدل على العمل الذي لا يحدث في زمن خاص ، ولكنه يحدث في كل وقت ، ويدل على الدوام ، كقولهم : الإنسان يدبّر والله يقدّر .

ـ أو أن يدل على العمل الذي بدأ حدوثه في زمن التكلم ، ولما يتم بعد ، نحو : الله يعلم ما تعملون

ـ أو أن يدل على العمل الذي يكون مستقبلا بالنسبة إلى ما حدث في الزمن الماضي الذي سبق زمان التكلم ، كقولهم : ذهب خالد إلى جاره يعوده . وقوله تعالى : « وزلزلوا حتى يقول الرسول » .

ـ أو أن يدل على نفي الحدوث في الزمن الماضي ، وذلك في كل مضارع مسبوق بلم ، نحو : لم يف خالد بوعده .

ـ أو أن يدل على نفي حدوث الفعل نفيا مستمرا إلى زمن التكلم ، وذلك في كل مضارع مسبوق بلمّا ، كقوله تعالى : « لما يقض ما أمره » .

ويرد الدكتور المخزومي على أقوال بول كراوس بقوله : فالزمن في المضارع في ضوء استعمالاته مختلف ، وليس عنصرا يميزه عن غيره من الأفعال ، بل قد يقال : إنه لا يعبر في نفسه عن فكرة الزمن ، ولكنه يدل أحيانا على أن العمل قد ابتدأ ، أو على أن العمل لم يتم ، أو على أن العمل مستمر الحدوث في الماضي والحاضر والمستقبل .

والبناء الثالث ما جاء على وزن (فاعل) ، ويراد به الفعل الدائم عند الكوفيين . وهذا البناء يدل في استعمالاته على الثبوت والدوام إذا استعمل وحده غير متصل بشيء بعد ، نحو : خالد قائم ، وهو من أجل هذا يستعمل استعمال الأسماء الجامدة التي لا تقترن بزمان معين ، والجملة من أجل ذلك معدودة في الجمل الاسمية .

أما إذا وليه شيء فله حكم آخر ، ويصبح الزمان من مستلزماته ، كما ذهب الفراء إليه في تفسير قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » .

هذه هي استعمالات الأفعال العربية ودلالاتها على الزمن ، فانظر في ذلك وقارن ! □

زفرات شوق

للشاعر العرجي

تتصف شخصية الشاعر العرجي بصفات متباينة ، فهو يجمع الكرم إلى الإسراف ، ويجمع شرف المحتد إلى الصعلكة . ورقة المشاعر التي تتبدى في شعره إلى ضرب من الاندفاع في اللهو والمجون ينفر منهما الناس أجمعين .

إنه عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فجده أو جد أبيه هو خليفة المسلمين الثالث ، بل إن عثمان بن عفان رضي الله عنه هو جده لأمه أيضا . ويشير العرجي في شعره إلى هذا النسب فيقول :

كأني لم أكن فيهم وسيطا

ولا لي نسبة في آل عمرو

وعمرو هذا هو أحد أبناء عثمان بن عفان كما تجمع على ذلك كتب الأدب والأنساب . ويلقب بالعرجي نسبة إلى ماء له ، يقال له : العرج ، بالقرب من الطائف . ولا يعرف تاريخ ميلاده ، لكن وفاته كانت في عام ١٢٠ هـ .

ويكاد يخلو شعر العرجي من ذكر أهله ، ما عدا الإشارة إلى « نسبته في آل عمرو » التي تقدمت الإشارة إليها . أما زوجته فكانت عثيمة بنت بكير بن عثمان ، وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير ، فأهله جميعا من أشراف قريش ومن المقدمين في الإسلام ، ولكنه لم يحفظ لنسبه حرمة . وقد عرف عنه خال المحيا ، وهو جمال ورثه عن أسرته . ولكن كتاب « الأغاني » يذكر له شوه الحنجرة وبروزها وخفة في شعر العارضين واللحية . وتأتي أهمية الصفات الجسدية في شاعر كالعرجي من أنه أنفق العمر في طلب اللذة والتشبيب بالنساء ، ولم تسلم منه أم محمد بن هشام المخزومي ، والي مكة ، ولا زوجته وأخته !

إن من يتصفح ديوانه لا يكاد يعثر على غير قصائد في الغزل وأوصاف النساء وشكوى الهجر والبعد . من ذلك هذه القصيدة التي قالها وهو قرب جبل سلع في المدينة المنورة . ويقول : أصابني وأنا بسلع أرق ، فارقني النوم على أثره . وكان السبب في ذلك الأرق برق تبدى آخر الليل في صفحة السماء . كنت أرقب نوره من بعيد ، ومازال يتوالى وميضه حتى الصباح . فإذا كان المرء غريبا اعتراه شوق إلى أوطانه . وقد أجج هذا الشوق وميض البرق ونوره الخاطف المتلاحق . ضاق احتمالي لما شفني من الوجد والبكاء ، فنبهت صاحبي لأبثه ما تنطوي عليه النفس وتعاني . وصاحبي هذا خالي البال ، لم يعبث به الهوى ، ولم يسهر الليل ،

ل يماه ملء جفونه . غضبه نشدة لتصاقه بالفراش يشكو من آلام [illegible] سهده [illegible] وانوه [illegible] من عبث . [illegible] بكلمي ونكى [illegible] في [illegible] . [illegible] شرق بريقه ! وما استنفده [illegible] في [illegible] أخرى . [illegible] وهو مطرق . [illegible] في [illegible] في [illegible] (١)

كان يحن [illegible] الأحباب فيه ملاعبه ، و[illegible] وعقيق

[illegible] لا [illegible] عن النخلاء [illegible] هو [illegible] ! [illegible] [illegible] كل [illegible] يشجو و[illegible] (٢) [illegible] [illegible] لأعداء [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] وهي تكاد تخلو من [illegible] . [illegible] على شكل [illegible] يتخلله [illegible] السرد والحوار :

أرقت بسلع [illegible] إذ دنا شوق بارق | [illegible] يبدي [illegible] الليل يخفق
أشيم سناه من [illegible] | تشام البروق من بعيد فتصدق
فما نقلت من نوم ، ومـا زال عاملا | في الصبح ذات البارق المتألق
له تعتري المرء الغريب صبابة | وشوق إلى أوطانه حين يبرق
فنبهت لما شفني الوجد والبكا | أخا للذي قد غالني وهو مطرق
عزوفا عن الأهواء لم يحي ليلة | تشوق ولم يرفع إلى الخل مرفق
خفيا على ظهر الفراش كأنه | [illegible] فقد من جنبه النوم ملصق
فهب وما هبت من [illegible] عينه | ومن سنة أوصاله لا تطلق
إذا لم تكنيني [illegible] | [illegible] يق [illegible] شرق
يقولون فيلحاني كثيرا ، [illegible] | إذا لامني علمي مرارا لأخرق (٣)
يكلفني [illegible] لقلب ممزق | ويأبى اجتماعا قلبك المتفرق
فمنه فريق بالحرام [illegible] | [illegible] وبعض بالمدينة موثق (٤)
فهلا ودار الحي [illegible] | وشملك مجموع ، وغصنك مونق (٥)
بكيت ما قد [illegible] وهو كائن | من النأي والهجران إذ كنت تشفق
إلى أي دهر [illegible] ثم هكذا | وقفت بالشخص المبرح مغلق
إذا زمت [illegible] الوجد حرمت | عليك العدى [illegible] تشفق
[illegible] شاهد من دمعها [illegible] | جرى شاهد من دمعه مترقرق

---

(١) سلع : جبل بالمدينة . (٢) الشيم [illegible] انظر [illegible] ابن [illegible]
(٣) يلحاني : يلومني ويعيبني . والأخرق : الأحمق
(٤) الحرام : مكة المكرمة ، ووج : واد بالطائف . والمدينة : هي المدينة المنورة
(٥) مصقبة : مجاورة قريبة . والمونق والأنيق : المعجب الحسن

آفاق جديدة في علاج داء السُّكر

بقلم : الدكتور صباح السامرائي

ظل داء السكر بلا علاج حتى عام ١٩٢١ حين اكتشف العالم « بانتنج » وزميله « بست » هرمون الانسولين فانقشعت عن النفوس غيوم سود ثقال . غير أن المرضى ما يزالون يضيقون ذرعا بحقن الانسولين التي لا بد منها في كل يوم ، والتي لا تخلو من منغصات ومضاعفات . وفي أواخر الثمانينيات من هذا القرن طرقت الهندسة الوراثية أبواب المرض الموصدة ، وذلك بتجارب ناجحة على الحيوانات . فهل يحمل العقد القادم المفاجأة الكبرى ؟! .

إن داء السكر ينقسم إلى نوعين ، النوع الأول هو « داء السكر المعتمد على الانسولين » والذي يسمى أيضا بداء السكر الطفولي فهو يصيب الأطفال عادة والشباب دون سن الاربعين ، وينشأ عن تلف الخلايا الفارزة للانسولين ، ولهذا فهو يستجيب للعلاج بحقن الانسولين . أما النوع الثاني فهو « داء السكر غير المعتمد على الانسولين » الذي يصيب الكبار عادة بعد سن الاربعين ، وهو لا ينشأ عن قلة الانسولين أو تلف الخلايا الفارزة له ، وإنما عن عدم تحسس خلايا الجسم لهذا الهرمون ، ولهذا فهو يعالج بعقاقير أخرى غير الانسولين .

وحديثنا في هذا المقال عن دور الهندسة الوراثية في علاج داء السكر يتعلق بالنوع الأول ، وحيثما ذكرنا داء السكر فإننا نقصد داء السكر المعتمد على الانسولين .

الجسم يهاجم نفسه :

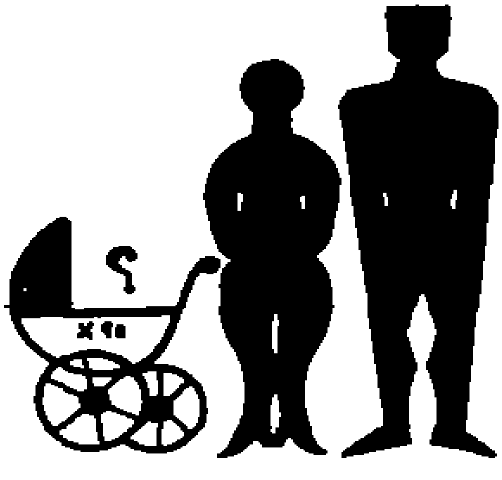
توجد مجموعة من الأمراض معروفة [illegible] الجسم [illegible] يهاجم أحد أعضائه [illegible] أنسجته ، [illegible] يهاجم [illegible] إلى [illegible] . [illegible] هذه [illegible]

« الأمراض ذاتية المناعة » ، ويعتقد أن داء السكر ينتمي إلى هذه الأمراض ، إذ يقوم الجسم بصنع أضداد تهاجم الانسولين والخلايا الفارزة له في البنكرياس وتسمى « الخلايا البائية » .

ومن أجل إيضاح أكثر ، نقول : إن البنكرياس غدة كبيرة ذات قناة تفتح في الاثنى عشر وتقوم بإفراز خمائر تهضم الطعام وبالإضافة إلى الوظائف الهضمية ، فإن غدة البنكرياس تحوي مجاميع خاصة من الخلايا المتناثرة هنا وهناك ، والخلايا نوعان ألفية وبائية ، وكما ذكرنا فإن الخلايا البائية هي التي تفرز هرمون الانسولين في الدم مباشرة دون قنوات . وهذه المجاميع من الخلايا المتناثرة في البنكرياس ، تسمى « جزر لانجرهانس » نسبة إلى اسم مكتشفها العالم الألماني « لانجرهانس » الذي ولد عام ١٨٤٧ وتوفي عام ١٨٨٨ .

كما يعتقد الأطباء أن داء السكر مرض وراثي ، أي أن ظاهرة مهاجمة الجسم للخلايا البائية تنتقل وراثيا . غير أن المرض لا يورث بالطرق الوراثية المعروفة ، بل إن المريض يرث عن أبويه الاستعداد للإصابة بالمرض ، وليس المرض نفسه ، ومن يرث هذا الاستعداد قد يظهر عليه المرض وقد لا يظهر اعتمادا على عوامل أخرى أهمها الظروف البيئية والغذائية وغير ذلك .

وقد استطاع الأطباء تحديد اثنين من الجينات مسؤولتين عن داء السكر ، ورمزوا لهما بالرمزين « DR3.DR4 » وهما موجودتان في الكروموسوم السادس . وتتصف هاتان الجينتان بأنهما متغيرتان في الشكل ، فهما تختلفان في الأبناء عن الاباء ، وتختلفان من شخص لاخر ، وهذا يزيد صعوبة التنبؤ بوراثة المرض .

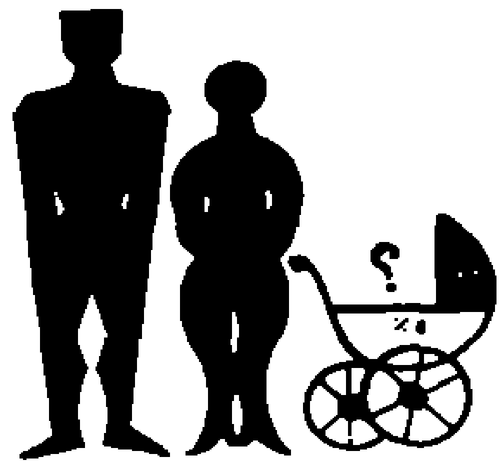


● اذا كانت الأم مريضة بالسكر ، وليس الأب فحدوث الاصابة بالابناء وراثيا بنسبة ٢٥٪ .

الشفاء التام :

قبل ارتياد آفاق الهندسة الوراثية ، وجد العلماء إمكانية الشفاء من داء السكر باستعمال عقار مثبط للمناعة ، يدعى « سايكلوسبورين » . فمن مجموع اثنى عشر مريضا شخصوا قبل تلف خلاياهم الفارزة للانسولين ، أمكن شفاء أربعة ، ولم يعودوا بحاجة للانسولين ، ولدى أربعة آخرين أمكن تقليل جرعة الانسولين إلى النصف ، أما الباقون فلم يستفيدوا .

والمشكلة في هذه الطريقة العلاجية هي ضرورة تشخيص المرض قبل ظهور الأعراض ، وقبل تلف الخلايا البائية أي الخلايا التي تفرز الانسولين ، ومن أجل ذلك يجب فحص أقارب المرضى من الدرجة الأولى ، وهم - بسبب الوراثة - مرشحون للإصابة بالمرض ، فإذا وجدت في أجسامهم الأضداد أو الأجسام المضادة التي تهاجم الخلايا البائية ، فعندئذ تتركز



● اذا كان الأب مريضاً بالسكر ، وليست الأم فحدوث الاصابة بالداء وراثيا نسبة ٥٪ .

الجهود الطبية لإيقاف هذا الهجوم قبل أن تتلف الخلايا البائية .

وبالطبع فإن هذه العملية عسيرة جدا . وتحتاج إلى جهود مضنية ، وفوق هذا غير مضمونة النتائج . وهنا تبرز أهمية الهندسة الوراثية ، إذ أنها يمكن أن تلعب دورا مهما في الشفاء التام حتى بعد تلف الخلايا البائية تلفا كاملا .

الهندسة الوراثية :

منذ فتح آفاق الهندسة الوراثية فكر العلماء بإجراء تعديل على الحامض النووي DNA « أي هندسته وراثيا » في بعض الخلايا البشرية ، بحيث تغدو هذه الخلية قادرة على صنع الانسولين .

غير أن الفكرة ظلت مجرد أمنية أو حلم عزيز المنال حتى أواخر عام ١٩٨٧ ، حين قام فريق طبي باقتحام هذا الباب بقيادة الدكتور « رتشارد سيلدن » فلقد قام هذا الفريق الطبي بإجراء هندسة وراثية معقدة على جين بشري ، ثم زرع هذا الجين في خلية ليفية في أحد الفئران ، ونقلت هذه الخلية بعد ذلك إلى أنسجة فأر آخر ، وبعد اسبوعين ازداد مستوى الانسولين في الفأر الأخير وانخفض مستوى سكر الكلوكوز .

وعلى الرغم من أن هذه الخطوة قد فتحت آفاق جديدة في علاج داء السكر . فإن تطبيقها على الإنسان ليس سهلا ، ويؤكد الدكتور سيلدن أن هناك عقبتين رئيسيتين أمام تنفيذ هذه الفكرة الجريئة على الانسان .

العقبة الأولى هي اننا لا نستطيع استعمال الخلايا الموجودة في « جزر لانجرهانس » ، أي لا نستطيع برمجتها أو هندستها وراثيا لإنتاج الانسولين ، لأنها عرضة لمهاجمة الأضداد التي هاجمت أسلافها .

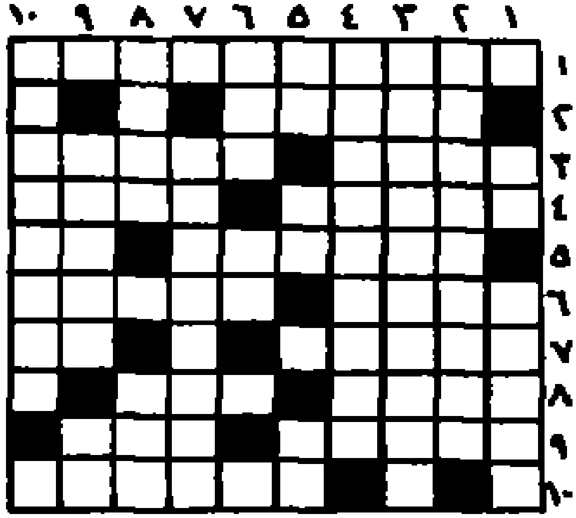
والعقبة الثانية هي عدم وجود ضمان أكيد على أن الخلايا بعد هندستها لإفراز الانسولين ، ستظل تفرزه بصورة منتظمة ، حسب حاجة الجسم ، وتأثير الظروف المحيطة به ـ ومما يؤكد صعوبة هذه العقبة ، أن خمسة من فئران الدكتور « سيلدن » التي زرعت فيها خلايا مهندسة وراثيا ، ماتت بسبب انخفاض سكر الكلوكوز في دمائها ، فلقد ظلت تلك الخلايا تفرز الانسولين بلا توقف ، وظل الكلوكوز ينخفض شيئا فشيئا دون المستوى الطبيعي .

وعلى الرغم من هذه العقبات ، فإن العلم قد سلك أولى الخطوات في هذا الطريق . وعسى أن تشهد التسعينيات بهجة كبرى تفوق بهجة عام ١٩٢١ عند اكتشاف الانسولين ، وإن غدا لناظره قريب . □

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع العامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم .



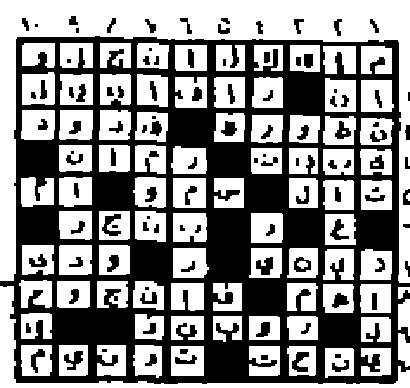
كلمات أفقية :

١ ـ روائي روسي مبدع وصاحب رائعة « الحرب والسلام » .
٢ ـ كثيرة النسل .
٣ ـ كسيف ، من أبطال الإلياذة والمتسبب في الحرب .
٤ ـ فمون مسبوقة بحرف تشبيه ، مريض هدّه المرض .
٥ ـ أتعبني وأرهقني ، حرفان من سوف .
٦ ـ كادح مبعثرة ، انظري مليًّا معكوسة .
٧ ـ درس خاص بكنّ ، الاسم الأول لخطيب جاهلي .
٨ ـ مدعاة للريبة ، من أدوات الحرب قديما .
٩ . يسميه مبعثرة ، قبر
١٠ ـ ميمونة .

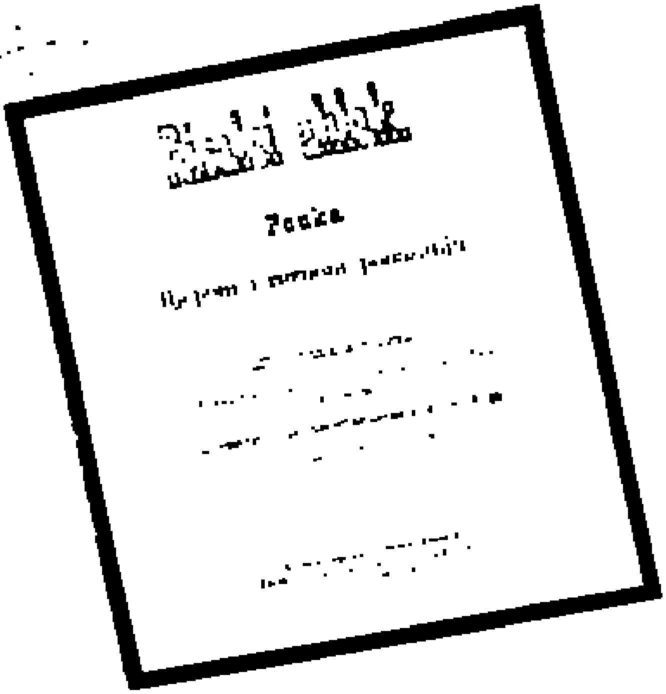
كلمات عمودية :

١ ـ حرفان متشابهان ، الاسم الثاني لأديب مصري معاصر .
٢ ـ روائي مصري وكاتب معاصر .
٣ ـ شاعر ومسرحي انجليزي كبير .
٤ ـ روائي ومسرحي مصري ساخر بدون ال التعريف .
٥ ـ مودة ، تجدها في ناب ، حَزَن .
٦ . نار ، غير مطهي .
٧ . روائي فرنسي كبير .
٨ . احرار ، فتنة .
٩ ـ يسير مع التيار ، هدم .
١٠ ـ مؤلف روسي كبير وصاحب « الجريمة والعقاب » معكوس .

● حل مسابقة العدد الماضي ـ اكتوبر ١٩٨٩ م







رسالة بوغسلافية في الأخلاق الإسلامية

تأليف : محمد قبطانوفيتش لوبيشاك

عرض وتحليل : د. جمال الدين محمد

« في أواخر القرن الماضي مرت على مسلمي يوغسلافيا ظروف استثنائية ، فقد كان عليهم التأقلم مع واقع جديد تمثل في الاحتلال النمساوي لبلادهم ، وفي الوقت نفسه الحفاظ على ثقافتهم الإسلامية الخاصة بهم . فبدت بوادر نهضة بينهم . كان من أبرز قادتها محمد قبطانوفيتش الذي نستعرض له هذا الكتاب » .

خلال دراستي وبحثي وتنقيبي في ذخائر الأدب اليوغسلافي ، قديمه وحديثه ، عثرت على رسالة يوغسلافية في الأخلاق الإسلامية ، كتبها رائد النهضة الأدبية للمسلمين اليوغسلاف ، الأديب اليوغسلافي محمد قبطانوفيتش لوبيشاك (١٨٣٩ - ١٩٠٢) في عام ١٨٨٣ ، (أي منذ حوالي مائة وستة أعوام) ، بعنوان « رسالة الأخلاق » درس في المسلك الجميل والمسلك القبيح .

وقد صدرت هذه الرسالة في ظروف خاصة بالنسبة للمسلمين في منطقة البوسنة والهرسك ، وذلك لأن عملية احتلال هذه المنطقة في عام ١٨٧٨ من جانب الامبراطورية النمساوية المجرية كانت حدثا حاسما ، أشعر المسلمين بالضياع ، وأثار بينهم الارتباك والاضطراب ، وسبب ذلك - فترة من الوقت - توقف النشاط الأدبي والثقافي الذي كان قد بدأ في الظهور في فترة الحكم التركي لهذه المنطقة . وفي مثل هذا الوضع النفسي والسياسي والاجتماعي الذي وقعت فيه هذه المنطقة انغلق المسلمون على أنفسهم أمام المستحدثات والتأثيرات الخارجية . ومرت الحياة الروحية والثقافية بعملية تردد « درامية » .



● سراييفو عاصمة المسلمين في يوغسلافيا

النهضة الروحية والأدبية

ثم بدأ تنظيم التعليم العام والخاص للمسلمين في منطقة البوسنة والهرسك ، وافتتحت بعض قاعات الاطلاع ، الأمر الذي أسهم بالتالي في ظهور أول جمهور فعلي من القراء .

يضاف إلى ذلك أن الحياة الثقافية والأدبية مرت بعملية تحول ونضوج ، من الجمود إلى التحرك والنشاط ، ومن العزلة الأدبية والثقافية إلى التفتح والانفتاح على آداب الشعوب المجاورة ، وعلى الابداعات الأصيلة المعبرة عن شخصية الشعب . وعُدّ آنذاك أن النشاط الأدبي وقوة الكلمة المكتوبة وتأثيرها العميق ضرورة ملحة ، من أجل أن يعود الإنسان إلى ذاته ، وأن يثوب إلى رشده ، ويفيق من سباته ، وأن يشفي ظمأه الروحي والثقافي . وهو في النهاية ضرورة حتمية لكي يثق المرء بقوته الذاتية ، من أجل مجابهة الاحتلال النمساوي الغاشم .

وحينذاك ، في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي ، ظهر أول جيل من الأدباء المسلمين الذين بدءوا يكتبون باللغة الشعبية (البوسنوية أو الصربوكرواتية) وبالحروف اللاتينية . وكان على رأس هذا الجيل محمد بك قبطانوفيتش الذي يرتبط اسمه بالبعث الروحي وبالنهضة الأدبية للمسلمين في البوسنة والهرسك في هذه الحقبة المتميزة الحاسمة من تاريخهم ، ويرتبط نشاطه أيضا بالعمل على تخليص المسلمين من التأثيرات السلبية وبث روح الاستقلالية فيهم مع الانفتاح على القيم السلافية الخاصة بمنطقتهم .

قبطانوفيتش

ولد محمد قبطانوفيتش في قرية بيتيو ، عند نوبوشكو ، بمنطقة البوسنة ، وبدأ دراسته الأولية في مسقط رأسه ، ثم واصل دراسته في المدرسة « الرشيدية » (أي مدرسة الإعدادية) في موستار ، حيث تعلم التركية والعربية والفارسية ، واستكمل تعليمه بعد ذلك في المدرسة الإسلامية الثانوية بقرية نوبوشكو .

وخلال فترة الحكم العثماني مارس محمد قبطانوفيتش مختلف المهام الإدارية ، وتولى عدة مناصب بارزة في الجيش وفي الحياة المدنية . وحصل على عديد من الأوسمة نظير خدماته وأنشطته ، وقام خلال فترة عمله الرسمي بجولة في أنحاء العالم ، زار فيها ايطاليا والنمسا والمجر ثم اليونان ومصر وتركيا وبلغاريا ورومانيا .

وأسهمت هذه الرحلات في توسيع مداركه وآفاقه وتنمية معارفه الثقافية والأدبية ، ولا شك أنها أثرت ـ إلى حد ما ـ على اختياراته السياسية .

وبوجود محمد قبطانوفيتش في البرلمان العثماني ، باعتباره ممثلا للشعب ، فقد أتيحت له الفرصة لأن يتأكد من حتمية انهيار الإدارة العثمانية آنذاك ، ومن سلبية رجال الشرق في مواجهة الحضارة الغربية النامية ، ولذا فقد أسرع بالتكيف مع الظروف الجديدة الناشئة عن الحكم النمساوي المنغاري ، بهدف الاستفادة من المكاسب الثقافية والحضارية ، والدعوة لها ، والعمل على نشرها بين المسلمين في البوسنة والهرسك . وشارك ممثلي الشعب من المناطق المجاورة (صربيا وكرواتيا) في القيام بسلسلة من الأنشطة الثقافية والتعليمية واللغوية تهدف إلى اكتساب القيم الشعبية المحلية وتدعيمها .

رسالة الأخلاق

كتب على غلاف كتاب « رسالة الأخلاق » أنه أعدها للشباب المسلم في البوسنة والهرسك ، وأن المجلس التعليمي الإسلامي بمنطقة سيراييفو زينها بالأمثال الشعبية المحلية والعربية . وقد وافق عليها رئيس العلماء المسلمين في هذه المنطقة . وطبعت في سيراييفو ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) على نفقة صندوق العلوم بمنطقة سيراييفو . وبلغ عدد صفحات الكتاب اثنتين وثلاثين صفحة .

ولم يكتب اسم المؤلف على غلاف الكتاب ، فبدا كأنه بدون مؤلف . ولكن من المؤكد أن الكتاب قد أعده للنشر محمد بك قبطانوفيتش . واستند في ذلك على كتب مماثلة طبعت باللغة التركية من قبل . وتأكدت هذه المعلومة بعد تقرير استخدام « رسالة الأخلاق » ككتاب مدرسي في الكتاتيب الإسلامية في تلك المنطقة .

ويشرح الكاتب في مقدمة كتابه الغرض الذي هدف إليه ، والمضمون الذي سعى إليه قائلا : « يتميز الإنسان عن الحيوان بالمعرفة والعقل والفكر ونطق الكلام . ولا يصل العقل البشري إلى الكمال إلا بتعلم الأمور غير المعروفة من الأشخاص المتعلمين ومن الكتب ، ولا يتم سمو البشرية إلا بتحلي طباع الإنسان بالنبل » .

وبشكل متتابع يتم عرض المضمون الأساسي لهذه الرسالة من خلال مجموعة من الدروس والمواعظ والتعليقات ، وهي كلها مرتبطة بأفكار محددة ، ذات طابع إسلامي وأخلاقي وتثقيفي وتعليمي ، وتتسم بالنبل . وكل كلمة في الرسالة وكل حرف فيها يهدف إلى رفع الروح المعنوية ، وإلى الوصول إلى الكمال الخلقي .

ولا يمكننا على الإطلاق أن نعد « رسالة الأخلاق » نقاشا نظريا محضا ، بل هي على العكس من ذلك ، تعد مرجعا عمليا للمتطلبات المتعلقة بحسن تربية الأطفال والصغار بوجه عام . وقد عرض الكاتب الدروس في هذه الرسالة بأسلوب عملي واقعي واضح مباشر ، وبروح عقلانية تتفق مع مضمون المثل الشعبي وروحه . وقد قام المؤلف بتبسيط تعريفات

الفضائل والدروس المستفادة منها ، مستندا في ذلك إلى قواعد الأخلاق التقليدية والإنسانية العامة ، ووضع لنا على هذا النحو تصورا عاما للنبل والإنسانية والأدب .

وتشتمل « رسالة الأخلاق » على مفاهيم . سجل الكاتب أسماءها باللغتين المحلية والتركية . وهي : العبادة ، والعلم ، والرعية ، والكذب ، والنميمة ، والنفاق ، والغيبة ، والإضرار ، والتكبر ، والحسد ، والتسكع ، والحيلة ، وقلة الحياء ، والسخرية ، والسباب ، والكلام القبيح ، والسرقة ، والعجز عن الكلام ، والتحقير ، والحقد ، والضغينة ، والصداقة ، والوفاء ، وحسن القرين ، والعجلة ، والعناد ، والنظافة ، والسخاء ، والبخل ، وتقديم العون ، والشفقة ، وحفظ الصحة ، والألفة ، والأدب ، والاحترام ، وحقوق الأخوة ، والعفة ، والحمية ، ورعاية حقوق الألفة

ولم يفقد العديد من المفاهيم المذكورة في « رسالة الأخلاق » فعاليته حتى في عصرنا الحالي ، بل وما زال يحتل المرتبة الأولى في قائمة اهتمامات التربويين . والاختلاف بين عصرها وعصرنا يتمثل في تغيير ترتيب الأولويات بالنسبة لبعض هذه المفاهيم فقط ، إلا أنه من الواضح بالنسبة لأي قارىء أن كل هذه النصائح والدروس والمفاهيم يرتبط بعضها ببعض ، وتتماسك فيما بينها ، وهي كلها لا تخدم إلا هدفا تربويا وأخلاقيا واحدا ، وهو بناء شخصية الطفل ، فعن طريق التربية والتعليم يتحول الصغير إلى إنسان نبيل صادق ، قوي في خلقه وجسده ، مزود بالثقافة الواسعة ، متسم بالفضائل السامية .

مفهوم العلم

وعلى الرغم من أن المؤلف في ترتيبه للمفاهيم في « رسالة الأخلاق » يولي العبادة المكان الأول ، فإنه يمنح أهمية كبيرة للعلم ، فيقول : « إن الإنسان يحتاج إلى العلم أكثر من أي شيء آخر » ، أي أنه يعد العلم قبل كل شيء وفوق كل شيء .

واحتفاظ المرء بعلمه لنفسه فحسب ، ولنفعه الشخصي فقط ، يعني تحويله إلى رأسمال ميت . ولكي لا يحدث ذلك فقد عرف المؤلف جوهر العلم ومعناه ووظيفته بنصيحته التالية : « اكتسب العلم بغرض أن تعرف وأن تفعل الخير ، وتعلمه للآخرين » . وبعبارة أخرى فهو يقصد أنه ينبغي وضع العلم في خدمة الإنسان والخير ، ولا بد من الالتزام بنقله وتعليمه للآخرين .

وركز المؤلف ، في أكثر من مرة ، في رسالته ، على احترام شخصية الإنسان . وفي هذا المضمار تبرز ، في المقام الأول ، نصيحته للأولاد باحترام الوالدين والمدرس ومعلم الحرفة باعتبارهم من زراع الخير وصناعه . ويلفت النظر بشكل خاص في هذه الرسالة الاحترام الكبير الذي يوليه المؤلف للمدرس ، والأهمية البالغة التي يمنحها لدوره .

وهذا التقدير الكبير لشخصية المدرس ، وهذا التحليل لعمله التربوي ، وهو أمر لم نعهد حدوثه في عالم الأدب آنذاك ، يؤكد أن المؤلف كان على إدراك ووعي بذلك العنصر التربوي الذي يقول : إنه لا يمكن توقع نجاح ملحوظ إذا كان هناك ولو قليل من التوترات في العلاقة بين المدرس وتلميذه

ووضع قبطانوفيتش معلم الحرفة والمهنة في مرتبة مساوية للمدرس ، وهذا يعد اعترافا منه باحترامه له وتقديره لدوره المهم في التعليم المهني حينما يعلم الصغار مهارة العمل باليد . ويعد أيضا في الآونة نفسها تعبيرا من المؤلف عن احترامه للعمل اليدوي بوجه عام . ومما لا شك فيه أن مثل هذه التربية الصحيحة للصغار تساعد على تقييم الأعمال اليدوية والحرف بالمعايير نفسها

التي يقاس بها النشاط الثقافي والأدبي وغيره من الأنشطة .

رفض العلاج بالخرافات

كانت الشعوب اليوغسلافية قد تعرضت لمختلف المحن في الفترة التي أعد فيها قبطانوفيتش « رسالة الأخلاق » ونشرها . وفي مثل هذه الظروف ساءت أحوال الطب والعلاج والوعي الصحي . وفي مثل هذا الوضع من التخلف الثقافي كان من المحتم توقع رواج الأوهام والخرافات وما ينجم عنها من عواقب . وعلى سبيل المثال : بدلا من استخدام الأدوية والعقاقير الطبية المناسبة ، كان يتم من أجل الحفاظ على الصحة وعلاج الأمراض اللجوء إلى الخرافات ، وإلى مختلف ألوان البدع والاعتقادات والوسائل التي لا تمت بأي صلة إلى الطب ، وليست لها أي قيمة علمية وعملية ، بل إنها على العكس ، إذ تعرض صحة الإنسان للخطر في أغلب الأحوال .

وبسبب هذه الملابسات عالج قبطانوفيتش في رسالته موضوع حفظ الصحة بشيء من التفصيل والإسهاب ، بل واعتذر عن عدم إمكانيته ذكر المزيد من التفصيل ، نظرا لضيق مساحة الكتاب . وأنهى انه سوف يلتزم عدم اعترافه إلا بالأدوية كوسيلة مضمونة للحفاظ على الصحة ، وأضاف أنه لا يعترف إلا بالأدوية التي يقوم بإعدادها الصيادلة المتخصصون ، وأن كل ما عدا ذلك فهو مرفوض . ولا يمكن في هذا المضمار إنكار الحقيقة القائلة بأن النظرة الواعية لمحمد قبطانوفيتش بشأن الحفاظ على الصحة ، الواردة « برسالة الأخلاق » ، قد أثرت تأثيرا إيجابيا طيبا على نشر الوعي الصحي في منطقة البوسنة .

لقد كان الأديب محمد قبطانوفيتش الوحيد بين مسلمي البوسنة والهرسك الذي لم يستسلم لليأس ، وإنما دعا إخوانه إلى العمل ، وإلى التحرك وبذل الجهد ، وتمكن عن طريق القدوة الصالحة والكلمة المقنعة أن يبين لهم الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يسلكوه .

ومن المؤكد أن « رسالة الأخلاق » تعد كتابا مدرسيا مفيدا ، ومرجعا تربويا تعليميا مهما في الأخلاق الإسلامية في منطقة البوسنة والهرسك . وقد قام هذا الكتاب بمهمة ووظيفة نبيلتين ، وأسهم في تربية الصغار ، وفي تقويم الكبار . واستحق الكتاب بشكله هذا أن يكون موجودا في كل منزل بوسنوي ، كما استحق مؤلفه المزيد من التكريم والتبجيل . □

أقـــــــــــــــــوال

● إن جروح الجنود الظافرين تبرأ أسرع من جروح الجنود المهزومين

(حكيم)

● حارب عدوك بالسلاح الذي يخشاه . لا بالسلاح الذي تخشاه أنت .

(غاندي)

● من لازم السكوت . فإنه قد اختار ذلك . إما بجهل أو بعلم . فإن سكت بعلم فقد نطق بصدق . وإن سكت بجهل فإنه قد كذب .

(ارسطو)



● غاندي

من المكتبة العربية



أدب الكدية في العصر العباسي

تأليف: حمد لحسن / عرض: خالد صبري سيامي*

كما كان للبلاط لعباسي أ ه و ما كان للقاع لاجتماعي لممل في لسطا ولعا س ولسحا س أ جم وأ لوهم نصا وكاب لهم حكاياتهم لي صاحب في ملو وحد من أهم ألون لأ ب لعربي للتليهم وهو أدب لعامه

وملفة هلنا لكتاب لأدب للتي أسحه هده لعاف لسحه في لعصر لعباسي

ظهرت لجة التحيه في لعصر لعباسي ... الأدب تعطر لسحب وهد ... الأدب للتي أسحه لقاع ... والشطار ولعارين

سائر مات لكدس في لعصر لعباسي وهد مال هد لأ ب من لطلم مامال صحابه حيث كان ب لاعلام لبلاطات حتى عهد قريب صاحب لحظو في هيام

---

* كاتب من القطر العربي السوري

للحصر لقد لا كنا نكشف بعضا من هذه لا في المهمة لعنه المهملة في بنا

لقد بنا مولف الكتا حد لحسه ظاهر الكد حم للسعر الكتاب الكدس حلل ساحهم السهى الى سم صو همه هذ للو لمسر لحهو من لو لأ ب لسمى لعربى كا المولف هد ما محمع كتاب سعا لسحا بن في لعصر لعباسى عممه علمت الخليل سسر

بعسم الكتا بن سحد منها المولف مصطلحات الكد حسب في لعربى لا الكد تعطه عربيه ما لعربى لسان عربى كذى لعطه بيه مبدله ما الرى لئالث مر الكد لعطه معه

مل لهم

لس سمى لعده عممه لكدس الكتب الى حلس حا هم حولهم ملبله بطر بصناع بعضها في طلبعه الكتب لمعو حل الكدس الذى الو صلنا لكا هد عى ها لكن على الرغم من هذ لسمح علينا سحا ل في صو ما سحلصنا من لنصوص لا سه د بلقى صو على المدن الى كانت بعد مركز مستطاب لسحمعلهم كذلك طو جهم على لما ل لمساحد لى كانت هم الأماكن لى بكاسو يحصلونها عند عرف بعض علمهم بالكدنه منها نذكر منهم لمكي الكدى المطلعل

وقد علمت حيله المطلعل على د بدرس سحصار فلا حلا ملبه تصد أهل مسحد فيها مهموم أسحاها في الصف الأول عل سليم الإمام صلاح الدين في حر لصف بالذى في أول الصف و ناطلاق على لهم فيقول الأحر على لهم ألب أما أيس فيقول ويقف ولا سمح علا يزالان كذلك وقد علما طوب لناس هد ى لحاحط من هل عصر لسو كانو عد علماهم للحممه سطا للصدمه لعابد في سو كبر

عندما صل لمقدسي لى سير ساهه منها هد الكدس حاصه في الحمع مما لا سمع لخطبه صياح لسو موف الكدس على بو لمساحد في الجمع لأعما عنه في جمع لصدها هى مساهد ها لب مسر حى ما هد نكى الكد مصد لحوامع محسب مل كا نحسو لأسوق لساحات لعامه سحد منها سلو لناس لعاتهم بعد لحسو بين معا لمد لى كا سحد نها للكد مما حا في حديث لسوحى بعد كا نها في طرق الحسر سائلا عما نوسل حدهما لموصه على عليه لسلا معا بعصب لها لناس

نكى مسها حر لمكوب على لطوف بعاس عمر مدند نكدى في مدنه معه ملامرحها علما عا ساله من صل لعادر لي سلط لضو على هذ به كا نامعها حل عمى بطوف ويسأل باعطا مر سا عما علما له مال حس هذ لنك وبا لـ عليك وحرك حبر عرسك مصال لرجل لم كرب لعربه في علك ما علمك بالعربه ؟ مصال لأن لي منها مسروف ـه مامولي حد عما صحيحا

ما طرف سحدثاتهم مرحى وحاجات ملأمر يرجع إلى سبب أولهما أن بعض الحمل التي يكشون بها تحتاج إلى أكثر من سحص لي بعينها وقد مرت بنا نماذج من ثقافتهم في المساجد وثانيهما يرتبط بتسابق أمته حسبه تعرضهم للسلب والنهب وقد تطلب الكتابه الحماعيه من حين الوقع إلى عظم الأصب كالتي

نجده في المقامة الساسانية لبديع الزمان الهمذاني ، وسائر مقامات الحنفي ، إذ كان بطلها يكدي مصطحبا كوكبة من الرجال ، وكلهم صاحب باع طويل في هذا الفن .

مراتب المكدين

وقد عرف هذا المجتمع نظام التلمذة ، حيث نجد ضمن مراتب البهاليل . وهم رؤساء المكدين ، وكذلك العريف والكاحان وقد ذكرها خالويه المكدي دون توضيح آخر .

وكان لمجتمع الكدية ناس يثير انتباه الناس ، يختلف شكله بين جماعة وأخرى . أما منازلهم فلا نجد وصفا شافيا لها . ويستشف من المقامة الصورية للحريري أن الملكية لاتعود للفرد ، بل هي لجميع المكدين ، فقال . « ليس لها مالك معين ولا صاحب مبين ، إنما هي مصطبة المقتفين والمدروزين . ووليجة المشقشقين ، والمجلوزين » كما قام المؤلف بالإشارة إلى شعراء الكدية المشهورين ومنهم فرعون الساسي ، وأبو نعيمة الأحنف العكبري وغيرهم .

ويتناول الفصل الثالث من هذا الكتاب أغراض شعر المكدين . وهي المديح والهجاء والفخر . وتعود الصلة بين الشعر والتكسب في جذورها البعيدة إلى فن المديح ، وهو من الأغراض الشعرية البارزة في مختلف العصور ، ونحن حين ندقق في مديح المكدين - مضمونا وشكلا - نجد معاني مستهلكة ومكررة ، وقد عجز الشاعر المكدي عن أن ينهض بها فنيا ليأسر القلوب ، ويهز أريحية الممدوح ، وهذا ما جعل مديحهم يتخلف أشواطا بعيدة عن مديح غيرهم . ولا نريد أن يظل الكلام على مديح المكدين بعيدا عن الشواهد التي تغني الجانب النظري ، فمن ذلك مدحهم الوزراء في مواقف قليلة لا تعبر عن حالة استمرار ودوام ، وكان أبو فرعون الساسي قد مدح الحسن بن سهل وزير المأمون مبتدئا بالوقوف على الديار ، ثم الانتقال إلى المديح ، ومن ثم الشكوى . وما يهمنا قوله مادحا :

الناس أشباه كما قد مُثّلوا
ولهمُ خير ، وأنت خيرهم
حاشا لأمير المؤمنين أنه
خليفة الله ، وأنت صهرهم
إليك أشكو صبية وأمهم
لايشبعون ، وأبوهم قبلهم

وفي أحايين أخرى نجد للمكدي يمدح من يصادفه دون تخصيص ، وهذه صفة لم نجدها من قبل عند الشعراء المداحين ، ولعل في ذلك بعض التعليل لما نراه من شيوع أسلوب التنكير في مقاطع المديح عندهم ، ونسوق مثالا لأن أحدهم استخدم أسلوب التنكير في مدحه فقال :

ألا فتى أروع ذا جمال
من عرب الناس أو الموالي
يعينني اليوم على عيالي
قد كثروا همي وقل مالي

أما الهجاء فقد كان سلاحا ذا حدين في عصور مختلفة باستثناء العصر الحديث . وقد سار المكدون على هذا الغرار في شعرهم ، ولكن هجاءهم لم يرتبط بالخصومات القبلية ، بل كان استمرارا لمواقع الحرمان والإهانة ، ويروى أن الشاعر أبا دلف كان قد بعث خطابا أو كتابا إلى كاتب بالدينور يدعى « المشقاع » يطلب فيه قضاء بعض حوائجه ، فلما تجاهله « المشقاع » ولم يحقق مطلبه ابتدره الشاعر بهجاء لاذع :-

يا من يسائلني عن المشقاع
قد ضاع شعري عنده ورقاعي
كاتبته في حاجة عرضت لنا
فكأنني كاتبت وحش القاع
نعم الفتى لو لم تكن أخلاقه
ممزوجة بعوامل الضفداع

أما الشاعر « الاسكندري » فيفتخر بعلمه ومعرفته وبحيله فيقول :

أنا أبو قلمون ... في كل لون أكون
اختر من الكتب دونا ... فإن دهرك دون
زج الزمان بحمق ... إن الزمان زبون

والشاعر أبو دلف يفتخر فيقول :

على أني من القوم الـ ... بهاليل بني الغر
بني ساسان والحامي الـ ... حمى في سالف العصر
فنحن الناس كل النا ... س في البر وفي البحر

أدب الكدية :

يبحث « الفصل الثالث » في فنون النثر ، حين نرى البدوي وقد طبع بالفطرة وبالفصاحة والبيان في خطبه ، ويجب ألا نظن أن نفس البدوي التي فطرت على العزة والاعتداد بالنفس قد قبلت مواقف الذلة والانكسار لولا شدة المعاناة التي كان يعيشها ، وكان الجوع والحرمان قد زعزعا القيم ، وعبثا بالأصول والأعراف ، فخرجت المرأة من خدرها المكنون تشكو جدب السنين ، وتوالي المحن ، ويجد القارىء في كتب الأدب باقات من خطب الأعرابيات تنضح مرارة وأسى . تقول إحداهن : « ياقوم سنة جردت وأيد جمدت ، وحال جهدت ، فهل من فاعل خير . وآمر بمير . رحم الله من يرحم ، وأقرض من يقرض » . وإذا كانت خطب المكدين قد فقدت عنصر الجدة ، والطرافة إلا أنها ساهمت في تشكيل أدب المقامات ، فمبادئها الفكرية ومنهجها وطريقة نسجها واضحة الأثر في صياغة المقامات ، وبمقدور القارىء أن يوازن بين خطب المكدين التي مرت بنا وعناصر الكدية التي عرضناها .

فللمكدين لغتهم ، ومناظراتهم ، وقصصهم وأدبهم في الرحلات الجغرافية ، لأن أدب المكدين كما جاء في « الفصل الخامس » له مكانة يشهد لها . فأدبهم من الأدب الشعبي الذي مثل لنا حياة فنية اجتماعية متميزة ، وقد سلط الضوء عليهم بعض الكتاب ، وفي طليعتهم الجاحظ والثعالبي ، والتنوخي ، والتوحيدي . فمكانة أدب الكدية ارتبطت بجوانب شتى وكان من بينها : أنه ساهم في انتقال شخصية المكدي من حيز الواقع إلى رحاب الأدب والفن ، فأصبحت تلك الشخصية على أيدي بعض الأدباء العباسيين تنبض حياة ، وتشع جاذبية وطرافة ، وممن تأثر بهذا الجنس في الأدب الفرنسي شارل سوريل في قصته « تاريخ فرانسيون الحقيقي والهزلي » وقصة « جين بلا » لمؤلفها لوساج . □

بعد أسبوع

يُحكى عن أحد كبار التجار ، وكان قد بدأ حياته بداية متواضعة ، أنه دخل وهو صبي مزرعة بطيخ ، وسأل الفلاح عن ثمن بطيخة كبيرة ، فقال الفلاح : « عشرة قروش » فقال الصبي : « لكن ليس معي سوى قرش واحد » فابتسم الفلاح ، وأشار إلى بطيخة صغيرة فجة لم تنضج بعد ، قال : « هذه بقرش » فقال الصبي على الفور : « اقطفها ، لكن لا تقطفها الآن فسأعود وآخذها بعد أسبوع » .



مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : عازف الشوارع
اسم المؤلف : محمد القيسي
الناشر : دار الكرمل - عمان
عدد الصفحات : ١٢٨ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨ م

مجموعة أعمال شعرية للشاعر الفلسطيني محمد القيسي ، يقدم تجربته في قصيدة النثر ، وبعض القصائد الشعرية ، وتتميز المجموعة بالنغم الحزين الذي يسود أعماله والتي هي أقل من البكائية وأقرب إلى التماسك . ويطور الشاعر في مجموعته الجديدة من نحت أسلوبه الشعري الذي يتسم بالعذوبة والرقة والحدة والألم ، مما يجعل من المجموعة كلها رسالة دافئة حادة ، تخترق شغاف الوجدان ، وتثير تساؤلات العقل .

■ ■ ■

اسم الكتاب : التنمية الصناعية في منطقة الخليج العربية - الإنجاز والتحديات .
اسم المؤلف : د . عبد الله حمد المعجل .
الناشر : منظمة الخليج للاستشارات الصناعية - الدوحة .
عدد الصفحات : ١٦٥ من القطع الكبير .
سنة النشر : ١٩٨٩ م

تعد التنمية هي التحدي الحقيقي الذي يواجه بلدان العالم ، وتتحدد قدرة المجتمعات النامية في تحقيق التنمية على مدى سيطرتها على المتغيرات التي تتحكم في نموها الاقتصادي ، وحتى تستطيع المجتمعات النامية إحداث التغيير ، فإنه لا بد من إحداث التراكم الكمي الذي يؤدي إلى تنشيط عملية التقدم . ومن خلال هذا المنظور العلمي يقوم الكاتب باستعراض الواقع الحالي لمنطقة الخليج العربية ، والاستراتيجية الممكنة التحقيق للتنمية الصناعية القادرة على إحداث النقلة النوعية لمجتمع الخليج ، من مجتمع استهلاك إلى مجتمع إنتاج متقدم تقنيا ، قادر على التعامل بندية مع مجتمعات العالم المتقدمة .

■ ■ ■

اسم الكتاب : المخترع في فنون من الصنع
اسم المؤلف : الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول . تحقيق : د . محمد عيسى صالحية
الناشر : مؤسسة الشراع العربي - الكويت
عدد الصفحات : ٢٨٠ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩ م

يعد كتاب « المخترع في فنون من الصنع » من أندر كتب الصناعات في التراث العربي الإسلامي ، فقد حوى الكتاب صناعات عز تداولها من قبل سابقيه ، والمؤلف هو أحد سلاطين الدولة الرسولية (نسبة إلى بن رسول) في اليمن ، ويذكر مؤرخو عصره أنه كان سلطاناً ذا همة عالية ، واشتغل بالعلم والكتابة ، ومد سلطانه حتى تولى أمر الحرم وكسوة الكعبة

المشرقة . ويتكون الكتاب من عشرة فصول ، تناولت الفصول الستة الأولى منه ، وجزء من الفصل السابع ، صناعة الكتب . وبعد ذلك يعرض هندسة تفصيل الخيم ، ولصناعة (قناني المولوتوف) التي كان العرب يسمونها تطبيب النفط ، وصناعة المفرقات ، وكيفية تنظيف الملابس بالبخار وصبغها .

والكتاب بنصه وبجهد المحقق العلمي إضافة جديدة مهمة للمكتبة العربية بتقديم كتاب مهم عن تطور النظام الصناعي العربي في فترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية .

■ ■ ■

اسم الكتاب : كتمان
اسم المؤلف : حسب الله يحيى
الناشر : دار الشئون الثقافية العامة - بغداد
عدد الصفحات : ٢٣٨ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩ م

مجموعة أعمال قصصية جديدة للكاتب العراقي حسب الله يحيى ، تضم المجموعة ٢٥ قصة ، منها ثماني عشرة قصة سبق نشرها في مجلات ودوريات أدبية .

وتتميز المجموعة بخصوصية أجواء وشخوص القاص الذي نجح في أعماله السابقة من تكوين عالم خاص به ، يتميز بالجرأة والنفاذ ورهافة اللغة وتعقيد الموقف معاً .

■ ■ ■

اسم الكتاب : أساطير أوربا عن الشرق .
اسم المؤلف : رنا قباني .
الناشر : دار طلاس للنشر - دمشق .
عدد الصفحات : ٢٣١ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨ م

يدور الكتاب حول أساطير عن الشرق العربي والإسلامي ، اختلقها الغرب في مرحلة ما بعد الصليبيات ، على يد الرحالة والشعراء والمصورين الذين طافوا الشرق ، ونقلوا صورة عنه ، وأساطير صارت هي الأساس للقوالب العنصرية الجاهزة التي وضعت في أوربا ، وصارت مرجعا للحكم على الشرق والعرب ، فصورت أهل الشرق على أنهم خاملون ، وجهلة وفسقة وغارقون في الملذات . وتقوم المؤلفة بجهد علمي لتقدم تحليلا مستفيضا للصورة الخيالية للشرق التي خلقتها أوربا لنفسها حسبما وضعه كتابها ورسمها رساموها في لوحات فنية أخذت حظا وافيا من الذيوع والانتشار .

■ ■ ■

اسم الكتاب : ضد أمريكا - بانوراما في الفعل الإبداعي العالمي .
اسم المؤلف : ترجمة منية سمارة - محمد الظاهر .
الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت .
عدد الصفحات : ١٤١ من القطع المتوسط .
سنة النشر : ١٩٨٩ م

جهد تجميعي وانتقائي جديد ، فريد في نوعه ، فقد قام المترجمان بجمع نصوص إبداعية عالمية لعدد من الكتاب اللامعين في أمريكا وأوربا وأمريكا اللاتينية التي تدين الولايات المتحدة على مواقفها من حريات العالم الثالث .
وفي الكتاب نصوص إبداعية رائعة ابتداء من وليم فوكنر وبابلو نيرودا وجارسيا ماركيز إلى حشد كبير من ألمع الكتاب المدعين في أوربا وأمريكا . والكتاب وثيقة أدبية لكل أنصار حركة تحرير العالم الثالث ، وشهادات يقدمها أصحابها تنبض بالصدق والجرأة وشجاعة الموقف . □

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٧٢

نوفمبر ١٩٨٩

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة . ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الصفاة للرمز البريدي 13008 - الكويت مسابقة العربي العدد ٣٧٢ ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ ديسمبر ١٩٨٩ . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين . ورقم الهاتف إن وجد .

يرفق تحصل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧٢

١ يذكر التاريخ أن الخليفة العباسي الواثق بالله ، رأى في منامه ان السد الذي أقامه ذو القرنين حول قوم (يأجوج ومأجوج) قد انهار ، فقرر ان يرسل بعثة استكشافية خاصة ، تذهب الى الصين وتحقق في أمر سور الصين العظيم ، وتعود إليه بحقيقة الامر ، ترى من اختار الخليفة لرئاسة تلك البعثة التي قامت بمهمتها في القرن التاسع الميلادي ؟

- سلام الترجمان .
- أبو عبدالله محمد بن محمد الإدريسي .
- المقدسي (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر).

٢ كتاب « المسالك والممالك » يتمتع بشهرة واسعة بين كتب الأدب الجغرافي العربي ، ترى من كان مؤلف هذا الكتاب ؟

- ابن حوقل .
- الاصطخري .
- البلخي .

٣ « تحفة النظار من غرائب الأمصار وعجائب الاسفار » هو العنوان الذي اختاره ابن بطوطة لمذكراته ، على أن ابن بطوطة لم يكن مبتكر هذا العنوان ، وقد سبق لمكتشف آخر قبله أن وضع كتابا يحمل نفس هذا العنوان ، ترى من هذا المكتشف الآخر ؟!

- التميمي .
- التيجاني .
- البغدادي .

٤ شغل ابن بطوطة منصب القضاء في بلدين من البلدان التي زارها أثناء رحلاته ، وقد تولى ذلك المنصب طوال سنة ونصف سنة في أحدهما ، وتولاه لمدة خمس سنوات في البلد الآخر ، فأي بلد هذا وأي بلد ذاك ؟

البيروني عالم معروف من علماء السلف الصالح ولكن البيروني كان رحالاً مستكشفاً بالاضافة الى كونه عالماً ، ومما يذكر أن رحلاته اقتصرت على الهند أو كادت ، ترى ما عنوان كتابه الجغرافي الذي تمخضت عنه رحلاته ؟
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة .
- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق
- المعجب في تلخيص المغرب

قضى ابن بطوطة ٢٨ سنة من حياته في الحل والترحال ، ترى كم كيلومترا قطع في تلك السنين ؟
- نحو (١٢٠,٠٠٠) كيلومتر .
- نحو (١٢٠٠٠) كيلومتر
- نحو (٦٠٠٠) كيلومتر .

- كتابان شهيران من كتب الأدب الجغرافي الاسلامي : كتاب « معجم البلدان » وكتاب « فتوح البلدان » فاذا كان البلاذري هو مؤلف الكتاب الثاني فمن مؤلف الكتاب الاول ؟

- ياقوت الحموي .
- السمعاني .
- ابو دلف

وصل الى بغداد سنة ٩٢١م مبعوث رسمي من قبل ملك الصقالبة ، وكان اسمه « المش بن يلطوار » وكان المبعوث يحمل الى الخليفة المقتدر بالله رسالة مهمة يطلب فيها الملك الصقلبي من الخليفة العباسي ، ايفاد من يفقههم في الدين ، ويعرف قومه شرائع الاسلام . وما أسرع ما شكل الخليفة البعثة واختار لها الرئيس المناسب . ترى من كان الرئيس الذي اختاره .
- ابن حوقل .
- ابن فضلان .
- البلوي .

شاع في عهد الخليفة العباسي الواثق بالله أن رفات أهل الكهف كان مايزال موجوداً في كهف على قمة أحد الجبال في بلاد الروم ، فكلف أحد المستكشفين بالتوجه الى حيث كان الكهف والتحقيق في مدى صدق الإشاعة ، وقام المستكشف بالمهمة وتبين له ان تلك الإشاعة لا تقوم على أساس من الصحة ، وأن احد الدجالين هو الذي نسجها وحرص على نشرها لكسب المال ، ترى من كان المستكشف الذي اختاره الخليفة لتلك المهمة ؟
- المراكشي .
- التونسي .
- المنجّم (محمد بن موسى) .

الادريسي عالم الجغرافيا والرحالة المعروف ، وضع كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » بتكليف رسمي من أحد أمراء زمانه، ترى من الذي كلفه بوضع ذلك الكتاب ؟
- الامير النورماني روجر الثاني
- الخليفة العباسي
- أمير الاندلس

ياقوت الحموي صاحب كتاب معجم البلدان كان مؤرخاً [illegible] [illegible] يؤكد التاريخ [illegible] اذن [illegible] كانت [illegible] بالحموي ؟

شاهد ابن بطوطة صورته مرسومة على الجدران في أحد البلاد التي زارها . فأين كان ذلك ؟
- في الصين .
- في الهند .
- في اندونيسيا . □

حل مسابقة العدد ٣٦٩

اغسطس ١٩٨٩

١ - عباس بن فرناس ، أحد علماء الأندلس - قرطبة - المتوفى سنة ٨٨٨ م ، كان موسيقياً وعالم فلك ومخترعاً ، وكان أول من حاول الطيران في التاريخ العربي كله . وقد اعتمد في تلك المحاولة على سترة للطيران ، قوامها ريش وأجنحة .

٢ - اخترع الباراشوت قبل الحرب العالمية الأولى بأكثر من ١٢٥ عاماً . سنة ١٧٨٣ م على وجه التحديد ، وكان ذلك في فرنسا ، في مدينة مومبيلييه

٣ - الأخوان مونت جولفيير هما اللذان صنعا أول بالون للطيران سنة ١٧٨٣ م ، وقد اعتمد هذا البالون في طيرانه على الهواء الساخن .

٤ - الطائرة الحديثة ، كما نعرفها ، لم تنبثق من البالونات أو المناطيد ، وإنما من الطائرات الشراعية والطائرات الورقية التي يلهو بها الأطفال ، ويعود الفضل الأكبر في تطوير الطائرات الشراعية إلى العالم الانكليزي السير جورج كايلي (١٧٧٣ - ١٨٥٧) ، والعالم الألماني أوتو ليلينتال ١٨٤٨ - ١٨٩٦ .

٥ - أول طائرة في التاريخ هي طائرة (فلاير « ١ ») وقد نجحت في الطيران بتمام الساعة ١٠,٣٥ من صباح يوم ١٧ ديسمبر ١٩٠٣ م ، في كيتي هوك ، في كارولينا الشمالية ، وبلغ ارتفاعها في الجو بين ٢,٥ - ٣,٥ أمتار ، وسرعتها (٤٨) كيلو متراً في الساعة ، والمسافة التي قطعتها (١٢٠) قدماً ، والمدة التي أمضتها في الجو (١٢) ثانية .

٦ - مطار الملك خالد الدولي قرب الرياض ، هو أكبر مطارات العالم كلها ، تبلغ مساحته ٨٦ ميلا مربعاً ، أو ٢٢٠ كيلومتراً مربعاً ، ويبلغ ارتفاع برجه وهو أعلى أبراج المطارات في العالم ٧٤ متراً ، وقد افتتح في ١٤/ ١١/ ١٩٨٦م ، وبلغت تكاليفه ٢١٠٠ مليون جنيه استرليني .

٧ - شركة الايروفلوت السوفيتية ٩٧,٥٠٠,٠٠٠ راكب سنوياً .

٨ - أول قاذفة قنابل في التاريخ هي منطاد زبلن ، وقد انفرد باستعمالها الجيش الالماني في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، وهكذا كانت الغارات الجوية الأولى ، غارات مناطيد (أو بالونات صلبة) ، وكانت لندن هي التي تعرضت لتلك الغارات .

٩ - « الفنادق الطائرة » كانت للمناطيد التجارية (من طراز زبلن) التي استعملت لنقل الركاب على نطاق واسع

عبر المحيط الأطلسي . وقد استمرت خدمات هذه المناطيد من سنة ١٩١٠ - ١٩٣٧ ، حين اندلعت النيران في منطاد هندنبرغ ، في نيوجرسي . فكانت كارثة الطيران التي ذهب ضحيتها ٣٥ راكباً ، والتي طوت صفحة المناطيد التجارية منذ ذلك الحين .

١٠ القدرة على الارتفاع في الجو هي أهم شروط الطيران دون أدنى ريب . وبدونها لا تكون الطائرة طائرة . وتتحقق هذه القدرة بفعل ضغط الهواء الواقع على جناحي الطائرة ، بل قُل الفرق بين ضغط الهواء الواقع على الجناحين من أعلى وضغطه الواقع عليهما من أسفل . ذلك أن الهواء يمر من فتحتين ، إحداهما فوق الجناحين والأخرى تحتهما ، ويمر عبر الفتحة العلوية بسرعة تزيد قليلاً على السرعة التي يمر بها عبر الفتحة السفلية .

مطار شيكاغو الدولي في أمريكا هو المطار الشغّال الأول في العالم . وتدل الإحصاءات على أن مجموع الركاب الذين غادروه وقدموا إليه سنة ١٩٨٦ بلغ ٥٤ مليون نسمة أو أكثر قليلا

تقدم الطيران وتضاعف الإقبال على السفر بالطائرات خلال الخمسين سنة الأخيرة حتى كانت القفزات التالية :-

السنة	مجموع ركاب الطائرات في العالم باستثناء الاتحاد السوفيتي
١٩٣٧	مليونا راكب
١٩٤٧	٢١ مليون راكب
١٩٥٧	٩٠ مليون راكب
١٩٦٧	١١ مليون راكب « مجموع ركاب مطار واحد فقط هو مطار كنيدي بنيويورك » .
١٩٧٧	٧٥٠ مليون راكب

الفائزون في مسابقة العدد ٣٦٩

أغسطس ١٩٨٩

الجائزة الأولى : محمد سليمان الجبوري / العراق .

الجائزة الثانية : عبد الناصر علي أحمد عاطف / اليمن الديمقراطي .

الجائزة الثالثة : مصطفاوي فاطمة كهينة / الجزائر .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - بلقاسم بن المولدي بقاسم برهومي / تونس .

٢ - وسام عاطف المعايمة / سلطنة عمان

٣ - البقالي فاطمة شعيب / المغرب

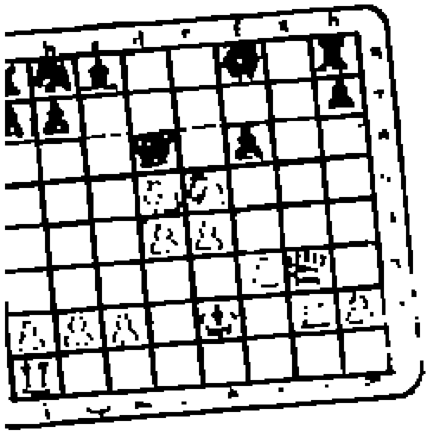
٤ - ريم محمد عطية محمد نور / سوريا .

٥ - مها محمد حجاج / مصر .

٦ - مقيد جمال ياسين / الامارات .

٧ - محمد أحمد عمر / الصومال .

٨ - عبد الهادي أسعد الهاتولي / السعودية .



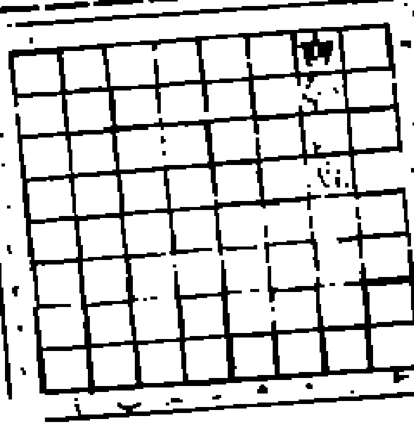
معركة

على الرغم من عدم وجود جائزة نوبل للعب الشطرنج ، فإن العديد من الفائزين بهذه الجائزة في العصر الحديث من المتمرسين في هذه اللعبة . وفي طليعة هؤلاء الكاتب المسرحي الايرلندي صموئيل بيكيت (نوبل للآداب ١٩٦٩) الذي كان يلعب الشطرنج الى درجة الإجادة ، وكان بطلا من كبار أبطالها في كلية ترينتي في جامعة دبلن . وتحتوي إحدى رواياته الأولى (مورفي ١٩٣٨) على تسجيل لدور كامل بين بطل القصة الذي يعمل ممرضاً في مصحة عقلية وبين أحد النزلاء : « كان السيد اندون . يلعب دوما باللون الأسود ، وما أن يقدم إليه الأبيض حتى كان يغيب في إغماءة خفيفة دون أن يبدو عليه أي أثر من آثار الامتعاض » .

وكان أثر الشطرنج واضحا على الهيكل الروائي للقصة ، إذ كانت شخوصه تتحرك ضمن إطار محدد من القيود . وكانت قدراتهم الهجومية تضمحل تدريجيا ، وما أن توشك على التلاشي حتى تجدها قد استعادت نشاطها فجأة ، كما لو كانت قطعة شطرنج حاملة أزيحت من طريقها العراقيل . وهو يشبه ما يحدث في الشطرنج دوما في نهايات الأدوار . وعند انتقال بيكيت من ايرلندا الى باريس قبيل الحرب العالمية الثانية أصبح صديقا للرسام السيريالي الفرنسي مارسيل دوشامب الذي هجر الفن عدة سنوات ليصبح بطل فرنسا في الشطرنج ، ومن المؤسف أن أدب الشطرنج . يحفظ لنا أي دور من الأدوار المثيرة بين بيكيت ودوشامب التي وصفها « ديردر بير » كاتب سيرة بيكيت بقوله : « وكانت هذه الأدوار من أجمل الأدوار التي لعبها بيكيت في حياته وأكثرها إثارة وتشويقاً » .

ولقد شارك دوشامب في تأليف كتاب عن نهايات الأدوار الذي كان يحوي على نهايات تكون القطع فيها محدودة . ويكون دور الملك فيها هجومياً بمقدار ما هو دفاعي . ويعد هذا الكتاب مصدر مسرحية بيكيت « نهاية اللعبة » . وروي عن بيكيت أنه قال موجها الممثل الذي كان يقوم بدور البطولة فيها : « يجب أن

مسألة العدد (٣٧٢)



مات ٤

إهداء من القارىء عادل ندا (ج . م . ع)

تكون كالملك الخاسر في لعبة الشطرنج منذ البداية ، ولكنه يقوم بحركات لا معنى لها شبيهة بالحركات المتخبطة للاعب السيء والتي يكون اللاعب الجيد قد استسلم في مثل ذلك الوضع منذ وقت بعيد .

ومن الكتاب الأفذاذ الذين كان للشطرنج أثر كبير في حياتهم الروائي والفيلسوف الروسي ليو تولستوي (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) صاحب « حرب والسلام » . وقد حفظ لنا أدب الشطرنج العديد من أدواره الجميلة المثيرة نقتطف منها الدور التالي وهو من جامبيت الملك المقبول الذي يعد من أكثر الافتتاحيات إثارة وحماسة ، غير أننا لا ننصح الأبيض بلعبه (انظر العددين ٢٩٨ و ٣٥٦) لما ينطوي عليه من مزالق ومخاطر .

□ ليو تولستوي	■ مود (أياسنايا ١٩٠٦)
١ . هـ ٤	هـ ٥
٢ . و ٤	هـ×و ٤
٣ . ح - و ٣	ز ٥
٤ . ف - حـ ٤	ز ٤
٥ . ح - هـ ٥	و - حـ ٤+
٦ . ٥ - و ١	د ٥
٧ . ف×د ٥	و ٣
٨ . ز×و ٣	و - حـ ٣+
٩ . م - هـ ١	ر ٣
١٠ . د ٤	ر ٢ ؟ (رديئة)
١١ . ر - ز ١	و - حـ ٤+
١٢ . م - هـ ٢	ح - حـ ٦
١٣ . ر×ز ٢	جـ ٦
١٤ . ف×حـ ٦	جـ×و ٥
١٥ . ف×و ٨	م×و ٨
١٦ . و - هـ ١	و - هـ ٧
١٧ . ح - ج ٣	و ٦
١٨ . ح×د ٥	و د ٦
١٩ . و - ز ٣ (الشكل)	يستسلم □□

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد رقم (٣٦٩) أغسطس ١٩٨٩

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ وائل عبد السلام / سوريه .
٢ ـ حسين البارونى / ليبيا .
٣ ـ نادية شاكر القنان . الكويت .
٤ ـ زكي عبد المجيد زكي ابراهيم / مصر .
٥ ـ محمد عبد الجليل بدران / العراق .

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ عبد الرحمن الفاسي / المغرب .
٢ ـ عبد الحكيم محمد بامسطرق / اليمن الديمقراطي .
٣ ـ م. عمر عبد الله / الأردن .
٤ ـ عبد المجيد عمر السيل / السعودية .
٥ ـ جمال ابراهيم محمد عبد الغفار / البحرين .

١ . م - ب ١   ف - حـ ٥   ٢ . ر - ز ٦   ثم مات بالنقلة الثالثة

حوار القراء

العربي - ص. ب : ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي 13008 الكويت



لبنان والعرب

● الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

أُجِل فيك نظرتك للأمور ، وأقدر عاليا تفهمك للأوضاع القائمة . في كل مكان نقرأ ما تكتب ، ونعمل جاهدين على أن نلحق بكلمتك التي تكتبها لنعمل بها . بعد اطلاعي وقراءتي الممعنة لحديث الشهر المنشور في عدد ٣٦٧ - يونيو ١٩٨٩ - بعنوان « في لبنان المطلب علينا أن نقتلع شوكا بأيدينا » داهمتني مشاعر كثيرة ، ممزوجة بالحقد والغضب على كل من يرى لبنان في محنته ويقف مكتوف اليدين ، ولي بديه الحل ، وبالحزن والأسى على هذا الشعب الذي ما عرف طعم الراحة ، والذي شب أطفاله على صوت الرصاص وقذائف المدافع ، وبالسرور بما قام به مشكورا نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الأحمد الصباح ، ومن ساهم معه في السعي لتغيير الوضع وإخراج لبنان من عنق الزجاجة . إنها مشاعر غمرتني وأنا أقرأ الحديث ذا المعاني الكبيرة الذي نرى فيه بصيص نور في دنيا الظلام . وأنا وكل العرب في كل مكان نضم صوتنا إلى صوتك ، ونناشد كل الإخوان اللبنانيين أن يتناسوا خلافاتهم ، ويتناسوا مشكلاتهم ، لتصبح اليد باليد ويصنع الانتصار الكبير .

القارىء : ياسر عبد الوهاب جهنة

دير الزور - سوريا

● وردت للمجلة رسائل عديدة ، تبدي إعجابها وحماسها الشديد بالحديث ، والطريقة التي عالج بها موضوعا له مكان الصدارة بين هموم الإنسان العربي ، منها رسالة من الزميل د . غسان سلامة ، من باريس ، ومن القراء : يحيى السيد النجار - دمياط - جمهورية مصر العربية ، وعبد الرزاق عزرون - حمص - سوريا ، ومحمد العيسى - حلب - سوريا .

■■■

أهلا بكم في لحج

● لقد قرأت في صحيفة ١٤ أكتوبر اليومية الصادرة في بلادنا أن بعثة من مجلتكم قد زارت اليمن الديمقراطية في الفترة من ٣ إلى ١٢ يونيو ١٩٨٩ ، لإعداد استطلاع مصور عن وادي حضرموت بمدنه الرئيسة . وهذه هي الزيارة الثانية « للعربي » بعد الزيارة الأولى منذ ربع قرن وإنها لبادرة طيبة ولفتة كريمة أن تطوف مجلتكم بأرجاء بلادنا ، ولكن لفت انتباهي أن « العربي » لم تزر حتى الآن محافظة لحج ، على الرغم من غناها بتراثها التاريخي ، وطقسها المتنوع ، ومدنها

الجميلة . وعاصمتها ، الحوطة ، التي يختلط فيها القديم بالجديد في مبانيها وحياتها

إنني أوجه لكم دعوة لزيارة لحج . ولا تنسوا أن لديكم أصدقاء كثيرين يتابعون بلهفة أعداد مجلتكم . ونأمل أن نستقبلكم في لحج هذا العام أو في عام ١٩٩٠ . فأهلا وسهلا بكم في أي وقت .

القارىء مهدي علي الحمري
قرية الحداد - محافظة لحج - مركز الحوطة
اليمن الديمقراطية الشعبية

■■■

العقاب والنسور الجارحة



● الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

قرأت في عدد (٣٦٧) يونيو ١٩٨٩ مقالا بعنوان « عن النسور والعقبان » للكاتب الدكتور محمد الطوبي ، وفيه جهد مبذول وبحث واضح ملموس . لدي توضيح لبعض المعلومات الموجزة ، منها أن الطيور الجارحة تنقسم إلى (٢٧٠) نوعا .

ولقد عرف العرب منذ القديم هذه الطيور ، وأطلقوا على العقبان أسماء وصفات كثيرة ، نذكر منها « الكاسر ، الصرارة ، الخدرية ، لقوة ، العنقاء » ولقد اتخذ العرب من هذه الأسماء والصفات ما يشبهون به جيادهم . يقول امرؤ القيس مشبها :

كأني بفتخاء الجناحين لقوة .. دفوف من العقبان طأطأت شملالي

والعقبان بضم العين تطلق على الذكر والأنثى معا . أما (الغرن) بفتح الغين والراء فتطلق على ذكر العقبان .

والسهوم تطلق على أنثى العقاب يقول الراجز : عجب من سهوم وغرن .

أضف إلى ذلك بأن لكل من ذكر العقاب وأنثاه كنية يكنى بها ، وهي كنى عديدة ، فمنها ما يكنى بها الذكر . (أبو الأشيم - أبو الحجاج - أبو حسان - أبو الدهر) ، أما كنى الأنثى فنذكر منها : (أم الخوار - أم الشعور - أم الهيثم) .

والعقبان تبيض ثلاث بيضات ، وتستمر الحضانة فترة أربعة أسابيع .

أما النسور فقد تعرض لها الدكتور الطوبي في مقاله دون أن يفرق بين القديم والجديد منها . علما بأن هناك فصيلتين : احداهما نسور العالم الجديد (الامريكية) ، والأخرى نسور العالم القديم ، وتضم هذه الفصيلة (١٤) نوعا . والتشابه ما بين الفصيلتين ظاهري فقط .

القارىء : ماجد مصطفى نجار
حلب - سوريا

مع مجلة جواد القراء

الكويت واحة الثقافة

الاستاذ الكبير رئيس التحرير .

تحية طيبة وبعد .

● بداية أحب أن أشير إلى أنني من قراء مجلة « العربي » منذ ثلاثين عاماً . وقد يعجب المرء لذلك ، مع أن الأمر عادي في ... وهي أن أعداد مجلة « العربي » القديمة تباع في المياديين وانتشرت محلات بيع الكتب القديمة ، وقد آثرت منذ نعومة أظافري على أن أحتفظ بهذه المجلة ... المحلات ، وكنت أشتري ، ومازلت أشتري الكتب من ... ومن أجري الذي أتقاضاه أثناء الإجازة الصيفية ، لأنني أقوم بالعمل فيها ، لأنني من اسرة متوسطة الدخل ، كبيرة العدد ، ولكن كنت ... التعليم . ولدي كثير من الأصدقاء على الشاكلة نفسها ، وكلنا نحاول قراءة الكتب واقتنائها من على الأرصفة ، لأن ... وننتظر أن تتوافر أعداد من الكتب أو المجلات القديمة ... وعندئذ تكون أسعارها في متناول أيدينا ، وهذا هو ... الدخل المحدود والمتوسط .

وأحب أن أشيد هنا ... على الرغم من أن لي بعض التحفظات ، وهذه الاشادة ... حقيقة واقعة ، فلقد قرأت وشاهدت عدداً غير قليل من مجلات ... أحد مثل مجلة « العربي » في السعر وفي غزارة الموضوعات وتنوعها وفي الأسلوب الديمقراطي الذي يكفل حرية الرأي والفكر ، ومعظم أبواب المجلة الثابتة ممتازة لارتكازها على دعائم ثابتة ، ولإيمان أفرادها برسالتهم وواجبهم المقدس نحو أمتهم العربية والإسلامية . وأنا أستطيع أن أقول وبكل صراحة : إن الكويت استحقت عن جدارة أن تكون لواء وعلماً من أعلام التنوير في وطننا العربي المعاصر وهذا بفضل أبنائها .

القارىء : محمود الحسيني محمد
الاسكندرية - جمهورية مصر العربية

□□□

الأديب العالمي

● الحق أن محمود تيمور واحد من الأدباء الكبار القلائل الذين لهم الفضل الأكبر في بعث الحياة في أوصال أدبنا العربي ، وإثرائه بألوان فنية جديدة ، ولقد كان لجهوده الرائدة أعمق الأثر فيما حققه من إنتاج أدبي ، ورسم للأدباء طريقا من نور

وإذا كانت قد سبقت قصص تيمور محاولات أخرى عديدة في تأليف القصة



● محمود تيمور

العربية ، كمحاولات المويلحي ، ولطفي جمعة ، وطاهر لاشين ، ومحمد تيمور ، وغيرهم . فالذي لاشك فيه أن هذه المحاولات لم تكن في معظمها أكثر من برهاصات أولية في علاج القصة ، ظلت في حاجة إلى موهبة أصيلة ناضجة ، لتتحول إلى قصص فنية مكتملة العناصر . وكان محمود تيمور هو صاحب هذه الموهبة الاصيلة التي أرست للقصة مكانا راسخا في أدبنا العربي ، ولم يكن ليوفق في شيء من ذلك لولا تلك المحاولات التي سبقته ، ومهدت لظهوره . وبالطريقة نفسها لم يكن نجيب محفوظ ومحمود البدوي ويوسف إدريس من أعلام القصة والرواية العربية . لقد شاركت دول كثيرة في الاعتراف بقيمة تيمور الأدبية والاستمتاع بفنه ، فترجمت تسعة من مؤلفاته إلى اللغة الفرنسية . وثلاثة إلى الألمانية . وثلاثة مجلدات إلى اللغة الروسية ، بالاضافة إلى مؤلفات عديدة ترجمت إلى عشر لغات أخرى ، بحيث يصدق عليه ، أكثر من أي أديب آخر ، وصف « الأديب العالمي » الذي يقرأ له بأكثر من خمس عشرة لغة . كما ألفت عنه كتب ودراسات أكثر من أي أديب آخر من المعاصرين .

ومن المعلوم أنه كان من طبقة ارستقراطية ثرية ، استطاع أن يتجاوب بالكثير من قصصه ورواياته مع أبناء الطبقة الفقيرة والمتوسطة ، تجاوبا عجز عنه الكثيرون من الأدباء الذين نشأوا في هاتين الطبقتين . وقل أن تعثر على أديب من أدباء الأجيال اللاحقة ، لم تكن له صلة وطيدة به ، ولم يتلق هداياه من الكتب ، وتوجيهاته الأدبية ونصائحه الشفوية أو المكتوبة ، فهو لا يهمل رسالة واحدة من الرسائل التي يرسلها إليه الأدباء الناشئون ، وما أكثر من أخذ بأيديهم في خطواتهم الأولى ، فقدم كتبهم أو قدمهم إلى الصحف ودور النشر بصورة تذكرنا بسلوك كبار أدباء الغرب . وهذا السلوك ما أحوجنا إلى أن يقتدي به الكثيرون من كتابنا .

مصطفى المعروفي
طنجة ـ المغرب

■■□

● القارىء : محمود عبد الحميد أحمد ، من القاهرة ، بجمهورية مصر العربية ، يسأل عن كيفية الحصول على بعض الكتب المنشورة في باب « مختارات من المكتبة العربية » . ونقول له : إن عليه الاتصال بالمكتبات التي ترد أسماؤها ضمن دور النشر التي أصدرت تلك الكتب .

● القارئة : سامية خلاوي ، من محافظة حمص ، بسوريا ، تطلب أن تقوم المجلة باستطلاع مصور عن المرأة العربية في سوريا ، وما تحقق لها من مكاسب على الصعيد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، وما تبوأت من مراكز اجتماعية وعلمية وأدبية .

● القارئة : فاتن البدوي ، دمشق ، تطلب توسيع صفحة الرياضة الفكرية (الشطرنج) . فهي من الصفحات القليلة جدا التي تنشر في مجلات عربية لها قيمة وسمعة ثقافية وأدبية كمجلة « العربي » .

● القارىء : علي أحمد ـ الإقليم الشمالي ـ السودان ـ يقول : المجلة لا تصل

حوار القراء

إلى منطقته منذ أكتوبر ١٩٨٨ م . وأن الظروف الصعبة تحول دون توجهه للعاصمة للحصول عليها

● القارىء : محمود بدر مكتبي ، من حلب ، سوريا ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع مصور عن الجاليات العربية في أمريكا الجنوبية ، وعن فعاليتها ونشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية

● القارىء : فتحي مراد ، من ولاية بنزرت ، بالجمهورية التونسية ، يشكو من أن التواصل العربي بين أبناء المشرق والمغرب ليس بمستوى الأحداث والعلاقات والترابط ونقول له : إن ما شاهده لا يعدو عن حادث فردي ، لا يصح تعميمه .

● القارئان : أحمد منزل طهيمي ، من الحسكة ، وصباح محمد القوني ، من الرقة - بسوريا - يقولان إنهما معجبان بالعدد ٣٦٦ ، وبقصيدة « الأربعون » للشاعر خالد محادين . ويسألان إن كان له ديوان مطبوع أم لا . وإمكانية الحصول عليه ونحن نحيل السؤال إلى الشاعر خالد ، وبانتظار إجابته .

● وصلتنا رسالة من القارىء : الشيخ أحمد معاوية ، من نواكشوط ، بالجمهورية الإسلامية الموريتانية ، يشكو فيها من صعوبة الحصول على مجلة « العربي » ومطبوعاتها ، نظرا لعدم توافرها في الأسواق ، ولعدم وجود الاشتراكات لصعوبة تحويل مبلغ الاشتراك ، ويقول : إنه حاول عدة مرات تحويل المبلغ عن طريق أحد المصارف إلا أنه فشل في ذلك .

● القارىء : محمد يسب موسى ، من دهوك بالجمهورية العراقية ، يعث يبدي رغبته في أن يكون مشتركا في المجلة . ونقول له : إن شروط الاشتراك منشورة في الصفحة الثالثة من المجلة ، وما عليك إلا أن تقوم بالاطلاع عليها .

● القارىء مهند الرشيد ، من حلب - سوريا ، يطلب المزيد من المعلومات عن تاريخ لعبة الشطرنج ، وطريقة لعبها .

● القارئة صباح كيالي ، من حلب - سوريا ، تسأل عن باب (هو . هي) ، هل يكتبه كاتب مختص أم أنه يكتب بمشاركة من القراء ؟ ونقول لها : إن الصفحات يكتبها محرر ، يعمل بالمجلة .

● القارئة المهندسة سهام محي الدين من محافظة الحسكة - سوريا ، تقول في رسالتها إنها اطلعت على مقال الدكتور ابراهيم سعد عن « النباتات الطبية والعطرية في الوطن العربي » في العدد ٣٥٦ (يوليو ١٩٨٨) ، وتريد معلومات اضافية عن نبات الدمسيسة الذي يساعد في علاج حصوة الكلى وتنشيط الكبد ، وأي المناطق التي ينمو فيها هذا النبات .

● القارىء عبد الله ابراهيم السلمان ، من منطقة بيان - الكويت ، بعث يسأل في حالة فوزه بالمسابقة الثقافية ، كيف يمكنه تسلم الجائزة المخصصة



للمسابقة . نقول له : إن المجلة تقوم بإرسال قيمة الجائزة بالبريد المسجل ، وكذلك في حالة الفوز بالاشتراك السنوي بالمجلة

● القارىء ياسر محمود الصفطي . من المحلة الكبرى - جمهورية مصر العربية ، يقول : إنه شاب من هواة الكتابة الأدبية ، لا سيما القصة القصيرة ، مثل كثير من الشباب العربي ، ولكن لا تتوافر له الكتب اللازمة لإتقان هوايته ، لو أنها غالية باهظة ، ويطلب تخصيص أحد أبواب المجلة لتعليم أساسيات الأدب المختلفة .

● القارىء محمد أبو علي نصار . من المعهد العالي لتعاون والإرشاد الزراعي - جامعة اسيوط . والقارىء عبد الرحمن محمد . من الفيوم - جمهورية مصر العربية ، معًا يبديان إعجابهما بالعدد ٣٦٧ يونيو ١٩٨٩ . ويشيدان باستطلاع « مسلمو بريطانيا مواطنون أم مضربون » . ويطلبان أن تزداد الاستطلاعات المنشورة عن حال المسلمين في باقي البلاد الأوربية

● القارىء عبدو كيفو . من مدينة الثورة - سوريا . يقترح قيام المجلة باستطلاع عن مدينته التي تقع على حافة نهر الفرات

● القارىء أيمن السيد محمد علي . من نجع حمدي - محافظة قنا - بجمهورية مصر العربية . يشكو تأخر وصول المجلة إلى منطقته . وقد قمنا بتحويل رسالتك إلى الموزع المعتمد (دار الأهرام للتوزيع) للنظر في الشكوى □

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

نوفمبر ١٩٨٩ م

الريف
في الرواية العربية

تأليف
الدكتور محمد حسن عبدالله

الكتاب ١٤٣

٥٠٠ فلس

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

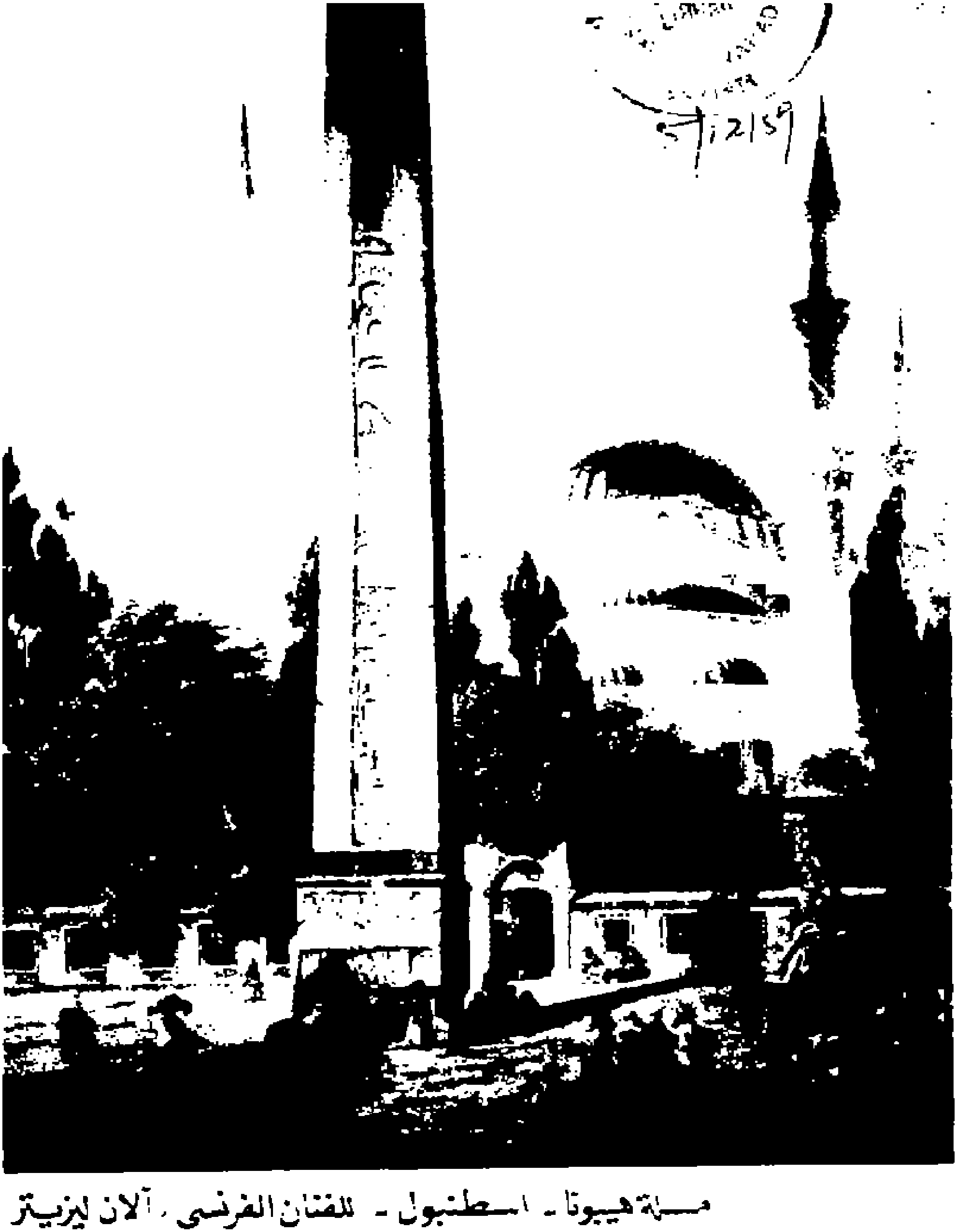
الخزان العظيم

تأليف : بيتر ترسون

ترجمة : الشريف خاطر

مراجعة وتقديم : محمد الحديدي

العدد ٢٤٢ أول نوفمبر ١٩٨٩



مسلة هيبوتا - اسطنبول - للفنان الفرنسى ، آلان ليزيتر